الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي اليابس/ سيدي بلعباس
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

الإيحاء الدّلالي للفعل الرّباعي في القرآن الكريم
* في ضوء الدّرس اللغوي*

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالب:
- **بوتوشنت العصفورة**

إشراف الأستاذة:
- **سميرة رفتـــاس**

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د قادة عقاق	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د سميرة رفاس	أستاذة التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا
أ.د مكي درار	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشا
أ.د عبد القادر شاكر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	مناقشا
أ.د عبد الجليل منقور	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي عين تيموشنت	مناقشا
د. مصطفى غربي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا

السنة الجامعية: 1435هـ - 1436هـ / 2013 – 2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِين....

النمل:19.

....إلى كل من علّمني.. ولو حرفا

... أهدي ثمرة هذا العمل..

مقدمة

الحمد لله وكفى.

وبعد:

فإن البحث في القرآن الكريم،كتاب الله الخالد من أعظم ما يبتغيه الفكر الإنساني؛ففي رحابه يجد الباحث في حقل اللغة منيته ومبتغاه، فهو كتاب الله العريق بأصالته المعجز بمحتواه إليه تصرف عنايات العلماء وجهودهم للنهل من معينه العذب،كونه مصدرا لغويا عظيما تعتد به الدراسات الصوتية، والنحوية، والدلالية ورافدا روحيا وأخلاقيا وتشريعيا، وعلميا خصبا للإنسانية جمعاء في أمر الدين والدنيا فهو بحق معين لا ينضب وعجائب لا تنتهي ودرر لا تنقضي.

من هذا المعين الدافق والثِّقْل الأكبر، كما وصفه سيد الفصحاء محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح عن تركة الثقلين، جاء هذا البحث على صلة بكتاب الله ولغته الجليلة في مستويات محددة وسمناه بـ:

« الإيحاء الدَّلالي للفِعلِ الرُّباعِيِّ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ : فِي ضَوءِ الدَّرسِ اللُّغَويِّ الحديث.»

وهي دراسة لصيغ لغوية محدودة ومحددة، وظفها القرآن الكريم ضمن سياقاته الخطابية السامية لعموم الخلق، من خلال رسالة الإسلام الخالدة؛ هذه الصيغ هي تلك الأفعال ذات التركيبة الصوتية الرباعية المتفردة، والتي تنحصر في ثمانية منها هي:[بعثر وسوس حصحص، زحزح، دمدم، كبكب، عسعس، زلزل]

وشكلت هذه الصيغ بتركيبتها المتفردة ظاهرة مميزة، بخصوصيتها الصوتية ودلالاتها الإيحائية ضمن السياقات القرآنية الواردة فيها، حتى غدت في تلاوتها عند عموم المسلمين نمطية، لا تصرف بتلفظها إلا إلى نصوص القرآن الكريم وحده؛ وعلى قدر سمو هذه الأفعال كواحدة من النسيج اللغوي المشكل للنص القرآني السامي، نلمس انصرافا عنها في دراستها ضمن ما تسمح به مستويات اللغة، وذلك من قبل علماء اللغة المحدثين؛ وإن درسوها فدونما إسهاب أي: ضمن الإطار الدراسي العام للكلمة العربية، جريا في ذلك على خطى الأوليين من علماء اللغة الأعلام.

في حين أن النظر الفاحص في الموروث اللغوي العام المقدم بين أيدينا عن هؤلاء الأعلام، في مسألة هذه الصيغ الرباعية القرآنية قد أبان عن مذاهب ومناهج أصلت لها تأصيلا علميا زانه ذلك الخلاف بين أولئك الأقطاب، والذين باصطفافهم في مدارس الجدل العلمي الخالص كانت لي الحظوة في الوقوف على إعجاز وثراء لسان الضاد.

إن جملة الإشكالات التي تفرض نفسها فرضا في عقولنا بخصوص هذه الصيغ المتفردة هو: هل هي رباعية بالأصالة من خلال تركيبتها الصوتية، كما زعم أقطاب المدرسة البصرية، أم أنها جذور ثلاثية مطورة اعترتها في رحاب التطور العام للغة مثلما ادعى أنصار المدرسة الكوفية؟ وهل كان لزيادة صامت رابع في تشكيلها مزية صوتية وإضافة أخرى في تأدية معان أخرى تقاصرت عن أدائها الجذور الثلاثية؟

ثم هل لتلك المجاورة الصوتية بين حروفها في الصيغ المضاعفة منها علاقة بطبيعة العربية كلغة، لا تنسجم ألفاظها مع مراد معناها إلا بتواشج صوتي يراعى فيه صفات

الصوت وطبيعة التركيبة الفيزيولوجية لمخارج الحروف؟ ثم ما السرّ في أزمنتها الماضية الدالة على الاستقبال في السياق، وزمنها في المضارع الدال على الأزمنة الثلاث، وماذا أفاد بناؤها للمجهول؟ وكيف احتجب الفاعل في بنية السياق العميقة؟ وما دلالة ذلك كله في تجلية مقاصد الآيات وبيان المعنى الذي تستهدفه من خلال الوقوف على إفاضات علماء التفسير؟

لا شك أن طبيعة الموضوع وأهميته ودقته تفرض نفسها فرضا على الباحث في رحاب الدرس اللغوي؛ من ثم اقتضت مني الدراسة تقسيم البحث إلى مدخل وأربعة فصول فخاتمة.

ففي مدخل البحث تطرقت إلى مسألة تأصيل الفعل الرباعي بشقيه: المجرد والمضاعف، وذكرت أن في مسألتها تباينا من قبل الأقدمين وصل حد الخلاف لاسيما بين أقطاب المدرسة البصرية ونظرائهم من الكوفيين، وأشرت إلى احتجاج كل طرف في قضية الرباعي بالتركيبة الصوتية للصيغة، ولفتُّ النظر إلى أن أهمية المسألة تكمن في وظيفية الصيغة في التركيب العربي،خصوصا السياق القرآني الذي تخيرها لخطاباته ووصفت المستوى الصوتي وبينت الحكمة من ائتلاف أصوات محددة في تركيبتها دون غيرها، وأثر كل ذلك في دلالة الرباعي.

ثم كشفت عن الصور الإعجازية في اعتماد النص القرآني للجملة المبنية للمجهول وذكرت أن من وجوه هذا الإعجاز حذف الفاعل واحتجابه بعد تلك الأفعال، ومن جملة ما ذكرت حركة الزمن في تلكم الأفعال ،ومجيء الماضي فيها على دلالة الاستقبال، وورود

المضارع منها على ما يسمى بالزمن الدائم ،ثم أنهيت الكلام عنها ببيان تموقع الصيغ الرباعية في سياق الآيات، التي وردت في صور كلمات مفتاحية في سبيل تجلية المعنى، وبيان مقاصد السياق العام للآي الحكيم. ثم تلا المدخل مباشرة الفصول الأربعة.

الفصل الأول وقد وسمته بـ : [أصل الفعل الرباعي المجرد والمضاعف وتركيبتهما الصوتية] وتناولت فيه بالذكر رأي البصريين القائلين في الرباعي بأنه أصل قائم بذاته وجئت مقابله بالمذهب الكوفي المناقض والقائل :أن الرباعي صيغة مطورة عن أصل ثلاثي أو ثنائي أو إسمي. أو منحوت من كلمتين أومن جملة؛ ثم وصفت تركيبته الصوتية وأوزان الصيغ الملحقة به وكشفت عن المستوى الوظيفي، وصور المغايرة له والتحول الوظيفي المحض لها في حالة الزيادة عليها بحرف أو حرفين، ودلالتها الإيحائية جراء ذلك التحول الوظيفي.

أما في خصوصية الصيغة المكررة، فقد أفردت حيزا هاما لتأصيل الفعل الرباعي المضاعف، وتركيبته الصوتية، وذكرت فيه الرأي القائل بأصالة الصيغة، واستقلاليتها بصوامتها، والرأي القائل بأنها صيغة ثلاثية مزيدة مطورة أو ثنائية ملحقة أو مكررة اقتضتها الحاجة التعبيرية.

ثم تلاه الفصل الثاني، وسميته [التعليل الصوتي للفعل الرباعي وعلاقته بالمعنى في السياق القرآني]، وفيه وصفت التركيبة الصوتية للصيغتين المضاعفة والمجردة، وذكرت تلك الوشيجة بينها،وذلك التركيب المقاطعي المميز لهما؛ والذي بفضلهما أمكننا الوقوف على سر التكرار الصوتي للرباعي المتجانس في القرآن، وكذا الدلالة الصوتية للصيغة الوحيدة المجردة في نفس السياق القرآني، وعلاقة كل ذلك بالمعنى العام للآيات الواردة فيها هذه الأفعال.

وفي الفصل الثالث، والذي تخيرت له عنوانا هو: [التحليل النحوي للفعل الرباعي ومستواه الإعرابي]، تطرقت إلى ظاهرة بناء الجملة القرآنية للمجهول، ودلالة احتجاب الفاعل في سياقها والاستعاضة عنه بعنصر المفعول به، وذكرت بالمناسبة الأسلوب النحوي لهذه الجمل والتي يفهم منها دلالتها على الغيبية والإخفاء، ثم أشرت إلى عنصر مهم يتفرد به السياق القرآني ألا وهو: مدار «حركة الزمن» الذي يعتري الأفعال الرباعية القرآنية،وتبين لنا أن إيرادها في الماضي جاء ليدلل على الانقطاع وهو وضعها الزمني الحقيقي، ودلل في حالة أخرى على إفادة زمن الحاضر والمستقبل وهما صورتان إعجازيتان لتحولها الزمني في السياق.

أما الفصل الرابع: فجاء موسوما بـ [الدلالة السياقية للفعل الرباعي في النص القرآني] وفيه ذكرت معاني ودلالات الأفعال الرباعية الثمانية في سياقاتها القرآنية ،باعتبارها ألفاظا مفتاحية في النصوص الواردة فيها ،ونقلت آراء علماء التفسير بنصوصها سواء ما كان منها استدلالا بالرواية أو اجتهادا بالدراية ؛ ثم ذيلت البحث بخاتمة جمعت فيها حصيلة ما توصلت إليه في البحث من نتائج.

أما المنهج الذي اعتمدته في بحثي، فقد فرضته طبيعة الموضوع نفسه إذ جاء في مجمله وصفيا تحليليا، ففي مسألة تأصيل الصيغة الرباعية، ومستواها الصوتي كان المنهج وصفيا صرفا، تخللته بعض من المقابلات والمقارنات كلما اقتضت ذلك الدراسة؛ أما في جانبي مناقشة المستوى النحوي للصيغة ومقارباتها الدلالية فكان الإجراء تحليليا خالصا.

أما المصادر والمراجع التي اعتمدناها في إغناء الموضوع وإثرائه، فتنوعت بين القديم والحديث، إذا ما تعلق الأمر بكتاب العين للخليل والكتاب لسيبويه والخصائص لابن جني،ومصادر مثل شرح الشافية، والتبصرة وسر صناعة الإعراب والمقاييس والارتشاف والجمهرة ومن الأعلام الفراء والكسائي والزجاج وابن فارس وغيرهم،ومن أهل التفسير الزمخشري صاحب الكشاف ، والقرطبي صاحب الجامع لأحكام القرآن والفخر الرازي صاحب التفسير الكبير، ومنهم السيوطي و البغوي والبيضاوي والشوكاني وقطب والسعدي وغيرهم. ومن المحدثين وجب التنويه بالأبحاث في اللغة والأصوات لكل من أحمد مختار عمر وتمام حسان وغيرهما ؛ومن أصحاب المعاجم الفيروز آبادي واضع القاموس المحيط وغيره.

لاشك أن البحث في موضوع بهذه القيمة العلمية لم يكن لي أن أجد فيه السبيل مفروشا بالورود، فقد شق علي أن أجانب الصواب في قراءة تلك الكتب اللغوية والتفاسير الجليلة ومحادثة أولئك العلماء الأعلام على رأي العقاد، فبالقدر الذي انتفعت وتمتعت، تخوفت من أن أكون قد ارتقيت مرتقى ما كان ينبغي لي التجرؤ عليه ،لأنه كان بحثا في القرآن الكريم وفي لغة القرآن الكريم.

وأخيرا: ما وسعني إلا واجب العرفان وخالص الشكر، والتقدير للمكرمة الدكتورة سميرة رفاس أستاذتي المشرفة على وقوفها إلى جانبي، وتوجيهاتها لي،وجميل صبرها علي؛ كما ألتمس العذر المسبق للأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة، إن كنت قصرت فأرهقتهم أو شققت عليهم بهذا التقصير.

والصلاة على المصطفى.

البليدة في: 2014/05/22

مدخل

طبيعة الصيغة الإفرادية العربية و خصوصياتها التركيبية والصوتية والدلالية .

العربية لغة القرآن الكريم ووعاؤه، الذي حوى كلام الله المعجز في نظمه، وأسلوبه وعلومه وكشوفاته وبيانه ولا ضير، فقد وصفها الباري عز وجل بـ ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾[1]،فهي «ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة.»[2]،أما المعاني فعذوبة تروي من نبع البيان؛ ورقة من نسيم الجنان ،ونور في مرآة الإيمان:« تتساقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجفان، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان..»[3]

واللغة العربية إلى ذلك لغة سامية أصيلة موغلة في القدم والعراقة، تمتاز عن غيرها من اللغات بدقة أقيسها الثابت والمبتكرة؛ وتنوع أصواتها ما بين المجهور والمهموس والشديد والرخو ،والمنوع في الفخامة والترقيق، والحاصل عن تركيب فيزيولوجي عجيب في مخارج صوتية: ﴿...**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ**...﴾[4]

والعربية إلى ذلك لغة الجذور[5] بتشكيلها الصوتي، فهي إما بصوامت ثلاثية أو رباعية أو خماسية؛وقد تكون ثنائية؛ إذ يمثل عامل الاشتقاق فيها الدور الأوحد والأنسب في عملية التجذير والتوليد والتوسيع؛ دون الإخلال بالصوامت الأصلية،التي تمثل مادة خاماً

1- سورة ا لشعراء : 195.

2- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2003م، ط03، ص: 23.

3- المرجع نفسه ، ص: 23.

4- سورة النمل : 88

5- التطور اللغوي، عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العلوم، القاهرة، 1985م، ط01، ص: 31.

للعملية التوليدية والتي بموجبها يتم صنع المعاني الجديدة ،بفضل الصوامت المزيدة على التشكيل الأصلي.

ولقد اقتضت طبيعة الصيغة الإفرادية العربية بشقيها الفعل والاسم، استعمال هذه الجذور من خلال تشكيل متنوع الصيغ:«إذ الجذور جامدة ما لم تصب في قوالب معينة وأقيسة مدققة، تجتمع معها في علائق بموجبها يتم فيها نفخ الحياة؛ وعلى ذلك كانت الصيغة العربية خاضعة لظاهرتين متداخلتين في تكامل هما: حركية الاشتقاق وعملية الصياغة وهما تفردان لا تنازع فيهما لغة العرب.»[1]

ولما كان مقتضى هذا البحث مقصورا على أبنية وأصوات ودلالات بعينها،فإن حديثنا جاء موقوفا على صيغ بعينها؛هي: الفعل الرباعي الوارد في القرآن الكريم كلغة ومصطلح وتشكيل صوتي ومعاني وسط السياق القرآني، مما يستوجب إعمال النظر في علائق تلك الأفعال بعملية بناء صيغها، وتفسير ظواهرها الصوتية، والكشف عن مدلولاتها الإيحائية.

فالصيغ في جانبها المعجمي إنما تدل على السبك وهيئة الشيء؛جاء في القاموس المحيط:«الماء يصوغ:رسب في الأرض، وكذلك الآدم في الطعام والله تعالى يقول «صبغة حسنة»: وخلقه، وهيأه على مثال مستقيم فانصاغ»[2]، وفي صحاح الجوهري: «صغت

1- ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ط02، ص: 328.

2- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة للنشر والطبع والتوزيع، ط06، بيروت لبنان، 1998، ص: 786.

الشيء أصوغه صوغا وهذا صوغ، هذا إذا كان على قدره»[1]، وتأتي الصيغ في مدلول آخر لتعني التصفيف والترتيب يقول صاحب اللسان: « صاغ شعرا وكلاما أي وضعه ورتبه.»[2]

أما اصطلاح (صيغة) فهو عنصر البناء والهيئة والوزن، وهو رأي علماء اللغة المتقدمين الذين أوقفوها على مراد مبنى الكلمة، وزنتها وصياغتها فعدد الحروف وترتيبها واعتبار الحروف الزائدة الأصلية في موضعها تشكل هيئتها[3]، وهو ما رآه المتأخرون أشكالا وقوالب لتوليد المعاني[4]، وفرقوا بين الصيغة والميزان، فالصيغة عندهم بناء صرفي والوزن بناء صوتي يشكلان معا «قوالب فكرية تصب فيها المعاني العامة، فتحددها وتعطيها حجمها ومعناها.»[5]، وهي بهذا أقيسة عامة؛ وأرى- بناءً على جملة التعريفات- أن الصيغة مجرد مصفوفات صوتية صامتة(حروف) ،تعطي دلالة لغوية مختلفة؛ مع إضافة الصوائت (الحركات)، وهي تشكيل لجذري الثلاثي (فَعَلَ)، والرباعي (فَعْلَلَ) في عملية الاشتقاق وتوليد المعاني ف «الصيغة تحدد المادة الأصلية من المزيدة في الكلمة.»[6]

ومن هنا – ومن مقتضى ضروريات البحث في الموضوع- يكون حريا بنا النظر في الجوانب التالية :

1- الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، ط02، 1982م، 1324/4.
2- المصدر نفسه، ج352/2.
3- حاشية أحمد الرفاعي على شرح بحرق اليمني على لامية الأفعال، وحاشية الصبان 236/4
4- اللغة معناها ومبناها، تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط02 ،1979م، 236/4.
5- المرجع نفسه،144/4.
6- ينظر: اللغة معناها ومبناها، تمام حسان ،ص: 115،116.

أ دراسة الصيغ الفعلية الرباعية المستعملة في القرآن الكريم بأعدادها الثمانية وحسب.

ب –تناول صيغة الفعل الرباعي الواردة في القرآن المضعفة منها وغير المضعفة في ضوء ما تسمح به مستويات اللغة.

ج – دراستها في ضوء ما يمكنه لنا الدرس الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي بالتحديد.

ومسألة أصالة الفعل الرباعي في اللغة العربية ،كانت دوما قضية خلاف بين أهل اللغة ولا تزال من حيث وجود صيغة رباعية من عدمها ؛فمدار الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة هو : هل في لغة العرب فعل بأربعة أحرف أصلية مستقل بذاته ،أم لا يعدو أن تكون صيغة مطورة نشأت عن فعل ثلاثي لغرض التوسع في المعنى؟

لقد مكننا النظر الفاحص في تراثنا اللغوي، الوارد إلينا عن أئمة اللغة الأعلام من الوقوف على التباين في مسألة تأصيل الصيغة الرباعية؛ من حيث وجودها من عدمه كتشكيل صوتي مستقل بأصواته، وقائم بتركيبه بذاته.

فالاتجاه البصري وجدناه على رأس من تناول الصيغة بالدراسة في ضوء مذهبه واعتبرها صنفا مستقلا من الكلام من ضمن ثلاثة أصناف متباينة هي: الثلاثي والرباعي من الأفعال والخماسي من الأسماء ،ولو أنهم لم يفردوا لها بابا خاصا، وإنما اعتنوا به ضمن الإطار الأشمل للكلمة العربية وقالوا أن الرباعي من الأصول لا زيادة فيه و«ذهب البصريون إلى أن بنات الأربعة والخمسة ضربان غير بنات الثلاثة وأنهما من جعفر وسفرجل لا زائد

فيهما البتة.»[1]، وقد تحججوا على أصالة الصيغة في مذهبهم بأصلية الحرف الرابع ؛الذي يلازم مجموع صوامت الفعل في جميع تصاريفها.

والمدرسة البصرية، وهي تنتصر لأصلية الرباعي في رحاب الحقل اللغوي العربي؛نجدها لا تفرق بين الرباعي المضعف، وغير المضعف فكلاهما جاء على دلالة استمرار الحكاية على حد تعبير سيبويه، وهو ما نستشفه لاحقا في مقام تناول معاني الصيغة الرباعية، ومدلولاتها في السياقات القرآنية.

أما الاتجاه الكوفي فنظر إلى الفعل الرباعي على أنه أصل ثلاثي، والحرف الرابع منه زائد، «..فإن كان على أربعة أحرف نحو: جعفر، ففيه زيادة حرف واحد.»[2]، وعلماء الكوفة إذ ينتصرون لرأيهم هذا، إنما ينطلقون من قاعدة ثابتة عندهم وهي: أن الثلاثي أعلى ما يكون عليه الأصل عندهم.

ومنه نظروا إلى الأصول الأربعة في بنية الرباعي على أنها منشأ لتراكب لفظي أوجدته الخاطرة اللفظية في تداعي فعلين في تركيب واحد، والاحتكام بهما إلى المعنى وهو ما ينسجم مع رأي أحد أقطاب المدرسة البصرية سيبويه القائل: إنَّ التضعيف استمرار للحكاية.

وعلى الرغم من اتفاق أئمة المدرسة الكوفية على أن الرباعي ثلاثي مزيد بحرف،إلا أنهم تخبطوا تخبطا شديدا في تحديد الحرف الزائد، كما سيظهر لنا لاحقا في آراء كل من

1- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الانباري، دار الفكر دمشق، تحقيق: محي الدين عبد الحميد،ط1 ، 1961م مصر : 793/2.

2- المرجع نفسه، 793/2.

الفراء والكسائي؛ «..وأما ما زاد نحو جعفر وسفرجل فاختلفوا فيه..»[1] وقال الكوفيون بالزيادة على الصيغتين المجردة ومضاعفة الحكاية ،مثلما قالت البصرية بأصالتهما واستقلاليتهما.

وتنزع آراء كثير من الباحثين اليوم في المسألة نزعة الكوفيين، حيث ذهبوا إلى أن الأفعال الرباعية نشأت من أصول ثلاثية، وأن الأفعال الثلاثية بدورها نشأت من أصول ثنائية في خضم عملية الاشتقاق؛ وقد مثل هذا الرأي الأب مرمرجي الدومينيكي، حيث قال:«الثنائية لا الثلاثية والرباعية هي مبدأ الاشتقاق في العربية.»[2]؛ وقد غالى آخرون في الرأي، وذهبوا مذهبا، يستوجب النظر كعبد الله العلايلي، حيث رأى أن اللغة بدأت أحادية، ثم تطورت إلى الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية والسداسية[3]، وهي آراء . في مقام البحث اللغوي. تحفظ ولا ترد...

إن تعدد الآراء وتنوعها في مسألة تأصيل الفعل الرباعي، هي ما سيكون لنا ذخيرة ومادة خاما في تناول الصيغ القرآنية المستعملة في الآيات القرآنية طيلة هذا البحث من حيث التركيبة الصوتية لحروفها ومعرفة أسرار تلك المجاورة الصوتية بين صوامت الرباعي،والمعاني التي تتولد عن تشاوجها، فالأفعال الرباعية. بما مرّ معناَ. نوع قائم بذاته، له

1- همع الهوامع في جمع الجوامع،جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، المكتبة التوفيقية، مصر: تحقيق: عبد الحميد هنداوي 452/3.

2- هل العربية منطقية ؟ الأب مرمرجي الدومينيكي، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1947م، ص: 150.

3- مقدمة لدرس لغة العرب، عبد الله العلايلي، المطبعة العصرية، مصر، دون طبعة، ص: 154.

استعمالاته الخاصة ووظائفه الدلالية في داخل السياق، وله معانيه المعجمية، وله حضوره المستقل في اللغة وتأثيره فيها.

ثم أن للصيغة الرباعية دلالة نحوية نلمسها في تعدية أفعالها ولزومها تركيبا معينا،بعناصر محددة ومنها الوقوف على أغراض حذف الفاعل بعد الأفعال المبنية للمجهول؛ وأثر كل ذلك على السياق العام للآيات، ثم محاولة فهم الزمن النحوي الذي ترمي إليه الأفعال الرباعية في الماضي والمضارع بالكشف عن العمق الدلالي، وظاهرة هذه الأزمنة في انصرافها إلى الحاضر والاستقبال في صورة الماضي؛ وأدائها لمعنى الماضي في زمنها الدال على المضارع، وبصمة كل تلك الدلالات في توجيه نصوص الآيات القرآنية الوجهة التي ارتضاها جمهور المفسرين في تجلية مقاصد الذكر الحكيم.

فظاهرة البناء للمجهول في اللغة العربية ذات خصوصية لغوية في تطورها وانحسارها، فصيغ البناء للمجهول ـ كما لا يخفى ـ تلاشت من على ألسنة العامة في القرون المتأخرة، ونابت عنها صيغ المطاوعة، الخارجة عن القياس الصرفي المعهود في الفصحى ولم تكفلها إلا لغة القرآن الكريم بفضل فصاحتها، واحتفاظها بقياساتها السليمة فاستعملتها ضمن أساليب دقيقة لتأدية وظيفتين في آن واحد: وظيفة تعبيرية وأخرى فنية جمالية.

وجملة المبني للمجهول في قول النحاة متولدة من جملة المبني للمعلوم، محل الشاهد في تركيبها الناتج عن هذا التوليد ظاهرة الفاعل المحذوف فيها، والذي يشكل السمة البارزة لكثير من الجمل القرآنية؛ وتتبع احتجاب الفاعل في البنية العميقة لهذه التراكيب، هو ما

يدفعنا خلال هذا البحث إلى تناول جملة أغراض البناء للمجهول، والكامنة أساسا في المرسلة المحددة لمقصودية النص القرآني والتي يستهدف بها الباري عز وجل عباده بمكونات لغوية وفكرية وثقافية وجمالية، تكون فيها الجملة المبنية للمجهول في محكم التنزيل مناط السر.

وهي خصوصية لها أكبر الأثر في نسيجه القائم على التصور الكلي والكامل للغة إذ يقول بشأنها تمام حسان: «لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، لا بنحو عربي مبين وهكذا امتدت تراكيبه على رحابة اللغة، ولم ينحبس في بوتقة القواعد النحوية، فالقرآن يهيمن على اللغة كلها ما اطرد منها وما لم يطرد.»[1]؛ ومسألة أغراض البناء للمجهول في القرآن الكريم تخضع لمقصود المرسل وهو صاحب التنزيل من خلال المرسلة، أي مضمون الرسالة السامية فيها إلى عموم المرسل إليهم، ومنه وجدنا أن أغراض البناء للمجهول تنحصر في الإيجاز والجهل بالفاعل أو لِعِلْمٍ به، أو حذفه للتعظيم أو للتحقير أو للتهويل أو للتعميم وغيرها مما سنفصل فيه لاحقا.

وفي المستوى النحوي ذاته، نقف بالبحث على صور تلكم التحولات الزمنية، التي تطرأ على صيغ الأفعال الرباعية في السياق القرآني، وذلك بالتحول من زمن الماضي إلى الحاضر أو المستقبل والعكس و السياق نفسه؛ ودلالة كل تلك التحولات،كما سيتم التمثيل عليه لاحقا. هذه التحولات في السياق القرآني الواحد ،تكشفت عن وجه من وجوه الالتفات في النظم القرآني وعن أثر بياني وسر بلاغي غاية في الإبهار.

1- البيان في روائع القرآن، د:تمام حسان، القاهرة، 1993م، ص: 283.

والبحث في تحولات أزمنة الرباعي في القرآن لا يقف معنا عند حدود التعليل النحوي لأزمنة الرباعي المتخيرة في القرآن، بل يتجاوزه إلى التحليل الدلالي لهذه التحولات؛ لذلك سيمكننا معرفة الزمن الصرفي لهذه الأفعال، وهو الزمن الذي تدل عليه الصيغة المفردة خارج السياق، ومعرفة زمنها النحوي أو ما يسمى بـ: الزمن السياقي التركيبي، وهو الذي تحدده القرينة اللفظية أي: معنى الفعل وزمنيته في السياق ،فمن أمثلة التحولات الزمنية التي سنتناولها في البحث لاحقا، فيما يتعلق بالزمن الصرفي وما يدل على الزمن المنقطع قول الباري جل وعلا في سورة فصلت، الآية الحادية عشرة:« **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْكَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**» .

فالأفعال الماضية (استوى، قالتا، أتينا) زمنها صرفي منقطع ولا دلالة له سياقيا على الاستقبال البتة، إذ أن حدث الاستواء من لدن الخالق على العرش، وأمره إلى السماء والأرض بالإتيان طوعا وكرها تم مع بدء الخليقة وانتهى ،في حين يدلل الزمن النحوي السياقي التركيبي على حركية زمنية داخل السياق مدللة على الاستقبال والاستمرار والديمومة مثلما نفهمه في قوله تعالى في سورة ق الآية: التاسعة عشرة « **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ**»، إذ يفيد ماضي الفعل (جاء) في سياق الآية: الحاضر والاستقبال لما هو آت، على اعتبار أن مجيء سكرة الموت كانت وستكون حتما مقضيا على الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛فهي غير منقطعة بدلالة زمن الفعل في الماضي، بل متحولة لخصوصية مقتضاه، بَيَّنها ابن الأثير بقوله: «واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان، أن التحول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو لا

يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارها،وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك فإنه من أشكل ضروب علم البيان وأدقها فهما،وأغمضها طريقا.»[1]

والتفتيش عن دفائن الصيغة الرباعية في القرآن كأفعال ماضية أو مضارعة مبنية للمعلوم لازمة ومتعدية في جمل تامة، هو ما لفت الانتباه إلى هذا الوجه الآخر من وجوه الإعجاز القرآني، ونعني به الزمن النحوي الذي تتحرك في حيزه هذه الأفعال فقد تبين بالنظر في أزمنتها التي عليها أنها تعرف تحولات زمنية في التركيب القرآني، وأن للماضي منها وجهة أخرى تدلل على الحاضر والمستقبل في بنى عميقة غير سطحية التي هي عليها، وهو الأمر نفسه مع زمن المضارع الذي يأخذ وجهة على نسق مخالف ليدلل على الماضي والحاضر والمستقبل على حد السواء أو ما يعرف بـ«الزمن الدائم» كما يتبين في قوله تعالى«**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**»[2]، فالأفعال في سياق الآية عدلت عن أزمنتها الظاهرة إلى أزمنة أخرى فالفعلان[جاءك وقالوا] يلوحان بدلالة الحاضر والمستقبل من قبيل قولنا[إذا يجيئك المنافقون يقولون..]

أما الأفعال المضارعة في التركيب عينه لم ترد على نفس الاطراد والمطابقة الزمنية [نشهد ويعلم ويشهد] فهي بمعنى الزمن الدائم بحكم أن الله تبارك وتعالى شهد في الماضي

1- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق، د: أحمد الحوفي، مكتبة النهضة، مصر، ط1، 1959م، ص:419.

2- المنافقون:01.

لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة في بشارة المسيح عليه السلام: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ..** ﴾[1]، أما المنافق فإنما يصطنع الشهادة في نفسه تدليسا من قبل أن يتلفظ بها كذبا وزورا، وعلى ذلك التحول الزمني تكون الأفعال على أزمنة الماضي كقولنا[قالوا: شَهِدْنا والله عَلِمَ والله شَهِدَ] وفي ذلك مثير أسلوبي حقيق بالالتفات إلى التركيبة البيانية البديعة للقرآن الكريم.

لقد اعتدنا في موروثنا اللغوي على قاعدة ثابتة أسس عليها علماؤنا الأفذاذ بنيانهم في تناول الدرس اللغوي لغة وبيانا وهي أن: كل تغيير في المبنى هو تغيير في المعنى من ثم صرفوا جهودهم للعناية بالألفاظ المستجلبة للمعاني، وتتبعوا الصيغ في سبيل إثراء السياق في مقامات البيان وضروب الكلام إذ: «لما كثرت المعاني استوجبت كثرة المباني فلم يصبح التضعيف وحده كافيا في أداء المعاني الكثيرة، وعمدت طبيعة اللغة إلى اجتلاب أحرف الزيادة.»[2]

فكانت الدلالة الصوتية بأجراس ألفاظها مناط السر في الإيحاء بقوة المعنى على قوة اللفظ فهي أدلة على بعضها وأمثلة على الإبانة عنها: «..فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني.»[3]، من ذلك ظاهرة الفعل الرباعي في القرآن الكريم كتشكيل صوتي

1- الصف:06.

2- ينظر: أثر التضعيف في تطور اللغة العربية والإبدال الذي غفل عنه علماء اللغة، مصطفى جواد ص:57، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة العدد: 19، 1959.

3- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير:250/2.

مميز سواء في تركيبة صوامته المختلفة أم التركيبة المتجانسة لحروفه، والتي كان لتخير القرآن لها . على قلتها . أثره البالغ في التوطئة للانسجام داخل السياق بفضل مزية ترجيع الحرف وتكراره مرة تلو مرة وهو ما يتساوق مع سمة المحاكاة :«سواء ظهر الانسجام كليا بين الدال والمدلول أم اقتصر على جزء من مركبات الدال فحسب؛ صوتا كان أو مقطعا فالمنطق هو فكرة المضاهاة.»[1]؛ من هنا كان العدول عن جذر الثلاثي وتحوله إلى صيغة رباعية قائمة بذاتها أثره الجمالي وبعده الدلالي في تصوير الموقف القرآني الذي يرمي إليه السياق في تجلية وبيان مراد الله.

إن الفعل الرباعي على خاصيته التركيبية وتفرده في الحقل العام للغة ليس مفصولا عن ما تطرحه مستويات اللغة، ولم يكن ليقتصر على سمة بعينها تخص الصوت والبناء الصرفي والإيحاء الدلالي وحسب؛ بل وجدناه في السياقات ذاتها وظيفيا تكشف عن إعجاز رباني في تخير الألفاظ الأنسب لأداء ما أضحى يعرف في حقل التواصل بالمرسلة الخطابية.

هذا المثير الأسلوبي نلمسه بجلاء في تلكم المقاربة بين صيغ الفعل الرباعي،والمعاني الجليلة التي يتقصدها الباري جل وعلا في خطابه لخلقه؛ فكان التناسق البديع للنظم القرآني في ترتيبه وانسجام آياته مع بعضها أثره البياني السامي في رسم خصوصية للنظام القرآني على حد وصف عبد الحميد الفراهي [ت:1349هـ] الذي قال فيه:«ومرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة...ترى القرآن كله كلاما واحدا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه

1- الدرس الصوتي عند الخليل بين المعيارية والوصفية ص:20 ،21، جعفر يايوش مجلة الآداب، جامعة قسنطينة،العدد:02،ص:19.

من الأول إلى الآخر.»[1]، وهذه التراتبية لا تقتصر على انسجام الآيات وتآلفها؛ بل تتعداه إلى حروف هذه الآيات بإيحاءاتها وتواشجها مع معاني ودلالات الكلمات، لتشكل معا نسيجا واحدا غاية في الإبهار؛ إلى ذلك صرف علماء التفسير عنايتهم، لإثبات أن القرآن الكريم الذي بين الدفتين اليوم بين أيدي الناس، هو ما نزل من عند الله بكماله وتمامه. وعلماء التفسير في عنايتهم بكتاب الله وانكبابهم على تحصيل كنوزه، إنما يردون على من قال بالتبديل والزيادة والنقصان في القرآن الكريم.[2]

لقد انصبت عناية القرآن الكريم على الاهتمام بإذكاء وهج الكلمة عند عموم الناطقين بلسان الضاد؛ وتألق العبارة في منظار حياتهم ،فانبرى البيان القرآني على تحقيق موسيقى اللفظ في جمله وتناغم الحروف في تراكيبه، واعتدال الوِحْدات الصوتية في مقاطعه،فتحقق من ذلك توازن النبرات في مخارج الكلمات، وتلاءمت الأصوات في تراكيب البيان، فجاء كل لفظ في السياق القرآني منسجما مع صورته الذهنية من ناحية ومع دلالته السمعية من ناحية أخرى.

إن الذي تستسيغه النفس، ويستلذه السمع، وتقبل عليه العاطفة، هو المتحقق في الرقة والعذوبة والذي تتوجس منه النفس وتشرئب له الأعناق، فهو المتحقق في الزجر

1- ينظر: دلائل النظام، حميد الدين عبد الحميد الأنصاري الفراهي، الدائرة الحميدية ومكتبتها، 1388هـ الهند،ص:75.

2- زعم علماء الفرقة الاثني عشرية الرافضية، كما زعم المستشرقون النصارى أن القرآن أنقص فيه وزيد حتى أن أحدهم ويدعى نوري الطبرسي ألف كتابا في تحريف القرآن سماه: فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب..!!

والشدة، فيأتي على ذلك مراد القرآن في تنبيه المشاعر، وإثارة الانفعال المترتب عن هذه الألفاظ القرآنية المتخيرة في مواقعها.

والبيان القرآني المحكم تلمس فيه مثل هذه الفروق بين مجموع هذه الأصوات في إيقاعها،وتتعرف فيه على ما يوحيه كل لفظ من صورة سمعية صارخة، تختلف عن سواها قوة أو ضعفا رقة أو خشونة، فندرك بين الفارقين مقصودية المعنى المراد؛ والذي يستهدف استثارة الفِطَر وإذكاء الحفائظ، ومواكبة الطبائع بدقة متناهية؛ والمعول في كل ذلك منظومة الجملة القرآنية بموسيقى لفظها، وتناغم كلماتها ودلالة سياقاتها.

إن إيقاع اللفظ المفرد، وتناغم الكلمة الواحدة عبارة عن جرس موسيقي، فيما يجلبه من وقع في الأذن وأثر عند المتلقي؛ يساعد على تنبيه الأحاسيس في النفس الإنسانية، لهذا كان ما أورده القرآن الكريم في هذا السياق، متجاوبا مع معطيات الدلالة الصوتية، «التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها.»[1]، فتوحي بأثر خاص يستنبط من ضم الحروف بعضها ببعض، ويُقرأ من خلال تشابك عبارات النص، فيعطي مدلولا متميزا في مجالات عدة: كالرغبة والرهبة والوعد والوعيد واليأس والرجاء، أي مناخ حافل بالدلالة الصوتية، في ظلال مكثفة من الجرس والنغم والصدى والإيقاع،يقول عنها الخطابي (ت:383) مفصلا: «إنما الكلام يقوم بأشياء ثلاثة: لفظ حاصل،ومعنى به قائم، ورباط

1- ينظر دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة السادسة ، القاهرة ،مصر،1986م ، ص: 46.

لها ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه.»[1]

والفعل الرباعي بتركيبته الصوتية هو ما وجدناه لفظا فارقا في سياق الآيات القرآنية بفضل المقاربة التي يصنعها في بيان المعنى والتدليل عليه، كونه الكلمة المفتاحية في فهم السياق العام الذي تستهدفه الآيات القرآنية. فلقد كان لثراء الصيغ الرباعية المتخيرة في القرآن الكريم بجرس أصواتها وبديع انسجامها، وتشكيلة أصواتها أثره في إضفاء رنين مميز تتنوع بين الشدة والرخاوة والاستعلاء والاستفال والجهر والهمس، إذ أصواتها تعرو ألفاظها في مواطن العنف أو بيان الباطل وإظهار الحق أو تصوير مشهد إذ: «تتخذ اللغة القرآنية أحيانا من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه، والإيحاء بما يدل عليه معتمدة في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية، وما تشيعه بجرسها الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد.»[2]

فكان الجرس القوي في الدمدمة وفي الزلزلة رسائل من لدن رب العالمين للخليقة بأن ربهم واحد وأنه سبحانه الأحق بالعبادة ،وأن وعده حق يوم لقائه فجاءت تلك الألفاظ السامية المميزة مدللة على وعده ووعيده ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ**

1- يراجع :بيان الإعجاز للخطابي، تحقيق محمد خلف أحمد ومحمد زغلول سلام،دار المعارف،ط2 ،1967، ص:28.

2- ينظر:جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980م ،ص:165.

لِكَلِمَاتِهِ وَهُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]؛ وكان الانفجار المدوي في (حصحص) علامة على غلبة الحق وانبلاجه مهما طال ليل الباطل؛وتأتي (وسوس) همَّاسة في الآذان لتسلب القلوب وتصرفها عن جادة الحق، فتأسر على نقيضها (عسعس) الألباب، فيُشعر اللفظ بخصوصية جرس حروفه. السامع بسكون الليل،وعظمة نعمة السبات والإخلاد للراحة أما من التركيبة الصوتية لـ: (زحزح وكبكب وبعثر) فيُجَرِّس العنف وتصوِّت القوة وترتسم درامية الصورة؛ فبمثل هذه الإيحاءات الدلالية والاستقراءات النغمية في التركيبة الصوتية للرباعي أمكننا استيعاب الرسالة الضمنية لفحوى الآية القرآنية واكتشاف سر تخيرها لنسيج هذه المرسلة السامية.

إن جمهور أهل التفسير لم يألوا جهدا في بيان مقاصد القرآن العظيم، فكانت جهودهم الجبارة مما نعتد به في فهم القرآن رواية ودراية؛ فالنص القرآني نسيج وحده،ولفهمه الفهم الأليق بإعجازه وجب اختيار وتبني المنهج الأنسب من جملة المناهج المتعددة، وقد أبانت التفاسير التي بين أيدينا أن أهل التفسير ورجاله نزعوا في تناولهم للنص القرآني. إلى اعتماد الإجراء التحليلي،كونه الأكفل بالغوص في أعماق النص، لفظا ومعنى وبلاغة وأحكاما ومقاصد، فمكنهم هذا الإجراء من الوقوف على أكثر أسرار النص السامي ولطائفه.

واللافت أن هذا الإجراء له أدواته ووسائله التي وفرها المفسر لقراءة النص القرآني وتشمل الصوت والنحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه وعلوم القرآن، فكانت دلالات

1- الأنعام :115.

الأفعال الرباعية . محور بحثنا . ممن خضعت لهذا الإجراء، باعتبارها ركائز البناء القرآني وأصوله في النهل من علوم القرآن والسنة « الأفعال أصول مباني أكثر الكلام،ولذلك سمتها العلماء الأبنية، وبعلمها يستدل على أكثر علم القرآن والسنة ،وهي حركات مقتضيات»[1]، من ثم عمد البحث إلى استقراء الفعل الرباعي في القرآن الكريم بصيغتيه المختلفتين: المجردة والمكررة، فقادنا الحديث إلى تلمس معاني صيغ هذه الأفعال الرباعية على قلتها المذكورة في السياق القرآني، وعرض إفاضات أعلام التفسير في ذكر معاني ودلالات هذه الكلمات التي تعتبر مفتاحية يوجه بها العلماء السياق القرآني الوجهة المرتضاة، فإن مواضع استعمالها صورت المعنى أبهى تصوير وبأروع تعبير، إذ لولاها لتقاصرت صيغ أخرى على تأدية المعنى وتجلية المقاصد لفظا وصوتا وجرسا، فجاءت هذه الصيغ المتفردة منسجمة مع سياقاتها الواردة فيها.

وباستقراء هذه الأفعال الثمانية المتخيرة في السياق القرآني، صيغة، صيغة تبين أنها تصويرية لما هو ظاهر للعيان وكاشفة لما خفي عن الإدراك العام ،إذ ترسم كلمة(دمدم) صورة مدوية لغضب إلهي على كل معاند لم يرعو من غيِّه الذي سدر فيه ،فجاء اللفظ بإزائه لـ:« يوحي لما وراءه ويصور معناه بجرسه، ويكاد يرسم مشهدا مروعا مخيفا، وقد جعل الله أرضهم عاليها سافلها وهو المشهد الذي يرتسم بعد الدمار العنيف»[2]، وتأتي صيغة (زلزل) بنفس الدوي وعلى نفس القدر من الرعب والتخويف لترسم المشهد ذاته،ولو أننا

1- الأفعال، تأليف أبي القاسم، علي بن جعفر، المعروف بابن القطاع، ط1، مصر، 1983م،8/1.

2- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، المطبعة الشرعية،ط24، مصر، 2004م :3919/6.

وجدنا الصيغة موظفة في السياق المحكم على وجهي الحقيقة مرة والمجاز في أخرى كما سنقف عليه لاحقا.

وصيغتا (دمدم وزلزل) تختصان بوقائع دنيوية بالدرجة الأولى محورها الإنسان المكلف في حين تأتي صيغة(عسعس) لترسم في النفس هدوءا يبعث على الانشراح والسكينة من خلال لازمة النهار والليل الفلكيتين المنسابتين في تتابع محكم جديرة بالتدبر والإذعان للعزيز المقتدر وهو القصد الذي أجمع عليه عموم المفسرين للآيات الواردة في سياقها- فيما اطلعنا - ثم تحدثنا عن صيغ أخرى ذات صلة بمكنونات النفس وأسرارها فوجدنا علام الغيوب يكشف عن خبيئة النفس البشرية، ويعرضها ماثلة من غير حجاب؛إذ ترد صيغة(حصحص) في سياق جدلية إنسانية محضة مناط السر فيها ذلكم الصراع الأزلي بين الحق والباطل، فتجيء حصحص لتكشف عن سر دفين وتَبِين عن حق غطى عليه الباطل في جولة؛ يراها الأستاذ أبو السعود في إرشاد العقل السليم فارقة إذ:« ثبتت حصة الحق من حصة الباطل كما تبين حصص الأراضي.»[1]

ثم نجد في السياق القرآني ذاته صيغة (وسوس) لتكشف عن ذلك الكلام غير المسموع الذي يدور ويختلج في النفس، وتعجز الأسماع عن التقاطه إلا ما كان من السميع

1- إرشاد العقل السليم، أبو السعود ،ص: 284 ،285 ، دار إحياء التراث، بيروت،ط1994/4م.

العليم[1]، فكان اللفظ في مستوى دلالة الكلام الخفي، أي:« ما يختلج في سر الإنسان وقلبه وضميره وفي هذا زجر عن المعاصي التي ستخفى بها.»[2]

ثم تواصل بنا الحديث في أسرار الصيغ الرباعية لنقف على صيغتي(كبكب وزحزح) فنلتمس في تخير القرآن الكريم لها صورا مستحضرة من الآخرة لمصائر الناس،في مشاهد مفزعة هي الأخرى، إذ يحمل المفسرون تفسير كبكب على محتوى معناها، فأرجعوا معناها إلى أصل واحد أي: قلبوا على رؤوسهم، فهو على رأي صاحب الظلال:«لفظ مصور بجرسه لمعناه، وإنهم لغاوون وقد كبكب معهم جميع الغاوين.»[3]، وهي الصورة نفسها مع صيغة زحزح مرسومة لمعناها هي الأخرى؛ إذ تفيد معنى مجاوزة النار بمفازة. والقرآن الكريم بتخيره لصيغتي (زحزح،كبكب) إنما ينقل لنا صورة غيبية عن مصائر العباد.

ولقد دقق علماء التفسير في مدلولات اللفظين ،فوقفوا على مسألة تناسب الألفاظ مع المعاني في السياق، فحصلت عندهم الأوصاف القرآنية التي وضعت في محلها الدلالي

1- روى ابن هشام في السيرة أن رسول الله "صلى الله عليه وسلم" مر برجل يوم فتح مكة يحدث نفسه بهذا الكلام: « لو أني خرجت في الأعراب فجمعت لهذا الرجل» فضرب رسول الله على صدره قائلا له " إذن يخزيك الله "، ينظر: السيرة النبوية لابن هشام علق عليها عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،بيروت،1990م ، ط3،ص:185.

2- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله القرطبي، تحقيق : سمير البخاري الناشر،8/17،دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ- 2003م.

3- ينظر: مشاهد يوم القيامة في القرآن لسيد قطب، دار الشروق، المطبعة الشرعية، مصر،2004م، ص: 133، 134.

المقصود وفق ما حوته الألفاظ من معان في أصلها اللغوي، ثم العناية بها في داخل السياق، لإثراء الدلالة السياقية في مقامات الكلام الرباني السامي.

ثم ترد صيغة(بعثر) شرطا من أشراط الساعة، إذ تصور هذه الصيغة الرباعية مشهدا من الانهيار العام للوجود الكوني، والذي تكون صورة بعثرة القبور فيه جزءا من المشهد العام الذي يبدأ بالسماء وكواكبها وينتهي بالأرض وبواطنها، وهي مما يساق في مقام التخويف واللفظ على ذلك من الغيبيات، التي يستحضرها الخالق جل وعلا في أذهان العباد في مقام الموعظة والتخويف.

إن إعجاز القرآن كامن- ولا ريب- في إيجازه، واحتواء لفظه القليل على المعاني الكثيرة وإعجازه من جهة حسن تركيبه، وبديع ترتيبه، واتساقه الآسر، الذي خرج عن النظم المألوف وأنماط الأراجيز وقوانين النثر المعروف .

فقد تبين لنا من خلال فسحتنا العلمية طيلة هذا البحث أن الفعل الرباعي الوارد في القرآن الكريم جاء تخيره من لدن رب العالمين دقيقا لأداء وظيفة مضبوطة ومحددة، تقوم على أداء المعنى وتصويره بعيدا عن الكلفة بأحسن تأليف بالحروف المتلائمة استحضرت في دلالتها الأزمنة الغابرة واللاحقة بأمكنتها وشخوصها، ليرتسم المشهد في القلوب والعقول معا؛ بِسِمَةٍ من الترابط والتناسق بين مختلف الجزئيات في سياق هذا المشهد مع الجرس والألفاظ والاتساق والسياق، قال عنه سيد قطب في المشاهد: «هو تناسق يتجلى في جزئيات المشهد فتتبدى هذه الجزئيات منسقة بين بعضها البعض، لتصنع لونا من التماثل

أو التشابه أو التداعي أو التقابل ولكنها من جو واحد لا نشوز فيه، ولا مفارقات، ويتجلى ثانية في جرس الألفاظ،ليدل هذا الجرس على صورة معناه في بعض الأحيان؛ ليؤلف مع بقية الألفاظ إيقاعا يناسب جو المشهد في جميع المشاهد، فإذا الموسيقى المصاحبة للمشهد تكمل جوه، وتناسب أحاسيسه، وتشترك مع الألفاظ في تصوير الغرض العام.»[1]، حقا إن الإعجاز القرآني ليتحقق بما يقع في النفوس عند تلاوته من الروعة، وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة، وما يلحقها تأثرا من الخشية، سواء فهم المعنى أو لم يفهم.

1- مشاهد القيامة في القرآن ،ص:47.

الفصل الأول

أصل الفعل الرباعي المجرد والمضاعف و تركيبتهما الصوتية.

أصل الفعل الرباعي المجرد وتركيبته الصوتية:

لم تتفق آراء علماء اللغة القدماء والمحدثين على أصلية الفعل الرباعي وتركيبته كنوع من الصيغ الإفرادية،ذات الأصوات الأربعة المختلفة والتي يرمز لها بـ:(1،2، 3،4)، أو الصيغة بأربعة أصوات مؤتلفة ورمزها (1،2 ،1 ،2)، قياسا بالصيغة الثلاثية المتعددة والكثيرة وتمييزا عنها،واختلفوا في هذا النوع من الصيغة، فمنهم من رآه أصلا قائما بذاته تشكيلا صوتيا وبناء صرفيا ؛ ومنهم من رآه منحوتا عن كلمتين وبعضهم الآخر من المتقدمين والمتأخرين اعتبره حلقة مطورة عن الثلاثي، في خضم التطور الحتمي للّغة،بإضافة صامت رابع مبتدع، تكوّن آليا بتوسع الفعل الثلاثي مستفيدا من مزية الاشتقاق.

فثمة إذن خلاف واضح في تناول مسألة تأصيل الفعل الرباعي في اللغة العربية لاسيما بين المدرستين الأشهر: المدرسة البصرية،والمدرسة الكوفية على اعتبار أنهما كانت لهما الحظوة،وقصب السبق في العناية بدراسة علوم وفنون اللغة بشكل عام وقضية أصالة الفعل الرباعي بشكل خاص.

واللافت في الخلاف: منهج كل مدرسة في دراسة الصيغة الرباعية، فالبصريون تناولوا المسألة في ضوء مذهبهم القائم على فكرة أن أصل الكلمة العربية متعدد، ينطلق من التصنيفات المتبناة في التصريف العربي: بنات الثلاثة وبنات الأربعة وبنات الخمسة على حد تعبير سيبويه؛ وأن القول بأن الرباعي أصله ثلاثي، تشكَّل بزيادة حرف رابع قول يخالف الميزان الصرفي .

فالرباعي[جعفر]وزنه [فعلل]واعتباره مزيدا بحرف، يتوجب أوزانا بحسب الحرف الزائد الراء أو الفاء أو العين فتكون الأوزان تبعا لذلك [فعلر أوفعفع أوفعَّل]، «لأن الزائد يوزن بلفظه»[1]، ومن ثم حكموا على أن ما لازم الكلمة في جميع تصاريفها: عُدَّ أصليا.

أما الكوفيون فنزعوا إلى الرأي الذي خالفوا به البصريين وقالوا: «أن كل اسم زادت حروفه على ثلاثة أحرف ففيه زيادة..»[2]، وتحججوا بمزية الاشتقاق التي جعلوها معيارا يرجعون إليه في التفريق بين الأصلي من المزيد ؛إذ يسمح الاشتقاق من إرجاع اللفظ إلى الأصل الواحد بتوليد لفظ من لفظ وهو منهج معتبر يحتكم إليه الصرفيون في تناولهم للكلمة العربية بشكل عام.

وعليه . وبناء . على هذه الإفادات نسوق جملة الآراء الواردة في قضية الرباعي للوقوف على كل رأي على حدا، من قبيل بيان التضارب من التوافق في تحديد أصل هذا التركيب.

تأصيل الفعل الرباعي المجرد:

1- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنبا ري، ج 2 / ص: 793.
2- المصدر نفسه ج2 / ص:794.

أولا: الرباعي أصل قائم بذاته:

نجد على رأس من تزعم هذا الرأي سيبويه (ت:180)؛ إذ زعم أن الفعل الرباعي صيغة أصلية، وهو نوع مستقل عن الثلاثي: « وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كل شيء من الأسماء والأفعال...ثم ما جاء كان على أربعة بعده.»[1]، وقد أفرد له بابا ميز به الصيغة عن غيرها: «هذا باب تمييز بنات الأربعة والخمسة من الثلاثة فأما جعفر فمن بنات الأربعة لا زيادة فيه، لأنه ليس شيء من أمهات الزوائد فيه ، ولا حروف الزوائد، التي تجعلها زوائد بثبت، وإنما بنات الأربعة صنف لا زيادة فيه كما أن بنات الثلاثة صنف لا زيادة فيه.»[2]

ويتحجج بعدها بقصة [جعفر]في الاستدلال على أصلية حروف الرباعي، وأن الكلام لا زيادة فيه فيقول:«..فمن زعم أن الراء في [جعفر] زائدة أو الفاء فهو ينبغي له أن يقول: إنه فَعْلَر وفَعْفَل وينبغي له إن جاء الأولى زائدة أن يقول: جَفْعَل، وإن جعل الثاني أو الثالث أن يقول: فَعْعَل..فإذا قال هذا النحو جعل الحروف غير الزوائد زوائِدَ وقال ما لا يقوله أحد.»[3]، وإلى الرأي ذاته مال ابن جني (ت392هـ) حيث عدّ الصامت الرابع في مثل الرباعي (سبطر)[4]،أو حشرج[1] كلمات رباعية الأصل لأن حرف الراء أصلي وليس

1- الكتاب، سيبويه، عمرو بن بشر بن قمبر، تحقيق ،عبد السلام هارون، دار الجيل ،ط1 ، 1988م. بيروت، 4/228-229.

2- المصدر نفسه:4/ 328.

3- المصدر السابق:4/328.

4- بمعنى اضطجع ، ينظر القاموس المحيط ص: 404.

زائدا فكل ما جاء على وزن "فَعْلَلَ" رباعي صحيح على هذا[2]؛ وقال بـ : الأصول الثلاثة: الثلاثي والرباعي والخماسي تمييزا بينها ؛ حيث قال في المسألة ما نصه :« اعلم أن الأسماء التي لا زيادة فيها تكون على ثلاثة أصول: أصل ثلاثي وأصل رباعي وأصل خماسي، والأفعال التي لا زيادة فيها تكون على أصلين: أصل ثلاثي،وأصل رباعي ولا يكون فعل على خمسة أحرف لا زيادة فيه.»[3]

ولابن جني في مسألة تأصيل الصيغة الرباعية تخريج صوتي دقيق، ميَّز به الرباعي والخماسي معا باعتماده التركيبة الصوتية لذات الصيغة، والاستدلال بها وهي وجود أحد الحروف« الذلاقة» أو اثنين على أكثر تقدير، كون الذلق في التركيبة اللفظية سهولة وتخفيف لشدة الحروف المجهورة؛ والحروف الذلاقة السِّت هي: [ر.ل.ن.ف.ب.م.] يقول ابن جني ما نصه: «..متى رأيت اسما رباعيا أو خماسيا غير ذي زوائد، فلابد فيه من حرف من هذه الستة «الذلاقة» أو ربما حرفين نحو: جعفر، فمتى وجدت كلمة باعية أو خماسية معراة من بعض هذه الأحرف الستة ،فاقض بأنه دخيل في كلام العرب.»[4]

1- بمعنى غرغر عند الموت ينظر القاموس المحيط ص: 184.

2- الخصائص. لابن جني ،تحقيق: محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية ،ط2 ، 1974،القاهرة، 51/2.

3- المنصف لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية ،ط2 ، 1974،القاهرة،18/1.

4- سر صناعة الإعراب،لابن جني،دراسة وتحقيق حسن هنداوي ط1،دار القلم ،دمشق ،سوريا، 1993:/64،65.

فالبصريون رأوا أن «أقصى ما يصل إليه الفعل أصليا أربعة أحرف..»[1] ببناء واحد ووزن واحد [فعلل] ثبته ابن الحاجب في الشافية[2] بقوله:

وللرباعي بناء رسخا كقولنا دحرجته ودربخا

وكذا ابن مالك في لاميته نزوع إلى القول باستقلالية الصيغة بحروفها، وتفردها بأوزانها عما سواها يقول ابن مالك :

بفَعْلَلَ ائت بفعلال وفعللة وفعَّل اجعل له التفعيل حيث حلا[3]

ثانيا: رباعي مطور عن أصل ثنائي أو ثلاثي أو اسمي:

وهو رأي يرجح الرباعي على أنه ثلاثي خضع للتطوير، وذلك بزيادة صامت رابع عن الصوامت الثلاثة الجذرية؛كما هو الشأن مع صيغة (بعثر)، والذي رمزه: (1، 2،3،4)، وهي نزعة الكوفيين الذين يذهبون إلى أن كل ما زاد على ثلاثة أحرف فهو مزيد؛إذ الأصل في ديدنهم هو أن الثلاثي أعلى ما يكون الأصل عندهم:« أما الكوفيون

1- كتاب الأفعال ، أبو عثمان سعيد بن محمد السر قسطي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع العامرية القاهرة تحقيق حسين محمد شرف، 55/1.

2- شرح شافية ابن الحاجب، للأستراباذي ، تحقيق :نور الحسن ومحمد الزفزاف ،دار الفكر العربي،بيروت1975م 1/ 24.

3- شرح لامية الأفعال لابن مالك، العلامة حسن بن زيد الشنقيطي، تحرير وتنسيق عبد الرؤوف علي، دار إقرأ، ط2، 2002م،ص:100.

فقد ذهبوا إلى أن كل اسم زادت حروفه على ثلاثة أحرف ففيه زيادة حرف واحد.»[1]، وهو الرأي نفسه الذي تتبعه الزمخشري (ت538هـ) وقال به.

وتتبدى حجة الكوفيين في المسألة لما استدلوا بالتركيبة الصوتية للصيغة الرباعية،إذ نظروا إلى أن وزن [فَعْلَلَ] إنما هو: فاء وعين ولام واحدة:« فقد علمنا أن إحدى اللامين في وزن جعفر زائدة.. فدلّ على أن في جعفر حرفا زائدا من حرفيه الأخيرين..»[2]، ومنه أشاروا إلى أن الحرف الزائد محصور في لاَمَيْ [فعلل] دون تحديد الزائد منهما، واضطربوا في ذلك اضطرابا شديدا، ظهر جليا في تباين أوزانهم للرباعي،وقد علق على هذا التضارب والاختلاف الحافظ السيوطي في همع الهوامع بقوله: «فمنهم من قال: لا نزن شيئا من ذلك ،وإذا سئل عن وزنه قال: لا أدري ومنهم من يزن واختلف هؤلاء فمنهم من ينطق بلفظ ما زاد عن الثالث ومنهم من يزن ذلك كوزننا فيقول: فعلل وفعلل... »[3]

ومن ثم يمكننا تمييز وفهم أصول التطور الذي أشار إليه جمهور علماء الكوفة في هذا الباب على النحو التالي:

1- الكشاف عن حقائق الترتيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، ط2، بيروت، 1391هـ، 227/4 .

2- الإنصاف في مسائل الخلاف، 2/ 793.

3- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع :452/3.

أ. مطور عن فعل ثلاثي:

يمثل هذا الرأي كل من الكسائي والفراء ،إذ يريان أن: أصل الرباعي بتشكيلتيه المكررة وغير المكررة ثلاثي مزيد بحرف؛ يقول الفراء:« الزائد في الرباعي حرفه الأخير.»[1]

وعلى هذا يكون الصامت الرابع من (بَعثَر) و(دَحرَج) زائدا مطوّرا وهو نفس ما ذهب إليه الكسائي، غير أنه يرى الزيادة في الرباعي ليست في الحرف الأخير بل تكون في الحرف الثالث: «الزائد في الرباعي ما قبل الأخير.»[2]، فيكون الأصل الثلاثي عند الفراء بهذا (بَعَثَ، دَحَر)على وزن(فعل،فعل) وعند الكسائي (بَعَرَ- دَحَجَ) على وزن (فعل-فعل).

ويبدو أن المحدثين في تناولهم للرباعي المضعف مالوا إلى رأي الكسائي أكثر من رأي الفراء، رغم استحسانهم له لاسيما صناع المعاجم.

ومن المذاهب في هذا الباب، من ترى أن الرباعي تطور عن أصله الثلاثي في دينامية التطور اللغوي الحتمي، مع تعاقب الزمن، وتم الوصول إليه بسهولة ودقة وتفنن يقول عبد الله العلايلي في الموضوع:« هو حلقة من حلقات التطور اللغوي، وقد وفق العربي فيه جيدا إذ توصل إليه ببساطة ودقة حتى كان عملا فنيا...»[1]، ومن ثم يمكن تلخيص رأي عبد الله العلايلي في النقاط التالية:

1- الإنصاف في مسائل الخلاف، 793/2.

2- المصدر نفسه، 793/2.

1- تهذيب المقدمة اللغوية، عبد الله العلايلي، بعناية الدكتور أحمد علي، منشورات دار النعمان، بيروت، طبعة

أ- تخير صيغ الرباعي إنما جاء للدلالة على معان لا يفي بها الثلاثي لمحدوديته الدلالية.

ب- ابتُدع الرباعي المجرد بالزيادة على الاشتقاق بضم حرف رابع على الثلاثي المجرد.

ج- صيغ ليدل على معنى الثلاثي بخصوصية الحرف الزائد.

ولتمام حسان[2] رأي في الزائد الرابع لا يحدد فيه موضعه كما فعل الفراء والكسائي بل أعمل فيه السماع على الظاهر، وأخضعه له لتحديد الأصل من الزيادة في الرباعي.

ومن الآراء من تغزو عملية تطور الثلاثي إلى مخالفة تمت في مقاييس الزيادة المألوفة صرفيا في جذر الثلاثي بالحروف (أ،ت، التضعيف، س.ت..)، فاستبدل التضعيف على هذا بأحرف زائدة هي في الغالب:

- الراء نحو شَمْخَرَ بمعنى طال، أي شمخ بأنفه من الكبرياء.
- اللام نحو شَمْعَل بمعنى تفرق.[3]
- النون نحو جَنْدل بمعنى صرع خصمه وطرحه أرضا.
- السين نحوسَقْلب بمعنى قلبه فصُرِع[2]
- الحاء: نحودحرج من (درج)

1968م، ص:165.

2- ينظر: حسان (تمام)، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة ،الطبعة الأولى ،بغداد، العراق، 1979م، ص: 217-218-219.

3- القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، ،ص:1021.

2- القاموس المحيط، 97/3 .

– الجيم: نحودحرج من (دحر)

– الباء نحو:بَهْرج، بمعنى عدل بالشيء عن الجادة القاصدة إلى غيرها.[2]

ومن ثم يكون قد أضيف للمكون الأساسي (فعل) صامت رابع بديلا عن حروف التضعيف لإمكانية وضع صيغة توليدية تركيبية يأتي ذكرها لاحقا.

ب . مطور من مادة الاسم:

يلاحظ على الأسماء الرباعية كثرة أفعالها المشتقة من أسماء الأصوات والصفات،وللرباعي المجرد من الأسماء ستة أوزان[3].

1 . فَعْلَلُ ويكون اسما: نحو جعفر[4]، والفعل الرباعي جَعْفَرَ ويكون صفة نحو شِهْرب والفعل الرباعي منه، شَهْرب بمعنى كبر[5].

2. فِعْلِلٌ ويكون اسما نحو زِبْرِجٌ، والرباعي منه زَبْرَجَ والصفة خَرْمِسٌ[1].

2- المصدر نفسه،181/3 .

3- يراجع جامع الدروس العربية، ج02/09-10، للشيخ مصطفى الغلاييني ، المكتبة العصرية، 1999م.

4- الجعفر: النهر الصغير. القاموس المحيط ،366/1.

5- القاموس المحيط ،103/3 .

1- الزبرج: الزينة من نقش الذهب والفضة، القاموس المحيط ،ص:191والخرمس: الليل المظلم القاموس المحيط،ص:440.

3 . فِعْلَلٌ ويكون اسما نحو دِرْهَمٌ ،والرباعي منه دَرْهَمَ والصفة هِبْلَعٌ[2].

4 . فُعْلُلٌ ويكون اسما نحو بَرْثَنَ[3] ،والرباعي منه بَرْثَنَ والصفة جُرْشُمٌ[4]

5 . فِعْلَلٌ ويكون اسما نحو فِطْحَلٌ ،والرباعي منه فَطْحَلَ والصفة سِبْطَرٌ[5]

6.فُعْلَلٌ[6] ويكون اسما نحو جُخْذَبٌ ،والرباعي منه جَخْذَبَ [7]والصفة جُرْشَعٌ[8]

ج . مطور عن مكرر ثنائي:

ترد في القرآن الكريم سبعة أفعال رباعية ثنائية الصوت، وهي (زلزل،عسعس،كبكب وسوس، حصحص، دمدم زحزح) جميعها يتكرر فيها الصامتين الأول والثاني برمز (1، 2،1،2). من أصل ثلاثي بصامتين (زلَّ +زلَّ)، (عسَّ + عسَّ) (كبَّ + كبَّ ...) فعلين ثلاثيين مجردين متماثلين.

د . منحوت من جملة:

2- الهبلع: الأكول العظيم اللغم. القاموس المحيط ،ص:774.

3- البرثن: مخلب السباع، القاموس المحيط ،ص:1179.

4- القاموس المحيط ،ص:1088.

5- الفطحل: الزمان الذي كان قبل خلق الناس، القاموس المحيط، ص:1043 ، والسبطر: السهم الماضي القاموس المحيط، ص:404.

6- ثبت من الاستقراء أن الرباعي يسكن ثانيه كيلا تتوالى أربع حركات كلمة واحدة، ينظر: المصدر السابق، ص: 10.

7- جخذب: ذكر الجراد. القاموس المحيط ،ص:66.

8- عظيم الصدر، يراجع: القاموس المحيط ،ص:709.

للاختصار في الحكاية كقولنا: لا حول ولا قوة إلا بالله: حوقل، وكذا بسمل في اختصار بسم الله الرحمن الرحيم؛ ومنه حمدل، وقولهم دَمْعَزَ في إشارة إلى الجملة الدعائية: دام عزّه ويتبين أن الصامت الأول في جملة الحكاية هو الصامت الأول في صياغة رباعي الحكاية مثلما هو الحال في حرف (الحاء) في الأمثلة المذكورة سابقا.

هـ . منحوت من كلمتين:

زعم ابن فارس(ت395) أن الفعل الرباعي ومعه الخماسي منحوتان من كلمتين في الأصل يتم نحتهما بإجراء قياسي دقيق يراعي مبناه معناه: «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق.»[1]، ثم يطرح الإجراء مبينا الصياغة: « ومعنى النحت: أن تؤخذ كلمتان وينحت منها كلمة آخذة منهما جميعا بحظ.»[2] كتسمية العرب للبرق بـ: (العضّ – الظُّلَمِ) العظلم أوفي (الصلدم) أنه من الصلد (المتين القاسي) و(الصدم)[3].

ويرى ابن جني أن أكثر ما نراه من رباعي فعل أو اسم منحوت، وهو يوصي فقط بالنظر الدقيق والأخذ من الكلمتين باستغلال مزية المرونة التي يوفرها النحت العربي.

1- الخصائص، 51/2.

2- المرجع نفسه، ص:51.

3- الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس ،تحقيق أحمد صقر، مطبعة البابي، القاهرة ،مصر،1977م، 64/1.

وخلاصة القول إن الرأي القائل بأنّ الفعل الرباعي لا أصل له، وأنه مطور عن ثلاثي واحد أو ثلاثيين هو الأقرب إلى الإقناع والتصديق؛ بالنظر إلى معنى كل جزء من الكلمتين والذي ينسجم مع المعنى الكلي للصيغة.

التركيبة الصوتية للفعل الرباعي المجرد:

أ- صوامت الرباعي المجرد:

أجمع علماء الصرف[1]، على أن الفعل الرباعي المجرد المختلف الصوامت، والرباعي المجرد المكون من مقطعين متجانسين لهما بناء "واحد" يجيء على وزن: فَعْلَلَ (تسكين الصامت الثاني وفتح الأول والثاني والثالث)،وهي صفة ملازمة في صورة المجرد، وعلى هذا اعتبِرت صرفيا صيغة إفرادية محدودة قياساً بصيغ الثلاثي المرنة، والتي تسمح بالتغيير والتنويع على حركة العين. إذْ أن عين الثلاثي أساس التبدل في الصيغة (فعَل- فعُل- فعِل).[2]

فصيغ الثلاثي على كثرتها وقلة أصواتها أكثر تعددًا من صيغة الرباعي الزائد عليها حجما وأصواتا، إذا لا وجود لصيغة رباعية تتوالى فيها الحركات في العربية الواصلة إلينا فيما نعلم ،وعلى هذا تختلف صيغة (فَعْلَلَ) في المتتالية الحركية بسبب تجاوزها في عدد الصوامت إلى أربع بدل ثلاثة التي هي جذر مادة الاشتقاق الصرفي والمغايرة الحركية في حالة

1- يراجع شرح الشافية:113/1.

2- التبصرة لابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد)، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان،1986م، 749/2.

التصريف، أو التحول الداخلي المحض فهي فَ (حركة)غْ (سكون) لَ لَ (فتحتان) للصيغتين المختلفة والمتجانسة الصوامت ورمزهما على التوالي:

- (1، 2 ، 3 ، 4) و(1 ،2، 1،2 ،2).

وبالتالي تتشكل هذه الصيغة الإفرادية من ثلاثة مقاطع:

- مقطع طويل مقفل بحركة وسكون (فَعْ)

- مقطع قصير مفتوح (لَ)

- مقطع مفتوح (لَ) مضاف على جذر (ف ع ل) الثلاثي

ويمكن تفسير السكون على الصامت الثالث في صيغة الرباعي (فعلل) بعدم تجويز البدء بساكن، والعرب في لغتها لم يؤثر عنها أنها بدأت بساكن البتّة.

كما يَعْسُر تسكين الصامت الثالث والرابع معًا لنفس الصيغة منعًا لالتقاء ساكنين لأن الصامت الرابع يتصل بضمائر الرفع في حالة الإسناد ،ومن ثم يسكن بداعي الإلحاق للضمير كقولنا: بعثرْتُ- بعثرتما-بعثرنا.. ونحوها.

ويصاغ المجرد غير المضعف بزيادة حرفين، ولم يعرف لهما ثالثٌ زائدٌ، والصوامت الزائدة هي: (تاء ـ همزة وصل ـ نون)، ويدل لحوقها بالمجرد على معنى يفيد اللزوم، وليس التعدية .

فصامت(التاء) يلحق بأول الصيغة الرباعية غير المضعفة :(ت+فَعْلَلَ)، في حين يجتمع صامتا (الهمزة والنون) في صيغة: (افْعَلَّل) ويكون التشكيل : ا/+//ف ع/+ن//ل//ل والجدول اللاحق يفصل في الزيادات على مجرد الرباعي غير المضعف بمختلف تشكيلاته،

لاسيما الصيغ الملحقة منها، والتي تلزم فاعلا وحسب في وظيفتها النحوية،في حالة زيادة حرف على صيغتها،أو حرفين،خصوصا صيغتي (افْعَلَّلَ) و(افْعَلَّل) ولا تتعدى إلى مفعول إلا وهي مجردة في حين لا تقبل الصيغ المتبقية إلا صامتا واحدا وهو حرف (التاء) ، وهذه الصيغ الموضحة في الجدول هي تحديدا، مَفْعَلَ فَوْعَلَ فَعْوَلَ،فَعْيَلَ،فَعْلَى:

نوع الصامتين الزائدين	الصيغة المزيد بصامتين	نوع الصامت الزائد	الصيغة المزيدة بصامت واحد	وزن الصيغة المجردة
الهمزة + التضعيف الهمزة والنون + التضعيف	افْعلَّلَ + افْعَنْلَّلَ	التاء	تَفَعلل	فَعْلَلَ
		//	تَمَفْعَلَ	مَفْعَلَ
		//	تَفَوعَلَ	فَوْعَلَ
		//	تَفَعْول	فَعْوَلَ
		//	تَفَعْنلَ	فَعْنَلَ
		//	تَفَعْيَل	فَعْيَلَ
		//	تَفَعْلى	فَعْلَى

والفعل الرباعي (فَعْلَلَ) ينظر إلى المجرد منه والمزيد على أساس التفريق بين الأحرف الأصلية بصيغة الكلمة والأحرف الزائدة الأولى على وجه الخصوص فالأولى أصلية تحمل معناها المعجمي الأساسي الذي تتكرر به أما الصيغة المزيدة الثانية فهي تتكرر في نظيرين لا غير (تفعلل): (تَ+فعلل) و(افعنلل): (فعلل+أ،ن) تحملان معناهما الوظيفي.

ويستفاد من هذا أن هناك ثلاث مستويات لمعنى الصيغة المزيدة:

أ – معنى معجمي خاص تحمله صوامت الصيغة الرباعية المجردة.

ب– معنى بنائي تشترك في حمله الأحرف الزائدة عن الصوامت الأصلية.

ج – معنى مكتسب جلبته الأحرف الزائدة في البناء المستحدث والذي يتكرر مع كل كلمة على هذا البناء.

ب – أوزان ومعاني الصيغ الملحقة بالرباعي المجرد:

مرَّ معنا أن الصيغة الرباعية غير المضعفة لم تتكرر فيها الصوامت كصيغة :(بعثر ودحرج) أي برمزهما (1. 2. 3 .4)، وهي تلزم وزنا واحداً،(ف+ع+ل+ل) ورمزها (1. 2. 3 . 3) غير أن لصيغة (فعلل) صيغاً ملحقة على نفس وزنها مع تنوع في صوامت هذه الملحقات، وترتيبها في تشكيلة هذه الملحقة، فصوامتها مرصوفة بما يوافق مخارجها الصوتية ولنا أن نفصل فيها على النحو التالي :

1– ما كان على وزن [فَوْعَل] ورمزها (1 .2 . 3. 4) ، ويلاحظ على هذه الملحقة بالرباعي احتلال صامت[الواو] للصف الثاني ساكناً مما يفسر أن [الواو] حرف أصلي زائد على الثلاثي (ف.ع.ل)،وتصير الصيغة عندها مزيدة بزيادة التاء (تَفَوْعل) نحو: حَوْقل : تحوقل وأصله حَقُل (بفتح الأول وضم الثاني) وهو بمعنى: ضعف.

2– ما يَرِدُ على وزن[فَعْوَل] ورمزه (1. 2 .3.4) وفي الصيغة نلاحظ تبديلا مكانيا لحرف (الواو) إذا انتقل إلى الصف الثالث من المرصوفة الصوتية للصيغة الرباعية الملحقة

والواو بدوره زائد أصلي أضفى تبدلا صوتيا باصطفافه كثالث صوت في صيغة فعلل وأما المزيد منها فهو إلحاق التاء فقط فتصير: تَفَعْوَلُ،كقولهم : جَهْوَر: تَجَهْوَرَ بمعنى: رفع الصوت[1].

3- ما جاء على [فَيْعَل] ورمزه (1. 2. 3. 4): ويلاحظ على هذه الملحقة الرباعية دخول صامت [الياء] أصلياً ليحتل الصف الثاني في الفعل ساكنا غير متحرك وهو أنسب لسابقة الحركة قبله وبعده والياء زائدة أصلية على الثلاثي في هذا السياق والمزيد منه لحوق التاء ليصبر الفعل تفيْعل مثل:بَيطَر[2]، تبيطر: أي عالج حيواناً.

4- أما ما كان من [فَعْيَلَ] ورمزه(1. 2. 3. 4)،فإن الحرف الأصلي الزائد (الياء) جاء ثالثا مفتوحا بين ساكن وحركة والمزيد منه تَفَعْيَلَ نحو:شرْيَف[3]، تَشَرْيَفَ بمعنى: قَطع.

5- ما كان على وزن [فَعْلَى]، قد جاء الصامت الزائد ألف مد في هذه الصيغة الرباعية المجردة ويلاحظ احتلاله الصف الرابع شبيها بأوزان الأسماء؛ ساكنا على اعتبار حركة السكون الدائمة على الألفات ويلاحظ أن الألف جاءت ساكنة بعد حركة لاكتمال الصيغة والمزيد منها يَفَعْلَى (تسكين الثاني وفتح الأول والثالث) ومنها قولهم: سَلْقى[4]،بمعنى: استلقى،ويلاحظ تشابها صوتيا بين اللفظ ومدلوله وتركيبة الصوامت:

فَ (سَلْقى ←رباعي) و (استلقى ←مزيد بثلاثة أحرف).

1- ينظر: القاموس المحيط ص:370.
2- المرجع نفسه ، ص:352.
3- المرجع السابق، ص :1299.
4- القاموس المحيط ، ص: 894 .

6- ومن الأوزان الملحقة بالرباعي [فَعْنَل]، بلاحقة النون في الصف الثالث، والذي أكسب الصيغة صائتاً أخف ،لانسجامها مع المخارج (غنة) والمزيد منها تَفعَنل مثل : قَلْنَسَ بمعنى ألبسَ.

ومن جملة الملاحظات المستفادة من ما سبق على الصيغ الملحقة بالرباعي فعلل هي:

أ- خضوع الصامت الزائد للقلب المكاني ليصيرا أصلاً من أصول الصيغة الرباعية المفردة كما هو الشأن في حرفي (الواو) و(الياء) في صيغتي :فَعْوَل وفَوْعَل وصيغتي:فَيْعَل ًوفَعْيَل فنجدها على الترتيب في الصفين الثاني والثالث من تشكيل الصيغة.

ب- الحروف الزائدة أصلا في صيغة "فعلل" الملحقة كلها حروف علة باستثناء حرف النون في صيغة(فعنل).

ج- لحوق التاء بمجرد الصيغة في حالة الزيادة.

ج . المستوى الوظيفي وصيغ المغايرة في الرباعي المجرد:

1. صيغ المغايرة في الرباعي المجرد:

بخلاف الفعل الثلاثي يعتبر الفعل المجرد الرباعي بناءً واحدا كما مرّ ولا يعرف غيُرهُ فهو مبني على أصل أربعة صوامت تلونت بصائت وحيد هو: الفتحة ،ويعود اختيار هذا التلوين الصوتي إلى خفة حركة الفتح دون غيرها وانسجامها مع فاء الرباعي ولامه الأولى والثانية (فَ عْ لَ لَ)، فالعين هنا ساكنة وليست متحركة كما هو الشأن مع (عين

الثلاثي)، وإنما جيء بها ساكنة للفصل بين الصوامت الثلاثة المتحركة بفتحة وهو ما جعل ابن الحاجب يقول ببناء واحد للفعل الرباعي.[1]

يصاغ من الرباعي(فعلل)صيغة واحدة للمغايرة وهي (يُفَعْلِلُ) بـ (حرف المضارعة المضموم، وكسر الحرف ما قبل الأخير)،ويتم التلوين الصوتي ها هنا بواسطة ما يعرف بالتحول الداخلي المحض حيث يتحول الصائت الثالث من الفتح إلى الكسر[2]، في الصيغة المبنية للمعلوم نحو:دَحْرَجَ ⟵ يُدحرِج.

أما في حالة بنائه للمجهول فيصاغ على (فُعْلِلَ،يُفَعْلَل)

نحو:بُعْثِرَ ⟵يُبَعْثَر.

ويكون بذلك التحول الداخلي لصوائت (فَعلَلَ) قد خضع للمغايرة الداخلية المحضة أي:

أ- في حالة البناء للمعلوم :
- فَعلَلَ: فتحة+فتحة
- يُفعْلِلُ: ضمة+كسرة

1- ينظر: الجار بردي (أحمد بن الحسن الشيخ فخر الدين) وابن جماعة، شرح الشافية، دار الطباعة العامرة،1310هـ،ص:53.

2- ينظر: العربية الفصحى، لهنري فليش، تعريب عبد الصبور شاهين ،ط2، 1983م دار المشرق، بيروت،ص:159.

ب- في حالة البناء للمجهول: فُعْلِلَ: ضمة+كسرة

يُفَعْلَلُ: ضمة+فتحة

ويعزو العلماء اقتصار الرباعي على صيغة واحدة للمغايرة لقلة استعماله في الكلام فأبنيته أكثر تغيرًا وتصرفا، لأنها أوسع في الكلام وأكثر في الاستعمال.[1]

وعلة الضم في التلوين الصوتي على حرف المضارعة، أنّ الضم أقوى وأخشن وهو ما ينسجم مع العين الساكنة للرباعي قياسا بحركة عين الثلاثي المنسجمة مع لأخف؛وهي الفتحة: « والفتحة أخف من الضمة ،فأعطوا الأكثر الأخف والأقل الأثقل ليعادلوا بينهما».[2]

ومعنى ذلك أن التلوين الصوتي بين الثلاثي والرباعي خضع لميزان المعادلة بينهما في البناء والتحول الداخلي المحض ووظيفة المغايرة.

2- وظائف الرباعي المجرد :

يأتي الفعل الرباعي في وظيفيته على قسمين :

1- ينظر : التبصرة،749/2.

2- أسرار العربية ،تأليف إبراهيم أنيس، ط2، مصر ، 1958م. ص: 404.

أ- **اللزوم** : وهو لزوم فعله فاعلا أو نائب فاعل وإن احتل نائب الفاعل محل النصب على المفعول به كما هو في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُور** ﴾.[1]

فالتقدير في هذه الحالة الإعرابية، فإذا بعثر الله ما في القبور فتصبح اسم الموصول "ما" في محل نصب على المفعولية، دل الفعل على المطاوعة في حالة الفعل: بُعثر.[2]

وقد ورد في القرآن من الفعل الرباعي فعل واحد مكرر الصوامت :دَلَّ على المغايرة (فعلَلَ):﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَو تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾ الأعراف:الآية 20،(يُفعلِل): ﴿**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ** ﴾. سورة الناس :الآية 05.

ولم يرد في القرآن ما يدل على المغايرة من الفعل الرباعي المختلف الصوامت .

1) التعدية : هوما تعدى أثره فاعله، وتجاوزه إلى مفعوله ولم يبق في نفس فاعله وهو يحتاج إلى فاعل يفعله ومفعول به يقع عليه[3]،نحو: جوربتُه[4]، وبيْطَرَه[5]، وهما متعديان إلى مفعول واحد مباشرة أي بغير واسطة حرف الجر، والمفعول في حالتي الفعلين يسمى "صريحا"[6]،

1- العاديات الآية :09.

2- ينظر: جامع الدروس العربية،ص:34.

3- جامع الدروس العربية،ص:35.

4- ألبسته جوربا. ينظر القاموس المحيط ،ص:363.

5- عالج الحيوان، ينظر القاموس المحيط ،ص:352.

6- جامع الدروس العربية،ص:35.

ومن المعاني الدالة على وظيفية الفعل الرباعي الصيغ الملحقة والتي يمكن فهم المغايرة الحاصلة بها على النحو التالي :

الأصل الثلاثي	الجملة الوظيفية	التحول الداخلي وشكل المغايرة	الصيغة المزيدة منه	نوع الوظيفية	الرباعي المجرد الملحق
حَقُل (بضم الثاني)	حَوْقَل[1] الشيخُ بمعنى:ضَعُفَ	ضم الصامت الاول وكسر ما قبل الأخير	يُفَوْعِلُ (يُحَوْقِلُ)	لازم	فَوْعَلَ (حوقل)
جرَب (بفتح الثاني)	جوربت الأم طفلها أي: ألبسته الجورب	ضم الأول وكسر ما قبل الأخير	يُفَوْعِلُ (يُجَوْرِبُ)	متعدي	– فَوْعَلَ (جَوْرَب)
رَهَلَ (بفتح الثاني)	رَهْوَلَ[2] الغلام في مشيته:إذاً أسرع	ضم حرف المضارعة وكسر ما قبل الاخر	يُفَعْوِلُ (يُرَهْوِلُ)	لازم	– فَيْعَلَ (رَهْوَل)
جَهَرَ (بمتتاليات الفتح)	جهوَر الرجل قوله أي: رفعه	كسر ما قبل الاخير	يُفعوِل (يُجهوِرُ)	متعدي	– فَعْوَلَ (جَهْوَرَ)
بَقِرَ (بكسر الثاني)	بَيْقَرَ الرجل ويُبَيْقِر الغلام	كسر ما قبل الأخير	يُفَيْعِلُ (يُبَيْقِرُ)	لازم	– فَيْعَلَ (بَيْقَرَ)[1]

1- أصله مركب في النحت نحو: حوقل المبتلى ، أي: قال لا حول ولا قوة إلا بالله.

2- ينظر: القاموس المحيط ، 1291/2.

بَطَرَ (بفتح الصامت الثالث)	يُبَيْطرُ الطبيب القط إذا عالجه.	كسر الصامت ما قبل الاخير	يُفَيْعِل (يُبَيْطِرُ)	متعدّ	- فَيْعَلَ (بَيْطَرَ)
شَرَف (بفتح الثاني) عَثر بمعنى زلق ولم تستقر رجله (بفتح الثاني)	-يشرْيِفُ الفلاح الزرع أي: قطع شريافه [2]- تُعَثيرُ[3] الريح الغبار إذا أثارته	ياء مضمومة وكسر ما قبل الاخير	يُفَعْيِلُ (يُعَثْيِرُ) (يُشَرْيِفُ)	متعديان فقط	فَعْيَلَ (عَثْبَرَ) (شَرْيَفَ)
سَلَقَ (بمتواليات مفتوحة)	- سَلْقَى الرجل على ظهره بمعنى استلقى (اللزوم) سَلْيَقْتُ الرجل أي ألقيته (متعدّ)	ياء مضمومة وكسر ما قبل الاخير	يُفَعْلِى (يُسَلْقِى)	يدل على اللزوم والتعدي معا	- فَعْلَى (سَلْقَى)
قَلَسَ (بمتواليات مفتوحة)	قلنست الطفل من البرد أي ألبسته القَلَنْسُوة	ضم الياء وكسر ما قبل الاخير	يُفَعْنِلُ (يقلْنِسُ)	متعدّ فقط	- فَعْنل (قَلْنَسَ)

1- المرجع نفسه، 353/1.

2- المرجع السابق،1299/2.

3- المرجع نفسه،ص:273.

وعليه ومن جملة الفوائد التي يمكن الخروج بها في ضوء القراءة في الجدول ما يلي:

أ- إن التلوين الصوتي للفعل الرباعي المختلف الأصوات وملحقاته والفعل الرباعي المكرر الصوت يلزم صيغة واحدة هي ضم ياء المضارعة وكسر الصامت ما قبل الأخير.

ب- إن التعدية واللزوم في وظيفية الرباعي سمة غالبة فيه.

ج- إن الرباعي بصيغتي (فَعْيَلَ وفَعْنَلَ) تلزمان التعدية فقط في وظيفتيهما ولا تؤديان وظيفة اللزوم.

د- إن الفعل الرباعي استعمل لتأدية معان كثيرة أهمها:

1- الدلالة على المشابهة: كقولهم علقمت القهوة أي صارت كالعلقم في مرارتها.

2- الدلالة على الصيرورة : نحو جزأرت التعليم أي جعلته ذا خصوصية جزائرية،ومنه سَعْوَدت ولَبْنَنْت (صيرته سعوديا ولبنانيا).

3- الدلالة على الصياغة من اسم الآلة: كتلفزت المباراة وتلفنت لقريبي وتلفزت، في معنى نقلها مرئيا واستعمال التليفون في المكالمة.

4- النحت على وزن (فعلل) من مركب إضافي: نحو: عَمْنَفَ (مركب عبد مناف) وعَبْقَسَ (مركب عبد قيس) وعَبْدَلَ (مركب عبد الله) .

5- النحت على وزنه من جملة مثل: بَسْمَلَ (من جملة بسم الله) وحَمْدَلَ (من جملة الحمد لله) وحَيْصَلْ (من جملة حي على الصلاة) وحَسْبَلَ (من جملة حسبي الله) وفَذْلَكَ (أي قوله: فذلك كذا وكذا)، ومصدره الفذلكة.

6- الدلالة على الظهور نحو: فَلْفَلت الطعام أي: جعلته ظاهر الحرارة.

7- الدلالة على الإصابة نحو: عرقبته أي أصبت عرقوبه.

د – أثر التحول الصوتي للصيغة الرباعية المزيدة بحرف واحد:

إن المسلم به عند الصرفيين أن كل زيادة في مبنى الكلمة يؤدي بالضرورة إلى تغيير يكسبها معنى جديدا بفضل الحروف الزائدة التي تحدث بدخولها على أصل الكلمة تحولا صوتيا داخليا محضا، ينتج منه تولد كلمة جديدة ومعنى جديد يكون تشكيلا تركيبيا مكونا من صوامت أصلية وأخرى ملحقة بها، أو ما يعرف بالمكون التحويلي، أي المزيد الذي يؤدي دلالة معينة.

والرباعي المجرد أصل ثلاثي، خضع لتحول داخلي محض فكان المكون التركيبي أصليا بأربعة صوامت، سمحت بدورها بالاستزادة على أصلها إما تصديرا أو توسيطا أو تذييلا وتكون الزيادة فيه إما بحرف واحد أو حرفين وما كان بحرف واحد فغالبه يدل على مطاوعة الفعل المجرد، ولا يكون متعديا وله وزن واحد هو: تفعلل موزعة مقطعيا على الشكل التالي:

-(ت فتحة/ ف فتحة ع/ ل فتحة/ ل فتحة/) أي:

(ص ح) + (ص ح ص) +(ص ح) +(ص ح) ، ليكوّن بذلك المجرد المزيد بحرف أربعة مقاطع هي:-(مقطع قصير مفتوح) + (مقطع متوسط مقفل) + (مقطع قصير مفتوح) + (مقطع قصير مفتوح)، ووزنه واحد هو(تفعلل) ويلاحظ عليه تلوينا صوتيا مغايرا في صامته

الرابع وهو حركة الضمة أي: ت+ فتحة + سكون+ فتحة > ت+ فتحة + سكون+ ضمة.

ويلتحق بالرباعي المزيد أوزان أخرى عددها ستة هي: تَفَيْعَلَ وتَفعْنَلَ وتَفَوْعَلَ وتَمَفْعَلَ، تَفَعْلَى وتَفَعْوَلَ، والصيغة الرباعية المزيدة (تَفَعْلَلَ) بناء تركيبي يتكون من ثلاث مكونات أساسية وتحويلية نستطيع التمثيل لها بالمشاجر التالية:

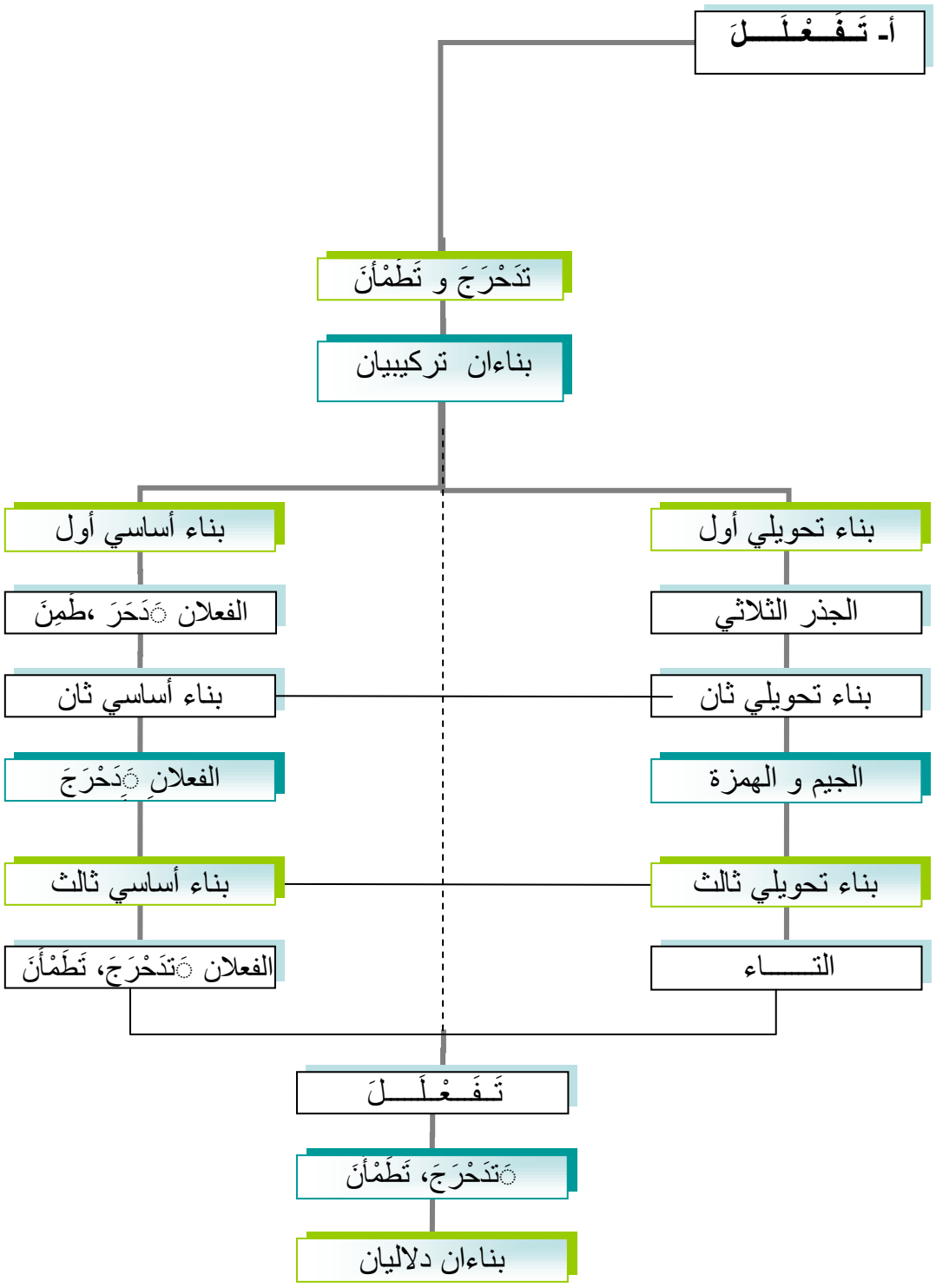
أ- تَـفَـعْـلَـــلَ
تَدَحْرَجَ و تَطَمْأَنَ
بناءان تركيبيان
بناء أساسي أول
بناء تحويلي أول
الفعلان دَحْرَجَ ،طَمْئَنَ
الجذر الثلاثي
بناء أساسي ثان
بناء تحويلي ثان
الفعلانِ دَحْرَجَ
الجيم و الهمزة
بناء أساسي ثالث
بناء تحويلي ثالث
الفعلان تَدَحْرَجَ، تَطَمْأَنَ
التـــــاء
تَـفَـعْـلَـــلَ
تَدَحْرَجَ، تَطَمْأَنَ
بناءان دلاليان

المشجر 1

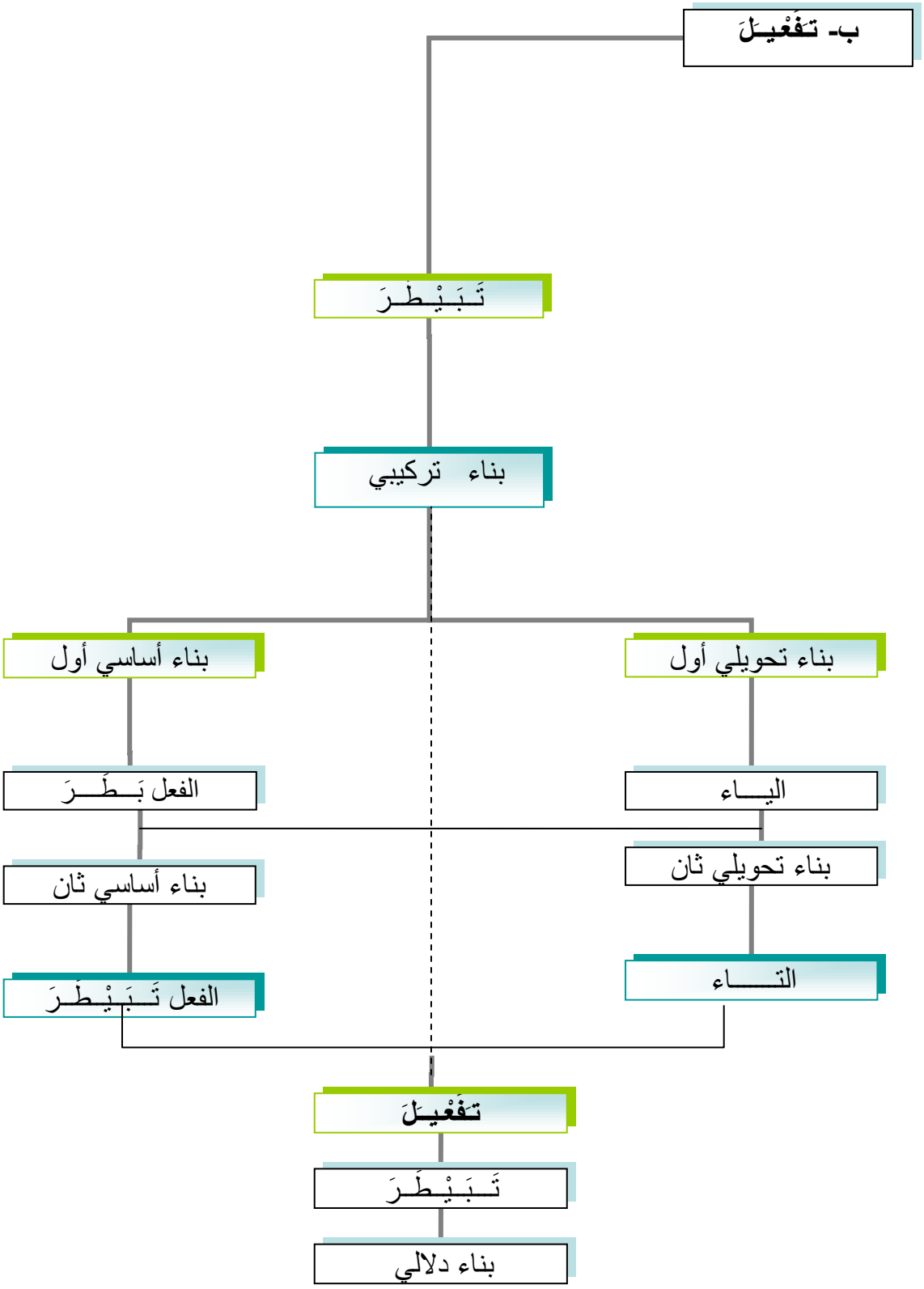
ب- تَفَعْيَلَ
تَبَيْطَرَ
بناء تركيبي
بناء أساسي أول
بناء تحويلي أول
الفعل بَطَرَ
اليـاء
بناء أساسي ثان
بناء تحويلي ثان
الفعل تَبَيْطَرَ
التـاء
تَفَعْيَلَ
تَبَيْطَرَ
بناء دلالي

المشجر 2

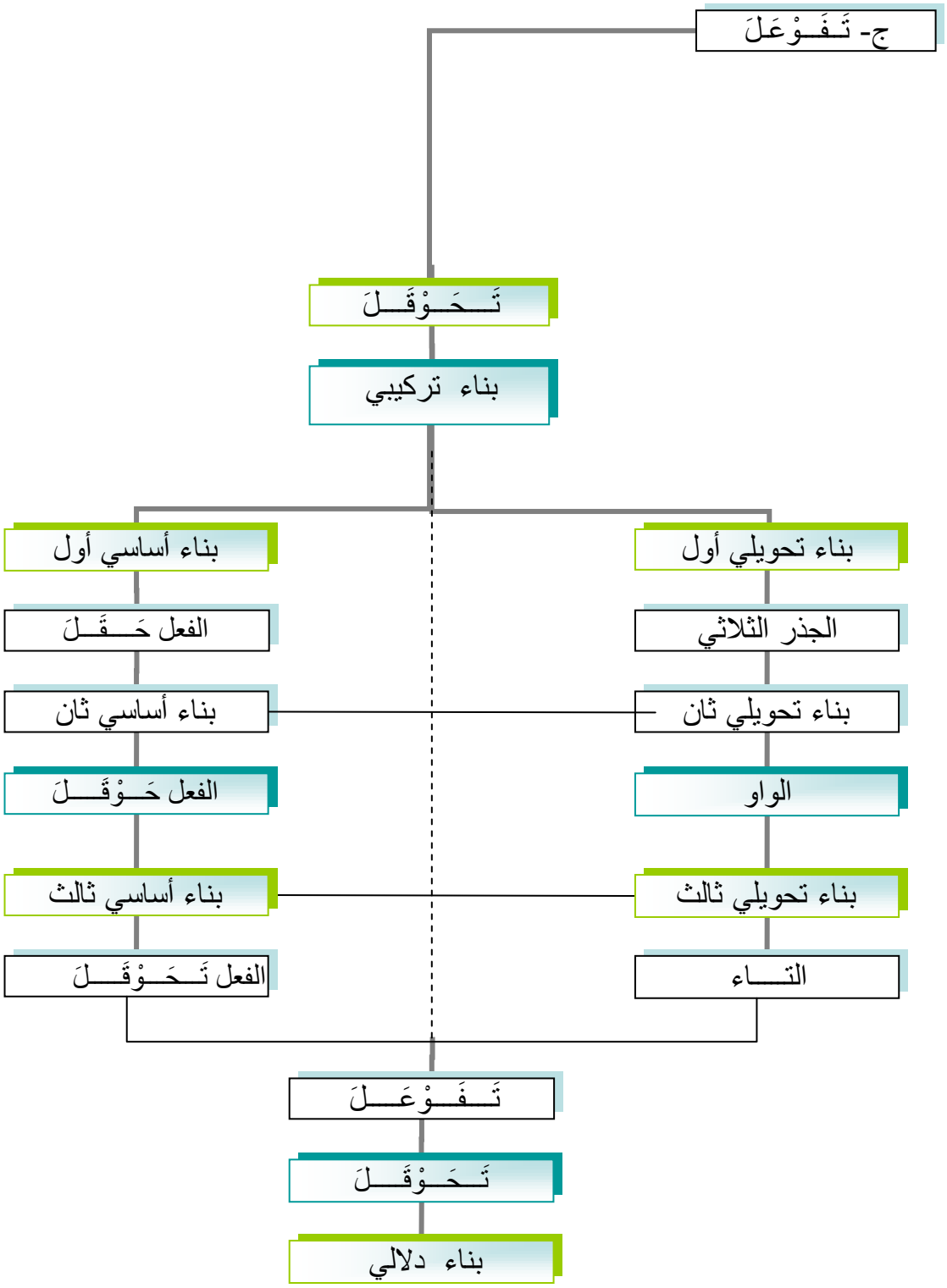
ج- تَـفَـوْعَـلَ
تَـــحَـــوْقَـــلَ
بناء تركيبي
بناء أساسي أول
بناء تحويلي أول
الفعل حَـــقَـــلَ
الجذر الثلاثي
بناء أساسي ثان
بناء تحويلي ثان
الفعل حَـــوْقَـــلَ
الواو
بناء أساسي ثالث
بناء تحويلي ثالث
الفعل تَـــحَـــوْقَـــلَ
التـــــاء
تَـــفَـــوْعَـــلَ
تَـــحَـــوْقَـــلَ
بناء دلالي

المشجر 3

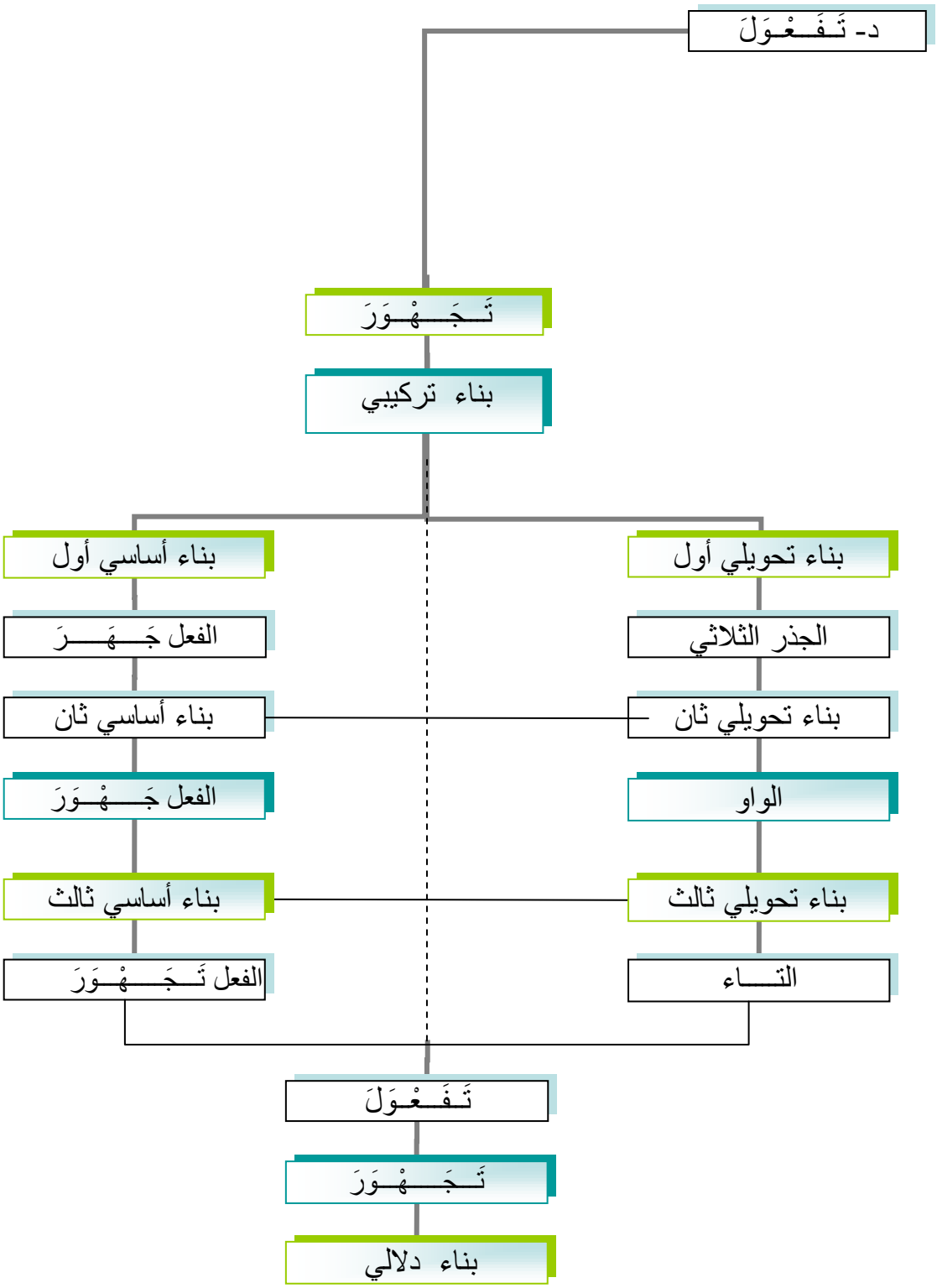
د- تَـفَـعْـوَلَ
تَـجَـهْـوَرَ
بناء تركيبي
بناء أساسي أول
بناء تحويلي أول
الفعل جَـهَـرَ
الجذر الثلاثي
بناء أساسي ثان
بناء تحويلي ثان
الفعل جَـهْـوَرَ
الواو
بناء أساسي ثالث
بناء تحويلي ثالث
الفعل تَـجَـهْـوَرَ
التـاء
تَـفَـعْـوَلَ
تَـجَـهْـوَرَ
بناء دلالي

المشجر 4

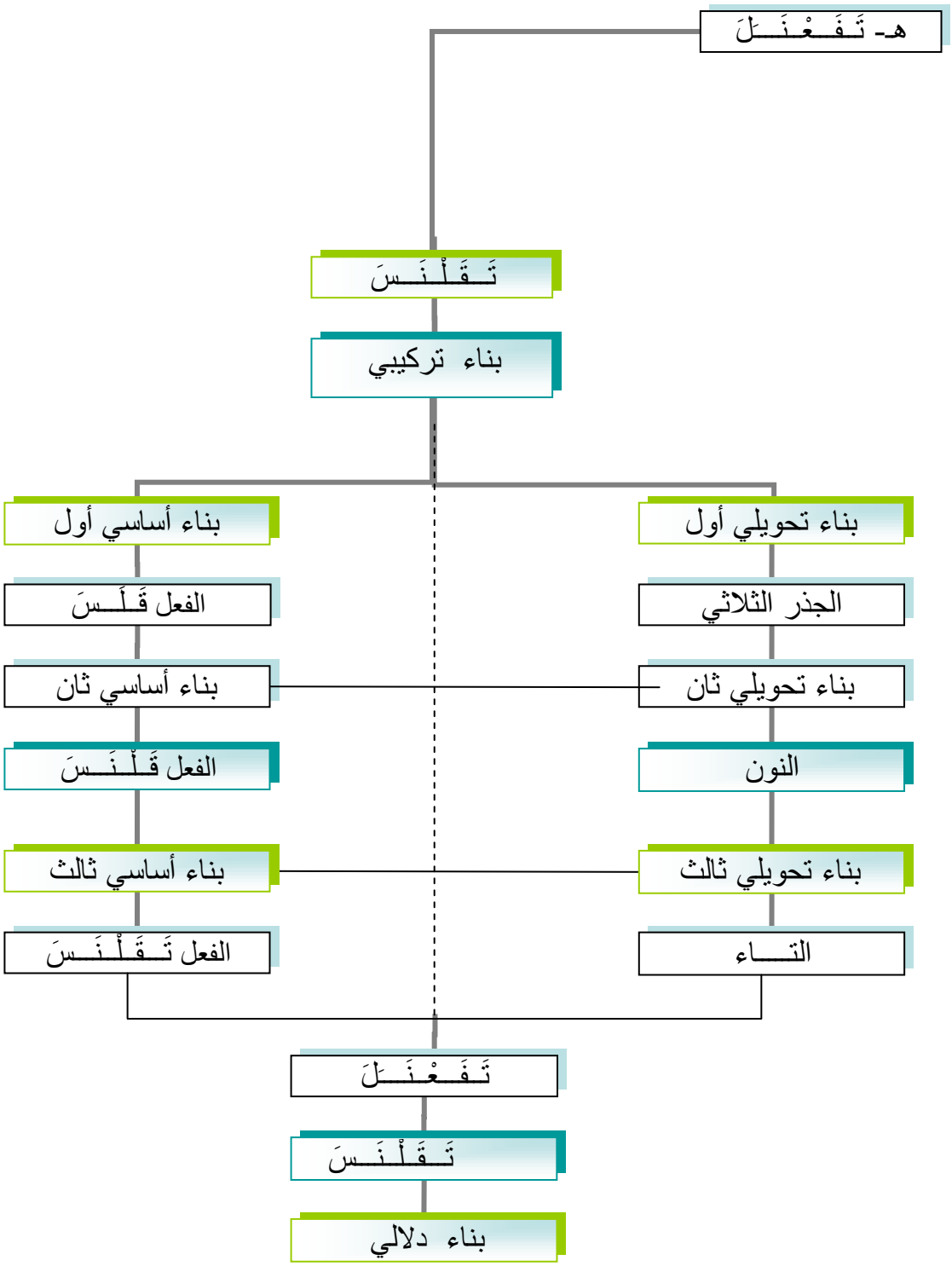
هـ- تَـفَـعْـنَـلَ
تَـقَـلْـنَـسَ
بناء تركيبي
بناء أساسي أول
بناء تحويلي أول
الفعل قَـلَـسَ
الجذر الثلاثي
بناء أساسي ثان
بناء تحويلي ثان
الفعل قَـلْـنَـسَ
النون
بناء أساسي ثالث
بناء تحويلي ثالث
الفعل تَـقَـلْـنَـسَ
التـــاء
تَـفَـعْـنَـلَ
تَـقَـلْـنَـسَ
بناء دلالي

المشجر 5

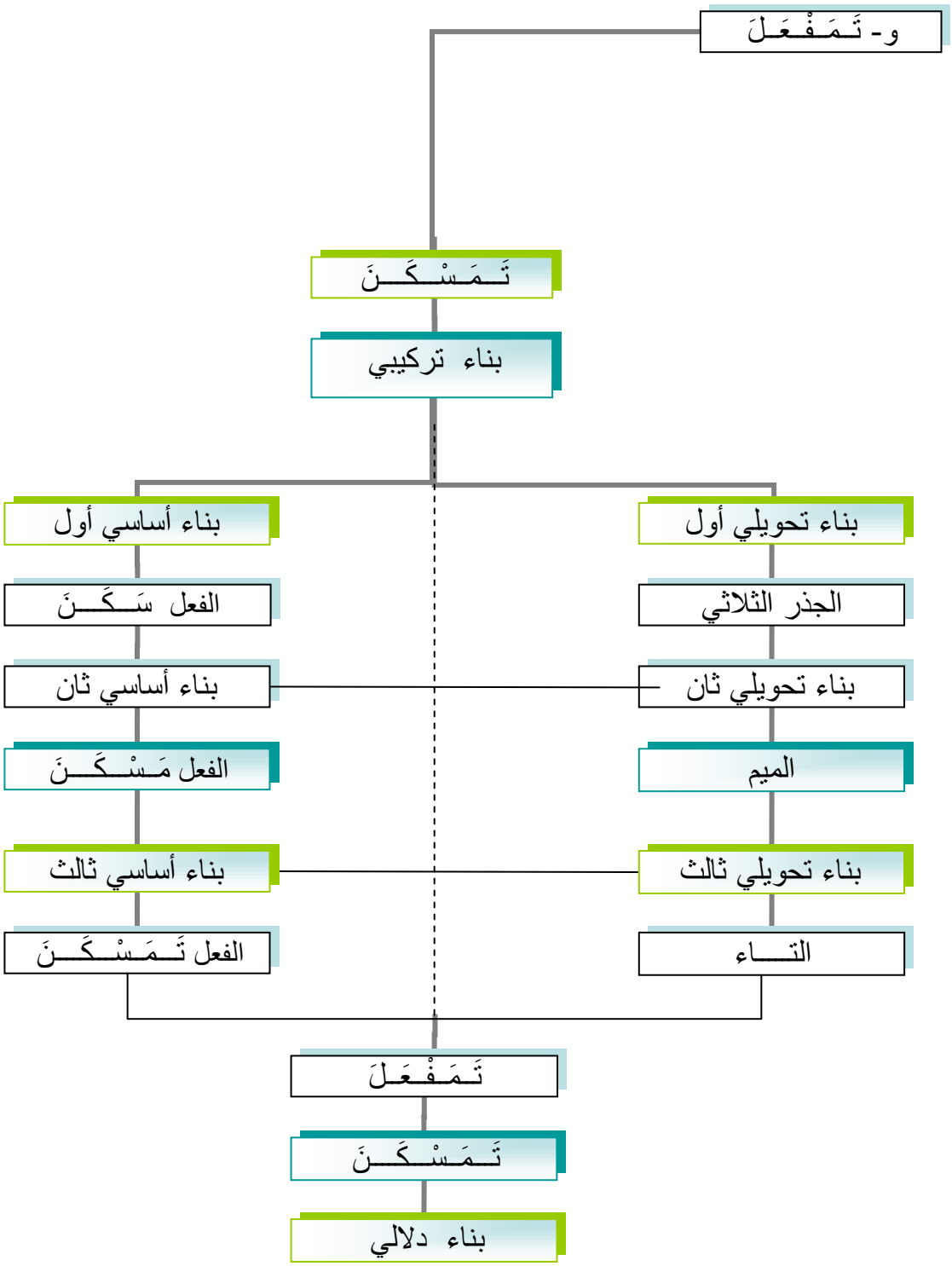
و- تَـمَـفْـعَـلَ
تَـمَـسْـكَـنَ
بناء تركيبي
بناء أساسي أول
الفعل سَـكَـنَ
بناء أساسي ثان
الفعل مَـسْـكَـنَ
بناء أساسي ثالث
الفعل تَـمَـسْـكَـنَ
بناء تحويلي أول
الجذر الثلاثي
بناء تحويلي ثان
الميم
بناء تحويلي ثالث
التـــاء
تَـمَـفْـعَـلَ
تَـمَـسْـكَـنَ
بناء دلالي

المشجر 6

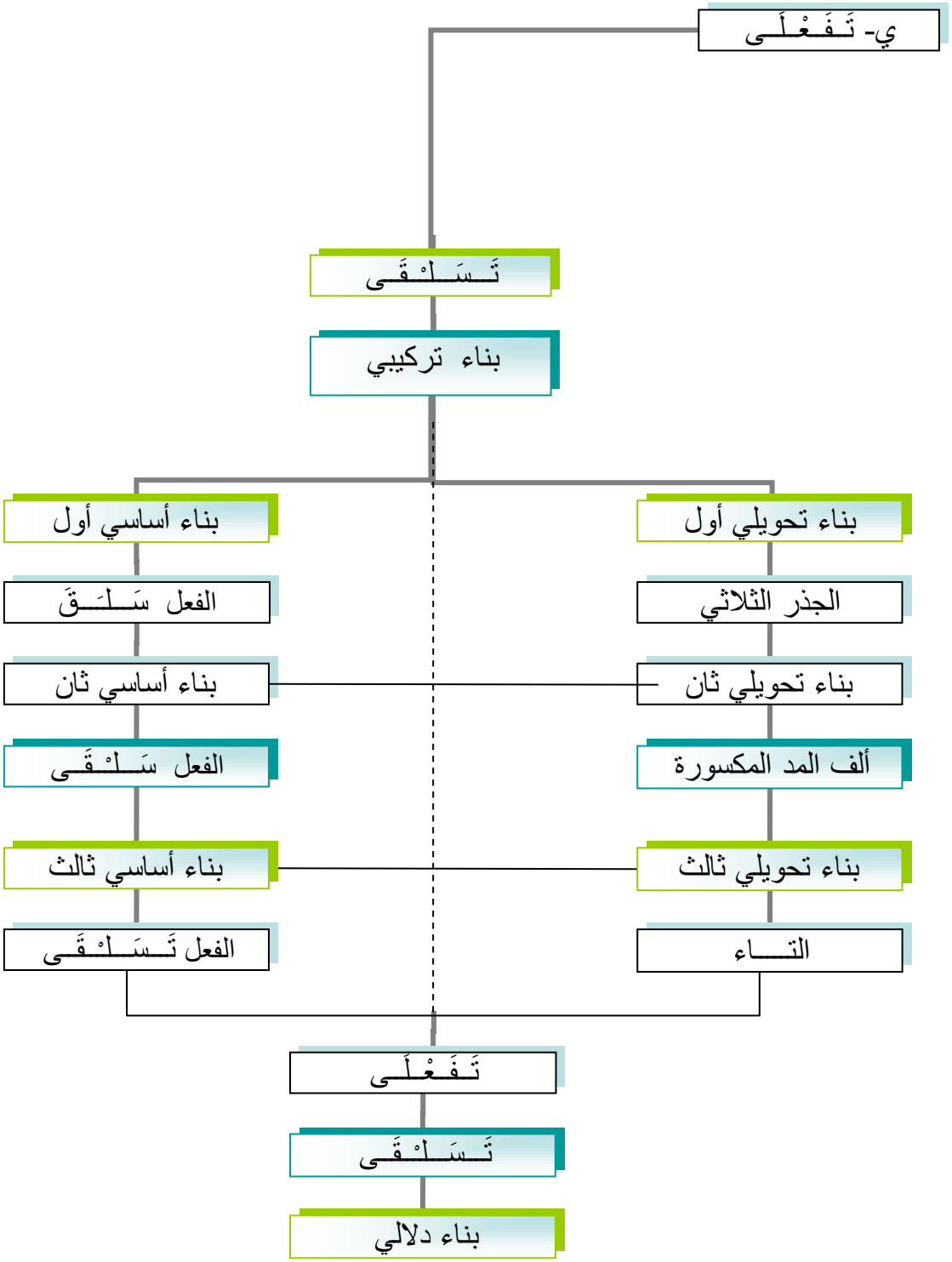
ي- تَـفَـعْـلَـى
تَـسَـلْـقَـى
بناء تركيبي
بناء أساسي أول
بناء تحويلي أول
الفعل سَـلَـقَ
الجذر الثلاثي
بناء أساسي ثان
بناء تحويلي ثان
الفعل سَـلْـقَـى
ألف المد المكسورة
بناء أساسي ثالث
بناء تحويلي ثالث
الفعل تَـسَـلْـقَـى
التـــاء
تَـفَـعْـلَـى
تَـسَـلْـقَـى
بناء دلالي

المشجر 7

وعليه نستنتج من المشاجر السابقة جملة من الفوائد هي:

1- إن الأفعال الرباعية المزيدة أبنية تولدت من أبنية ثلاثية أساسية.

2- إن التحول من الصيغة الثلاثية المجردة إلى الصيغة المزيدة مرت بمرحلتين: زيادة صامت على الثلاثي لبناء مكون أصلي رباعي كمرحلة أولى ، وبناء مكون آخر مطور عن الرباعي المجرد بزيادة سابقة (التاء) في تصدير الصيغة الرباعية المزيدة.

3- إن البناء التحويلي الثاني للمزيد الرباعي متنوع الأصوات(الميم، النون، الألف الواو،الياء)

4- إن مقاطع صيغ الرباعي المزيد متساوية في صوامتها وتلوينها الصوتي حيث جاءت على الشكل التالي:

- مقطع طويل مقفل
  - ت فتحة ف فتحة/ ع
  - ت فتحة م فتحة/ ع (تميز الصامت الثاني)
- مقطعان قصيران مفتوحان
  - ل فتحة / ل فتحة : (بع ..ثَرَ)
  - ط فتحة / ر فتحة :(بيـ..طَرَ)
  - ق فتحة/ ل فتحة : (حو..قَلَ)
  - وفتحة/ ر فتحة :(جه ..وَرَ)
  - ن فتحة/ س فتحة :(قل .. نَسَ)
  - ق فتحة/ ألف مدّ:(تسل .. قَى)
  - ك فتحة/ ن فتحة: (تمس ..كَنَ)

5-أنها بعد الزيادة صارت جميعها تشكل مكونا تركيبيا واحدا هو: (تفعلل)

أثر التحول الداخلي المحض للصيغة الرباعية المزيدة بحرفين:

سبقت الإشارة إلى أن البناء التركيبي للصيغة الرباعية يتألف من بناء أصلي، أو مكون أساسي وزيادة أو مكون تحويلي يستحدث، وينجر عن هذا المكون الأساسي بفضل التحولات الداخلية ما يسمى بالمكون الدلالي.

والرباعي المزيد بحرفين جاء على وزنين:

أ- إفْعَنْلَلَ (بزيادة الهمزة في أوله والنون في وسطه) فيكون بذلك قد عرف دخول حرفين زائدين على أصله الرباعي تصديرا وتوسيطا، ومصدره إفْعِنْلاَل (بكسر العين وتسكين النون).

ب- أما المصدر الثاني المزيد بحرفين فجاء تصديرا أو توسيطاً على وزن افعلل (بزيادة الهمزة في أوله، وتضعيف اللام فيما قبل الآخرة) ويكون مصدره إفعلال (بكسر العين).

والفعلان (إفْعَنْللَ وإفْعَللَ) يدلان على المطاوعة ولا يكونان إلا لازمين في وظيفتيهما وهما متوزعان مقطعيا بالكيفية التالية:

1-افعنلل ⟵ (ا كسرة ف/ع فتحة ن/ل فتحة/ ل فتحة) أي: (ص ح ص) + (ص ح ص) +(ص ح) +(ص ح)

مشكلا بذلك : -(مقطع أول متوسط مقفل) + (مقطع ثان متوسط مقفل) + (مقطع أول قصير مفتوح) + (مقطع أول قصير مفتوح).

2-افعلَّل ← (ا كسرة ف/ع فتحة ل/ل فتحة/ ل فتحة) أي: (ص ح ص) + (ص ح ص) +(ص ح) +(ص ح)

أما التشكيل المقاطعي فهو : -(مقطع أول متوسط مقفل) + (مقطع ثان متوسط مقفل) + (مقطع أول قصير مفتوح) + (مقطع ثان قصير مفتوح).

دلالة الصيغة الرباعية المزيدة ووظيفيتها :

تبين من استقراء النصوص أن الرباعي المزيد إما زيد فيه حرف أو حرفان ،والغالب فيه أن يكون لازما دالا على مطاوعة الفعل المجرد، وأنه له وزنين هما (تفعللا وافعنلالاً) ويمكننا فهم المغايرة الحاصلة للأداء الوظيفي للرباعي المزيد وملحقاته بالتفصيل التالي:

الجملة الوظيفية	الرباعي المجرد منه	نوع الوظيفة	مصدره	الحروف الزائدة	الرباعي المزيد
«أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ»[1] «وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ»[2]	بعثر وطمأن	لازمان	تَفَعْلُل تبعثر تطمأن	التاء	1- تَفَعْلَلَ (تبعثر، تطمأن)
اقعنسس الرجل اقعنساسا[3]	قعسس	لازمان	اِفْعِنْلال اقعنساس	الهمزة+ النون	2- اِفْعَنْلَلَ (اِقْعَنْسَسَ)
اغرندى فلان فلانا[4] اسرندى الرجل خصمه	غرند وسرند	متعديان	افْعِنْلاء اغرنداء اسرنداء	الهمزة+ النون	3- افعنلى (اغرندى، اسرندى)
تسلقى الرجل على ظهره تقلسى الطفل اتقاء الشمس	سلقى وقلسى	لازمان	تَفَيْعُل تسلقي تقلنس	التاء	4- تَفَيْعَلَ (تسلقى، تقلسى)

ومن المعاني التي تؤديها مثل هذه الأوزان المزيدة وهي في غالبها دالة على مطاوعة المجرد ما يلي:

1- سورة العاديات، الآية: 10.

2- سورة الأنفال، الآية: 10.

3- إذا دخل ظهره وخرج صدره (القاموس المحيط)،18/3.

4- اغرندى واسرندى بمعنى واحد وتعنيان غلبه وصرعه. قال الشاعر:

وقد جعل النعاس يغرنديني أدفعه ويسرنديني

1- الدلالة على التشويه: اقعنسس الرجل من المرض.

2- الدلالة على القوة : اسرندى الرجل خصمه وطرحه أرضا .

3- دلالة على الاتحاد: تقلنس الطفل اتقاء البرد وتجورب.

4- دلالة على الضعف: تمسكن الفقير على باب المسجد.

5- دلالة على المبالغة: اقشعر البدن واكفهر الوجه.

6- دلالة على الحال: تَرَهْوَكَ[1] الرجلُ أمام الناس.

7- دلالة على المظهر: تجلببت الفتاة احتشاما.

8- دلالة على المطاوعة : احرنجمت الإبل.

9- دلالة على خُلُقٍ : تشيطن الطفل إذا فعل فعلا مكروها.

ويستفاد مما سبق :

1- إنّ الرباعي المزيد ليست له أوزان كثيرة.

2- إنها تدل جميعها على مطاوعة الفعل المجرد.

3-إنها تصاغ شبيهة بالأفعال الثلاثية المزيدة الدالة على الألوان كاحمرّ واصفرّ.

4- إنّ المعول في قياساتها السماع.

أصل الفعل الرباعي المضاعف وتركيبته الصوتية:

1- ترهوك بمعنى تبختر،قاموس المحيط.ص:1290.

لم يتفق أهل اللغة في مسألة أصالة الفعل الرباعي في اللسان العربي من عدمها: إذ تباينت آراؤهم في وجوده من عدمه، بالرغم فشوه في لغة العرب واستحسانهم له،وترخص أهل اللغة في أحكام نسجه وبنائه؛ إذ يطرح وجود صيغة رباعية بهذا التركيب الصوتي المكونة من مقطعين متجانسين، يتكرر فيهما صامتين متماثلين الكثير من التساؤل عن أصليتها من عدمها، فهل في العربية فعلا ًرباعيا ً مجرداً قائما بذاته؟ أم لا يعدو أن يكون صيغة تركيبية مضاعفة ،تحولت من ميزة المماثلة إلى ميزة المخالفة، بداعي التخفيف الصوتي للتركيبة المستثقلة؟

وبالنظر إلى ما أورده المتقدمون من أهل الاختصاص، نجدهم قد عنوا بها ضمن الإطار الأشمل للكلمة العربية وبكيفية منهجية تبدأ بالصيغة الثلاثية فالرباعية أفعالا وانتهاء بالخماسي أسماء: «والأفعال التي لا زيادة فيها تكون على أصلين: أصل ثلاثي وأصل رباعي ولا يكون فعلا على خمسة أحرف لا زيادة فيه»[1]، وقال في بنائه سيبويه أنه مستقل وخال من الزوائد مثله مثل مضعف بنات الأربعة.[2]

والملفت في أمر هذا الدراسات، أن القدماء لم يقطعوا في مسألة أصالة هذا الرباعي لتعدد الآراء وتضاربها، مما حدا بالمتأخرين إلى الإدلاء بدلوهم في الموضوع وجاءوا بآراء مهمة ولو أنها لا تخرج عن الإطار العام لوجهات نظر الأوائل في كثير ولا يمكن فصل بحوثهم عن الاتجاه، الذي رسمته مدارس اللغة المشهورة، كالمدرسة البصرية والمدرسة الكوفية.

1- ينظر:العين الخليل بن أحمد ،تحقيق د – إبراهيم السمراني ود،مهدي المخرومي، دار مكتبة الهلال:54/01.

2- ينظر:الكتاب، 4/ 294.

فهذا الدكتور علي حلمي موسى يجزم في دراسة له على «معجم الصحاح» بأن: «..الجذور الرباعية هي الوحيدة التي يمكن أن تحتوي على جذور مكونة من مقطعين متماثلين، تماما مثل:«جَعجَع»[1]؛ وعليه يمكننا إيراد رأي كل مدرسة ووجهات نظر أعلامها في هذا الباب وبيان احتجاجها في مسألة تأصيل الفعل الرباعي.

تأصيل الفعل الرباعي المضاعف:

1- رأي من قال : بـ : فعل رباعي أصيل ومستقل :

يعرف الفعل الرباعي المضاعف من لدن أهل الصنعة، أنه تلك الصيغة التي يتكرر فيها حرفان متماثلان، أي صوتان من جنس واحد بزنة (فَعْلَلَ)على نحو: زلزل،كبكب،سمسم ورقرق وما شابهها.

وبالقراءة وجدنا تسمية الصيغة متعددة من قبل أهل اللغة المتقدمين والمتأخرين فهذا الخليل بن أحمد يعتبر الرباعي مستقلا عن الثلاثي وينعته بـ : مضاعف الحكاية [2] تمييزا له عن المجرد أو المنبسط أو ما يفهم من كلامه، إمكانية العدول من صيغة إلى أخرى، بتكرار حرف أو حرفين إغناءًا لدلالة اللفظ واستمرار اً للحكاية يقول الخليل في هذا الباب:« وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبهها ... يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف.»[3]، ثم نجده في المسألة نفسها يبين تفردها بأحكام تختص بها دون غيرها

1- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح ، ص:29، د: علي حلمي موسى،جامعة الكويت 1973م.
2- الإنصاف في مسائل الخلاف: 2 /793.
3- العين: 55/01.

من الجذور،لإجازة علماء اللغة في بنائها جميع الحروف «والمضاعف في البيان ما كان حرفا عجزه مثل حرفي صدره وذلك بناء تستحسنه العرب فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتل الذلق والشفوية والصتم.»[1]؛ وقد اعتبر الخليل مضاعف الأربعة من الثنائيات بداعي سمة المضاعفة وعد ذلك من التكلف اللغوي حيث قال:« ألا ترى الحكاية أن الحاكي يحكي صلصلة اللجام فيقول: صلصل اللجام،وإن شاء قال: صل مخففة مرة اكتفاء بها وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فيقول: صل صل صل يتكلف من ذلك ما بدا له.»[2]

أما سيبويه فقال هو الآخر بأصالة الصيغة، وأطلق عليها تسمية: مضاعف الأربعة[3] ووافقه عليها ابن جني[4]، وهو ما يفهم منه على أنه إقرار باستقلالية حروف الفعل الرباعي وأصالتها في التركيبة، وأنه لا زيادة فيها، يقول سيبويه : «.. ولا نعلم في الكلام على مثال فعلال إلاَّ المضاعف من بنات الأربعة، الذي يكون الحرفان الآخران منه بمنزلة الأولين وليس في حروفه زوائد»[5]؛ ثم يجزم في مسألة عدم وجود لا حق من الثلاثي يصرفه إلى أصل ثلاثي فيقول: « فالاسم نحو: الزلزال، والحثحاث، والجرجار والرمرام والدهداء ،والصفة نحو: الحثحاث والحقحاق والقسقاس والصلصال لم يلحق به من بنات الثلاثة شيء.» [6] وقد

1- المرجع نفسه ،56/1.
2- المرجع السابق،56/1.
3- الكتاب ،294/4.
4- سر صناعة الأعراب ،750/2 .
5- العين،54/01-55.
6- المرجع نفسه،54/1 ،55 .

جزم ابن دريد في الرباعي المضاعف وأكد أنه لا يتركب إلا من حرفين من جنس واحد في الصيغة الواحدة ولا يصح أن تكون ثلاثة :«..واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك على ألسنتهم، وأصعبها حروف الحلق، فأما حرفان فقد اجتمعا...»[1]

وقد ميّز الخليل وهو رأس البصريين بين نوعين من الرباعي المضاعف: الرباعي المضاعف الحكاية والمؤلف أي: ما تماثل فيه الحرف الأول والثالث، واختلف منه الحرف الثاني عن الرابع كنحو: دهدق[2]، وهي صيغة قليلة، غير أنها نوع من الرباعي المضاعف،يقول الخليل: :« ... لأن الحكايات لا تخلو أن تكون مؤلفة أو مضاعفة، فأما المؤلفة فعلى ما وصفت لك، وهو نزر قليل،وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة .. [3]؛ وقد وافقه سيبويه على التفريق بين نوعي مضاعف الحكاية[4]، ويستفاد من ذلك أن في للرباعي صيغة تامة وصيغة أخرى ناقصة بالنظر إلى الصوامت الأربعة المشكلة له.

1- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، علق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم و آخرون ، دار التراث القاهرة ،الطبعة الثالثة ، بدون تاريخ.:192/1 .

2- دهدق بمعنى كسر، و دهدق اللحم دهدقة و دهداقا أي قطعه و كسر عظامه. ينظر القاموس المحيط مادة دهدق .

3- العين :55/01 .

4- الكتاب : 294/4- 295.

وممن قال بأصالة الرباعي واستقلاليته ابن فارس ولو أنه اعتبره مما يضاعف من الكلام على مرتين، وعلى ذلك نعته بالمطابق وقال في؛ وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد،ولذلك سمينا ما تضاعف من الكلام مرتين مطابقا مثل: جرجر وصلصل .»[1]

ويفهم من ابن فارس أنه تضاعف الحكاية في دلالة كل من الحرف الأول،والثالث والحرف الثاني مع الرابع مجانسة سبب في تشكيل الصيغة الرباعية وتأصيلها، وقد نظر ابن جني إلى مسألة أصالة الفعل الرباعي المضاعف نظرة صوتية محضة، وضرب المثل بالصيغة المضعفة (حَثْحَثَ)، حيث أن حرف الحاء حلقي بعيد في مخرجه عن الثاء ولا يمكن أن يكون في الفعل (حَثْحَثَ) ثاء ثالثة بديلة عن الثاء الوسطى في الثلاثي (حَثَّثَ) وذلك استثقالا منه لثلاث أصوات في صيغة واحدة وقال: «(حَثْحَثَ) أصل رباعي و(حَثَّثَ) أصل ثلاثي وليس واحد منهما يدل على لفظ صاحبه إلا أن (حَثْحَثَ) من مضاعف الأربعة[2]؛ وقد جوز علماء اللغة لاسيما البصرية منهم تأليف الحروف في مضاعف الحكاية من الصدر إلى العجز إلى المفصول بمقياس الاستساغة السمعية في رحاب معنى المسمى،كتسمية العرب للرماح بالصمصامة والمرأة الضحوك بالضحكاكة،ونحوهما ومثل ذلك ما ذكره ابن جني في ترخص التأليف في مضاعف الحكاية على وجه الاحتمال لا القطع قوله: «فأما قولهم حأحأت بالكبش إذا دعوته فقلت: حُو..حُو وهأهأت بالإبل إذا

1- مقاييس اللغة، لابن فارس، عناية، د:محمد عوض مرجي، وفاطمة محمد أصلان ،دار إحياء التراث، بيروت،ط1، 2001 180/01.

2- سر صناعة الإعراب :180/01.

قلت لها: هاَ..هاَ، فإنما احتمل فيه تأخير الهمزة عن الحاء والهاء لأجل التضعيف، فإنه يجوز فيه ما لا يجوز في غيره.»[1]

ومن ثم كان دفع البصريين لمسألة الاشتقاق في الرباعي المضاعف: «أنه لا يفصل بين الحرف وما كرر منه بحرف أصلي.»[2]، وكأنهم بذلك ينأون بأنفسهم عن التكلف في وضع المفردة فالصيغة عندهم هي ما لازمت حروفها جميع ألوان التصريف، وظلت في وظيفتها تامة بحروفها ومعانيها .

2- رأي من قال بـ : صيغة ثلاثية مزيدة:

خالف لُغويُّو الكوفة نظراءهم البصريين، ودفعوا أن تكون أصول أربعة في صيغة واحدة وقالوا إنما الأصول ثلاثة على زنة (فَعَّل) بتضعيف العين، على نحو، (كبَّ من كبكب وعَسَّ من عَسْعَسَ...) وأن الثلاثي (زلَّ) أصل والرباعي (زلزل) مزيد وفسروا الزيادة بأن التضعيف مستثقل في الثلاثي فخفف بأن جعلوا الحرف الثالث من (حَ ثْ حَ ثَ مثلا) بديل عن الثاني في (حَ ثْ ثَ ثَ): «فأبدل من أحد العينين حرف من لفظ الفاء.»[3]؛وتحجج الكوفيون بالمعنى في الصيغتين بالأصول الثلاثة أو الأربعة، وارتأوا أن المضاعف يحتفظ بالمعنى نفسه أو يكون منا سباً لمعناه مناسبة قريبة في الابقاء على ثالثه أو

1- المصدر نفسه:181/1 .

2- شرح الشافية للجاربردي : 367/02.

3- ينظر : البحر المحيط :4/3/7 .

سقوطه؛ فدلالة (كبكب) هي نفس دلالة(كبَّ) وإنما الزيادة تمت في داخل الصيغة في التحول من المماثلة إلى المخالفة تخفيفا.

وقد ذهب الزجاج مذهب الكوفيين وقال: الأصول ثلاثة وقال بتكرار الفاء في الصيغة وعلى ذلك يكون الوزن عنده (فَعْفَل) بدل (فعلل)[1]، والملفت أن الكوفيين اعتبروا الزيادة على الأصل الثلاثي تكرارا وليس تضعيفا؛ إذ التضعيف يكون داخل الكلمة بواو أو ياء أو نون بزنة (فَوْعَلَ أو فَيْعَلَ أو فَنْعَلَ)، ومن ثم جعلوا من الأصل الثلاثي والرباعي وجهاً واحداً لصيغتيه المتآخيتين بل عدَّ مقيساً للمتأخرين في تشكيل الكلمة واعتبارها دلاليا .

وعلى هذا استقر رأي المدرسة الكوفية على أن ما زاد على الثلاثي إنما هو ثلاثي مزيد ولو أنهم لم يجتمعوا في تحديد موضع الحرف الزائد وإن عرف عنهم القول بزيادة الحرف الثالث وهو القول الذي ارتضاه المحدثين من أهل الاختصاص لاسيما صناع المعاجم.

فهذا الدكتور علي حلمي موسى حين أحصى جذور معجم « الصحاح» سقط منه سهوا بعض الجذور حتى ظُن أنها ليست من الرباعي المضعف فاستدرك مؤكدا الجذور الثلاثية لها بما يوافق مذهب الكوفيين في زيادة الحرف الثالث، فقال معقبا: «..وقد يتبادر إلى الذهن أن هناك عددا آخر من تلك الجذور غير وارد بالمعجم، مثل: بَلبَل، تَلتَلَ ،جمجَمَ ،حَمحَمَ ؛ولكن الواقع أن هذه الكلمات ومثيلاتها كلمات رباعية مكونة من مقطعين متماثلين وليست جذورا ، فهي مشتقة من جذور ثلاثية هي: بَلَلَ تَلَلَ ،جَمَمَ ،حَمَمَ.»[2]

1- الخصائص :52/01.

2- ينظر: دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح ،ص:29،30 .

ولابن منظور تفسير في الحرف الثالث المزيد في الرباعي ذكره في مادة [كعع]، مفاده، أن الاستبدال لا يتم إلا بحرف موجود في الصيغة الثلاثية الأصلية حيث قال في [سغسغ] ما نصه :«.. وأصله سغغته بثلاث غينات،إلا أنهم أبدلوا من الغين الوسطى سينا فرقا بين فَعلَلَ وفَعلَ [بتضعيف العين]،وإنما أرادوا السين دون سائر الحروف لأن في الفعل سينا وكذلك القول في جميع ما أشبهه من المضاعف، لقلق وعثعث وكعكع.»[1]

والخلاصة أن من قال بالثلاثي المزيد أصلا إنما نظر إلى الثلاثي والرباعي من حيث اللفظ والمعنى، لا تضار دلالتها بالزيادة أو النقصان، من زاوية المجاورة الدلالية والتداعي في الأصوات المشكلة لتركيبتها.

3- رأي من قال بـ : صيغة ثنائية ملحقة مكررة:

بالرغم من اتفاق **آراء** صرفيي الكوفة في أن الثلاثي أصل وأن ما زاد عليه ليس إلاَّ ملحقا زائداً، إلا أنهم اختلفوا في تحديد وزن ما صار عليه هل هو فعلل من فَعَّلَ مثل ما قال به الزجاج أو فَعْفَع على قول الفراء وبعض أصحاب المعاجم ؟

وقد علق السيوطي على هذا الاضطراب في الاستقرار على وزن محدد بقول يستشف منه تخبط القوم في المسألة ، فيقول :« فمنهم من قال : لا نزن شيئاً من ذلك وإذا سئل عن وزنه قال: لا أدري، ومنهم من يزن ذلك كوزنها فيقول: فعلل و فعلل مع اعتقاد زيادة ما زاد على الثلاثة.»[2]، وأمام هذا التخبط في الاستقرار على وزن معين كما وصف

1- يراجع لسان العرب ،لابن منظور،دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت،1988م ، مادة:كعع، ص:21.
2- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي . ج 452/3.

السيوطي نجد الفراء يعتبر المضاعف الرباعي ثنائيا مكرراً زنته (فعفع)[1] وهذه الثنائية الصوتية يترتب عنها أفعال رباعية ذات دلالة، أصلها ثلاثي على نحو ما مرَّ معنا في مسألة تأصيل الصيغة،وإلى الرأي نفسه ذهب ابن دريد في الجمهرة وقال أنه ثنائي ملحق ببناء الرباعي المكرر[2]، وذكر أمثلة لثنائيات صوتية انضوت تحتها أفعال هي في أساسها معكوسة عن هذه الثنائيات ومثل على ذلك بحصحص وهي معكوس (صَ حْ صَ حَ) أو عسعس من (س ع س ع)، وجاء عن الطبري ما يؤكد ورود هذه الصيغة الثنائية المعكوسة في لغة العرب ذكره في تهذيب الآثار ننقله بنصه: « فمن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:« لو أنا صمنا شهرنا فإن الشهر قد تسعسع»، يعني به قد أدبر ومضى أكثره فلم يبق منه إلا القليل، وكذلك يقال لكل ما ولى وأدبر ودنا فناؤه «قد تسعسع»، ومنه قيل لليل إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير:« قد سعسع وتسعسع وعسعس».

ومن قولهم من لغة من قال: «سعسع الليل والإنسان» إذا أدبر كِبَرًا ودنا انقضاء أيامه وذلك عَنَى رؤبة: « يا هند ما أسرع ما تسعسعا» يقول: ما أسرع ما أدبر ودنا من الفناء.»[3]؛ والطبري هنا يشير إلى قول رؤبة بن العجاج التميمي صاحب الأراجيز لما رأته أم عمرو أصلع يمسح بالدهن:

1- ارتشاف الضرب : 110/01.

2- ينظر الجمهرة : 150.149.142/1.

3- تهذيب الآثار لأبي جعفر الطبري ، قرأه و خرج أحاديثه أبو فهر محمود شاكر ، مطبعة المدني . بمصر . 5/271.

يا هندُ ما أسرَعَ ما تَسَعْسَعَا لو رجَا تَبْعَ الصِبَا تَتَبَّعَا[1]

وإلى هذا نعتبر أن ابن دريد نظر إلى الإلحاق في الثنائيات المكررة من زاوية تداعي معانيها واعتماداً على وقعها في السمع وعلى هذا تكون الأفعال المضاعفة في القرآن الكريم وغيره على مذهب ابن دريد ثنائية معكوسة في تركيبها نحو:

- كبكب معكوس (ب ك ب ك)
- زلزل // (ل ز ل ز)
- قهقه // (هـ ق هـ ق)
- حمحم // (م ح م ح)
- دمدم // (م د م د)

وقد أجمع أهل اللغة وعلماء التفسير على أن الفعل الرباعي المتماثل الأصوات من الأضداد قال الخليل: « عسعس الليل بمعنى أقبل ظلامه أو أدبر به[2]، وزاد الراغب الأصفهاني « أي أقبل وأدبر وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه»[3]، وقد أصَّل ابن فارس له بأن جعل للإقبال أصل عسعس وللإدبار القلب والمعاكسة سعسع بمعنى مضى وانتهى .

1- مجموع أشعار العرب و هو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج و على أبيات منسوبة اليه اعتنى بتصحيحه و ترتيبه وليم بن الورد البرونسي ّ دار بن قتيبة للنشر و التوزيع الكويت 1996 بدون طبعة.

2- العين،47/01.

3- المفردات في غريب القرآن الراغب الاصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ، نشر دار المعرفة،بيروت، لبنان، 502هـ.ص: 337.

غير أننا نرى أن ما يصح مع الفعل عسعس لم يصح مع غيره ومن ثم لا يعدّ مقيسا لبقية الأفعال .

ومن المحدثين من فسر مذهب كل من الفراء وابن دريد بأن « الرباعي نشأ من ثنائيين يراد بضمهما دلالة (بين بين)»[1]، ومن ثم يكون عندهم الرباعي ثنائيا مكررا أوجد لإفادة تركيبية، والمحدثون على هذا يأخذون بالتكرار سبيلا لتوليد معنى من تركيب لفظي دقيق غاية في الصنعة والمجاورة الدلالية، ويردون في المقابل ما ذهب إليه الأقدمون في القول بالتضعيف في داخل الصيغة الرباعية المضاعفة.

فالفرق كبير بين ميزة التضعيف وخاصية التكرار، ورجحوا من باب التوافق أن يعدَّ قسما من الثنائي، أو قسيماً للثنائي المضعف وهم بذلك يميزونه نوعياً عن الثنائيات الصرفية المعهودة في ما يعرف بالثلاثي، وفسر تمام حسان هذا النوع من الفعل الرباعي تفسيرا تركيبيا صوتيا صرفا بقوله:« ... هذا النوع من الرباعي المجرد ذو أصل ثلاثي تماثلت عينه ولامه فأصبحتا حرفا واحدا مشددا تكون الرباعي منه بتكرار الفاء بين الحرف المشدد بعد فكه.»[2]

وعلى هذا المنوال ينقسم الثنائي عندهم إلى :

أ- ثنائي مضاعف ذو أصل ثلاثي تماثلت عينه ولامه فأصبحتا حرف واحداً مشدداً،ك: عدَّ وجدَّ وردَّ ومدَّ ونحوها ...

1- ينظر تهذيب المقدمة اللغوية لعبد الله العلايلي: ص -170-171.

2- مناهج البحث في اللغة ، حسان تمام : 218.

ب ـ ثنائي مكرر نتج عن تكرار الفاء بين عنصري الحرف المضعف بعد فكهما ومنه يكون: زلزل ودمدم وحصحص وسوس وغيرها.

ومن ثم يستشف من رأي المحدثين الموافق لآراء الكوفيين إقرار بالأصل الثلاثي ويذهبون إلى أن الصامت الأول المكرر بين الصامتين المتماثلين زيادة صرفية محضة[1]؛ في داخل اللغة.

والحق أن القول بالأصل الثلاثي اعتبر تكلفا في تصريف اللفظ عند القدماء على نحو ما مر ولو أنَّ القول به أكثر إقناعاً بالنظر إلى التضارب الذي حصل عند القدماء في مسألة أصالة الرباعي وعدم الاتفاق على الصامت الزائد فيه كما تبين لنا في أقوال البصريين آنفا ويبقى الاستدلال بالمعنى في رأينا ما يؤنس له والراجح أن الرباعي من أصل ثلاثي صار أصيلاً بذاته بالنظر في دلالة الرباعي التي توحي في(عسَّ وهدَّ وكفَّ وجرَّ وزلَّ) أن الفعل وقع واستقر بعدها في حين أن الزيادة في حركة وقوع الفعل واستمراره دلل عليه الإلحاق في (عسعس وهدهد وكفكف وجرجر ...) وهوما أشار إليه الخليل في العين يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف، الثابت في كل ذلك أن الضربين من فعَّل وفعلل شائعا الاستعمال قياسا في اللسان العربي قديماً وحاضراً في الشعر والنثر على حد السواء.

وفي ما يلي جدول توضيحي بالتركيبة الصوتية للرباعي المضاعفة، بما يوافق التوصيفات التضاربة لعلماء اللغة، والصيغ الواردة في تأصيله وبيان تركيبته بأوزانها:

1- مناهج البحث في اللغة ، حسان تمام ،ص: 218.

المتماثلان المكرران	الرباعي أصل مستقل	وزنه	الأصل الثلاثي للرباعي المضاعف	وزنه	الرباعي المضاغف أصل ثنائي منعكس	وزنه	الرباعي المضاعف ثنائي مكرر	وزنه
– ح ص	حصحص	فعلل	حصَّ	فعل[1]	صحصح	فعفع[2]	حصَّ حصّ	فعل+ فعل
– ع س	عسعس	فعلل	عسَّ	فعل	سعسع	فعفع	ع سَّ ع	فعل+ فعل
– زح	زحزح	فعلل	زحَّ	فعل	حزحز	فعفع	سَّ	فعل+ فعل
– دم	دمدم	فعلل	دمَّ	فعل	مدمد	فعفع	زحَّ زحَّ	فعل+ فعل
– وس	وسوس	فعلل	وَسَّ	فعل	سوسو	فعفع	دمَّ دمَّ	فعل+ فعل
– ك ب	كبكب	فعلل	كبَّ	فعل	بكبك	فعفع	وَسَّ وَسَّ	فعل+ فعل
–زل	زلزل	فعلل	زلَّ	فعل	لزلز	فعفع	كبَّ كبَّ	فعل+ فعل
							زلَّ زلَّ	

والذي يستفاد من الجدول أن التماثل في جميع الصيغ المذكورة في الجدول ، لم يخرج الفعل عن معناه الحقيقي، إلا ما كان تطويرا في المدلول؛ أو استمرارا في الحكاية على حد توصيف الخليل كما ذكرنا سابقا، غير أن اللافت هو الصيغ المعكوسة ،التي ترد صدى لأصوات ،فهي على ذلك أفعال منحوتة من أصواتها.

1- الأصل،فعلَ وصار فعلل بزيادة الحرف الثالث وهو رأي الكوفيين .

2- يرى ابن دريد أنها منعكسة وهي الأصل .

الفصل الثاني

التعليل الصوتي للفعل الرباعي و علاقته بالمعنى في السياق القرآني .

التعليل الصوتي للفعل الرباعي و علاقته بالمعنى في السياق القرآني :

ليست اللغة في مفهومها البسيط إلا ظاهرة نطقية اجتماعية، أساسها الصوت اللغوي المعبر عنها، والذي بموجبه يتشكل الكلام وتنظم العبارة، التي تعبر عن أغراض الناس، فهي لا تعدو أن تكون: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.»[1]، على حد وصف ابن جني.

ومن ثم نشأت تلك التلازمية الوشيجة بين اللفظ والمعنى فقد كان للخليل بن أحمد (ت175هـ) قصب السبق في التنبه لتناسبية الألفاظ والمعاني في الصيغة الإفرادية أو النسيج الكلامي المشكل من مجموع الألفاظ؛ ويتضح ذلك جليا في كتابه «العين » حيث كان يكرر حرفا أو حرفين، أو ما يعرف صرفيا بالتضعيف في نقلته من صيغة إلى أخرى ابتغاء الإغناء اللغوي وإثراء السياق الدلالي إذ أن القاعدة عند أهل اللغة هي: «كل زيادة في الكلمة تدل على زيادة في المعنى.»[2] ، وهو تفرد لا تنازع فيه العربية.

ومقام الكلام يقتضي انتحاء صيغة العدول عن اللفظة إلى غيرها بمقتضى الكلام «ولما كثرت المعاني، استوجبت المباني فلم يصبح التضعيف وحده كافيا في أداء المعاني الكثيرة، وعمدت طبيعة اللغة إلى اجتلاب أحرف الزيادة»[3]، وعلى هذا يكون المدلول الصوتي في

1- الخصائص :ابن جنى بحقيق عبد الحكيم بن محمد ،المكتبة التوفيقية بمصر 44/1.

2- الكتاب :مشكلة زيادة المبنى ودلالتها على زيادة المعنى دراسة تطبيقية على السين وسوف في القرآن الكريم.محمد ذنون يونس جامعة الموصل ، ص38.

3- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ،ابن الأثير:250/2،تحقيق :د أحمد الحوفي و د: بدوي طبانة، مكتبه النهظة مصر ط: 1،/1959

اللفظ موحيا بمعاني في سياق الكلام؛ فظاهرة التضعيف كصيغة عدول من لفظة إلى أخرى، إنما هي زيادة في قوة المعنى إلى قوة الملفوظ وهما دليلان على بعضهما واللفظ مثال للإبانة عن المعاني والمعنى دليل على الصوت اللغوي المنطوق.

وعلى هذا كان مثال هذا التناسب بين اللفظ ومعناه في جذر اللفظ أوفي حالات العدول عنه: الفعل الرباعي المضاعف الذي تحول من صيغة ثلاثية بفضل ميزة التضعيف إلى صيغة رباعية قائمة بذاتها لها تبعاتها في توليد معنى جديد وصيغة صوتية تتسم بصامتين لازمين مكررين فالتضعيف استمرار للحكاية.

جاء في مقدمة «العين » قول الخليل « يتوهمون في حسن الحركة ما يتوهمون في جرس الصوت يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف»[1]، ومثل الخليل لمقام الصيغة ودلالتها بقوله (صل اللجام يصل صليلا)، قال فلو حكيت ذلك قلت: صل تمد اللام وتثقلها وقد خففتها في الصلصلة وهما جميعا صوت اللجام؛ فالنقل مد والتضاعف ترجيع يخف فلا يتمكن لأنه على حرفين. فلا يُتَقدر للتصريف حتى يضاعف أو يثقل، فيجيء كثيرا منه متفقا على ما وصفت لك ويجيء منه كثيرا مختلفا نحو قولك: صر الجندب صريرا وصرصر الأخطب صرصرة، فكلهم توهموا في صوت الجندب مدا وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا[2].

1- تراجع:مقدمة كتاب العين :55/1 الخليل بن أحمد .

2- المصدر نفسه:56/1.

ويستفاد من نص الخليل أن العدول إلى صيغة الرباعي عن ثلاثي توجب ترجيع الفعل على مرتين مرة تلو مرة؛ وهوما ينسجم مع المحاكاة بين الدال والمدلول وإلى ذلك وافق ابن جني الخليل وأفاض في شرحه لنصه؛ ليؤكد أن الفعل دليل المعنى في حال تكراره بل ويقويه وتقطيع الفعل الرباعي دليل على ألفاظ أشباه المعاني يقول ابن الجني: «فلما كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوها دليلا على قوة المعنى المحدث به وتكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر حقحق[1] دليلا على تقطيعه.»[2]، ومنه يكون التكرار سبيلا إلى معنى ثان أقوى.

إن صاحب الخصائص يجعل من الرباعي المضاعف دليلا واضحا على التكرير ويضرب المثل بمصادر الزعزعة والقلقة وما شابه[3]، وعلى هذا تكون صيغة الرباعي المضاعف ذي الحرفين المكررين ذات دلالة موحية بمعنى لغوي يعرو فيها الصوت اللفظ ويولد أثرا تعبيرا جماليا في مجالي الحسن والقبح ،تبرزها الأصوات المكررة في لفظ واحد فالرباعي . خلافا للثلاثي الأكثر استعمالا، في أصواته رنين يزيد على رنين الثلاثي؛ومن ثم اتخذت منه اللغة القرآنية وسيلة لتصوير المواقف، التي حفلت بها سور القرآن وآياته «تتخذ اللغة القرآنية أحيانا من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير موقف وتجسيمه والإيحاء بما يدل عليه »[4]؛

1- حقحق بمعنى جد في الأمر،ينظر:القاموس المحيط 875.

2- الخصائص لابن جني : 103/2.

3- المصدر نفسه: 101/2.

4- دراسات قرآنية في جزء عم ، د محمد أحمد نحلة ص: 160-161 ، دار العلوم العربية بيروت، ط1 ، 1989م.

لذا كانت صيغة الرباعي المضاعف «فعلل» في العبارة القرآنية لفظا وصوتا ومعنى مثال الدقة والروعة وجودة الانسجام مع السياق الواردة فيه.

وبتحليل الفعل الرباعي المضاعف الوارد في القرآن، تبين مدى الخاصية التركيبية لأصواتها التي جعلتها أنسب للموقف في الرواية القرآنية؛ فالمستوى الصوتي المميز في تحول الصيغة الرباعية المضاعفة خصوصا ظاهرتي المماثلة والمخالفة، التي اعترت الأفعال القرآنية الواردة على زنة «فعلل» دلت على أنها تطور لأصل فعل ثلاثي مضعف، زنته (فعل) مضعف العين فيتم التبديل من أحد الصامتين صوتا يماثل الصوت الأول من قبيل المخالفة بين الصامتين المتماثلين بداعي التخفيف كما سيتبين لا حقا.

1 – صيغة كُبْكِبَ:

ورد هذا الفعل مرة واحدة في التعبير القرآني، في قوله تعالى: ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ،وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ** ﴾[1]،وقد جاء رسم المصحف للفعل بصيغة (فكبكبوا) مبنيا للمجهول مسندا إلى ضمير الجماعة،حيث أبدلت الباء المضعفة بالكاف من أصل الفعل الثلاثي (كببوا) من مصدر هو(الكبّ)، وأصل الكبّ في اللغة سقوط شيء على وجهه،كأن تقول: (كببت الكأس بعد الغسيل)، فتكون الباء الوسطى من(كببوا)مستبدلة بكاف لاستثقال النطق بثلاث باءات[2] مجتمعة فترسم تخفيفا(كبكبوا).

1- الشعراء:94.

2- ينظر: غريب القرآن ، أبوبكر محمد بن عزيز السجستاني ،318، دار قتيبة، 1416هـ، 1995م تحقيق محمد أديب جمران.

وحرفا الكاف والباء في أصلهما صحيحان، يدلان على الجمع والاجتماع وعدم ضياع شيء منه؛ في حين أن الكبكبة تعني الإلقاء في الهوة حتى القرار وفي اللسان الرسّ في هوة [1]؛ والتضعيف على هذا دل على تكرار الانكباب مرة بعد مرة حتى يستقر قال الزجاج: « ومعنى كبكبوا طرح بعضهم على بعض ،وقال أهل اللغة معناه حوروا وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنه ألقي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها يستجير بالله منها »[2]، وتبين أن اجتماع حرفي الكاف والباء في هذه الصيغة المكررة ترك أثره البالغ على المعنى؛ فالكاف حرف طبقي في المخرج، مهموس شديد في صفته العامة متسفل منفتح في وضعه الخاص[3]، شدة الهمس به منحت حركة الكب قوة في دفع المكبوبين المتمنعين من السقوط في الهوة، وضم حرف الكاف لصيغة الفاعل المجهول تصور ردة فعل لتمنع المكبوبين ونقل الحركة وشدتها وأثناء دفعهم وطرحهم على بعضهم البعض هوما كان ليتحقق لو بني الفعل للمعلوم؛ لذلك كان تخير الباري عز وجل للفظة «كُبكبُوا» في تصوير المشهد أثره البالغ في الجمع بين الصورة والصوت من لدن المتلقي،إذ: « يحدث جرسها صوت الحركة التي تتم بها، ويصورها للسامع أدق تصوير..»[4]، فتترك ـ جراء ذلك ـ أثرا مخيفا ملقًى في الروع.

1- اللسان: مادة: (ك.ب.ب)،697/1.

2- إعراب القرآن و معانيه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق : عبد الجليل شلبي ،عالم الكتب،الطبعة الأولى ، 1988م.:94/4.

3- مناهج البحث في اللغة ، حسان تمام ، ص:95.

4- جرس الألفاظ و دلالاته في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، لماهر مهدي، ص:169.

أما حرف الباء فشفوي المخرج مجهور شديد في وصفه العام، ومقلقل في وصفه الخاص،وهي صفات تدل على القوة في تكرار حرف الفعل (كبكبوا) وتحمل أصوات حركة الدفع ؛والسقوط والدبيب الناشئ عنهما يشكل الحدث جلبة تنخلع لها القلوب: «وصوت الدبدبة الناشئ من الكبكبة كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه.»[1]، ذلك أن قوة حرف الباء المكررة في الصيغة ،وقلقلتها أوحى بالدفع المضجّ والمتتابع على النحو الذي صورته بدقة: «سورة الزُمر» في وفود أهل النار على جهنم.

والملفت أن التقطيع الصوتي للفعل (كبكبوا) ينسجم مع الحركة في ابتدائها وفي نهايتها على نحو مبهر؛ فالفعل على ثلاث مقاطع صوتية مشكلة على نحو تعبر عن المقام بالكيفية التالية:

* كب/صوت + حركة + صوت//مقطع متوسط مقفل يدل على: الدفع بشدة، وبدفعة واحدة

*ك/ صوت + حركة// مقطع قصير مفتوح يدل على: الدحرجة بفعل الدفع.

* بوا / صوت+حركه+حركة// مقطع متوسط مفتوح يدل على: طول حركة السقوط في الهاوية، ومن ثم يكون كل صوتين منسجمين في التركيب الصوتي يجتمعان في صفتي الجهر والشدة.

2 – صيغة دَمْدَمَ:

1- مشاهد القيامة في القرآن/133-134.

ورد الفعل الرباعي المضاعف« دمدم»، في الآية (14) من سورة الشمس في قوله الله تعالى إخبارا عن مصير قوم نبي الله صالح عليه السلام ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا** ﴾؛ولم يرد في سورة غيرها ،وأصل التركيبة الصوتية فيه برسم المصحف (دمدم) بإبدال الميم الوسطى (دالا) تخفيفا والأصل الصوتي له هو الثلاثي مضعف الوسط (دمَّمَ)؛ والدمدمة تعني الهلاك في دلالتها: «وهو أصل واحد يدل على غشيان شيء.»[1]، و«دمّهم يدمّهم دما :طحنهم فأهلكم.»[2]

هذا الموقف الضاجّ ،والمدوي الذي عبر عنه الفعل تعود فيه قوة تصوير الدوي إلى مزية التقاء حرفي الدال والميم، فالدال حرف أسناني لثوي في مخرجه، صفته الجهر والشدة في عموم التصويت به، وصفة القلقة في خصوصيته الجرسية؛ وقد جعل لصوق حرف الميم به منه حرفا مجهورا وانفجاريا قويا يحدث دويا في أذن السامع، أما حرف الميم يلتقي به في صفة الجهر وتقارب المخارج ، وهو وسط بين الشدة والرخاوة مخرجه الشفتان: « ومما بين الشفتين مخرج الباء ،والميم والواو.»[1]

والميم حرف غنة: « ويخرج من الخياشيم لا عمل للسان فيه مع صنوه النون»[2] وهي من صفات الشدة والوضوح.

[1] – مقاييس اللغة ،ابن فارس ، /330.

[2] – اللسان : مادة(دم م) 209/12.

1– الكتاب،433/4.

2– المصدر نفسه،2/8.

وقد جعلت الخاصية الصوتية الجهرية لحرف الدال منه الأنسب تعبيرا عن الرهبة وقوة الدمدمة؛وجعلت منه غنة الميم الأكثر تدليلا على غضب الله على هؤلاء الأقوام والتكرار في الحرفين متابعة وتعاقب؛ مما يوحي أن صيغة « فعلل» دللت على التضعيف في العقاب وترديده مع شدة البطشة، وهو ما تنسجم معه حالة الغضب وتكون نتاجا له وهي صورة متكاملة للدمدمة وصفها القرطبي بالإطباق وقال: «دمدم عليه القبر: أطبقه فإذا كررت الإطباق، قلت: دمدمت».[1]

وجاء البناء المقطعي لهذه الصيغة بإعادة الشمول بتلك الدمدمة ،فالصيغة تتكون من ثلاثة مقاطع: الأول طويل مقفل والآخران قصيران مفتوحان.

* – مقطع أول طويل مقفل: ص+ ح +ص (دَمْ): تعبر عن انفجار.

* – مقطعان ثاني وثالث مفتوحان: د/ص + ح//م/ص + ح : في دلالة على الاستمرار

3 – صيغة حَصْحَصَ:

ورد الفعل الرباعي المضاعف «حصحص» على وزن فعلل مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في سياق سورة يوسف حكاية عن امرأة العزيز قوله تعالى: ﴿ **قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**... ﴾[2]؛وهو إقرار

1- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي،79/20،تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني ،دار الشعب،القاهرة،ط:02،سنة:1373هـ.

2- يوسف:51.

صريح من امرأة العزيز ببراءة يوسف، وقد جاء رسم المصحف بتكرار حرفي الحاء والصاد مبدلين عن أحد الحرفين ا لمضاعفين (الحاء) من الأصل الثلاثي المضعف الوسط(حصّص)،و«حصص الشيء تحصيصا،وحصحص بان وظهر.»[1]

وقد كان لتخير وانتقاء حرفي الحاء والصاد مكررين أثر بالغ، لهذين الصوتين القويين في توجيه المعنى إلى دلالة غلبة الحق وظهوره المبهر على لسان من كانت وراء الباطل وإيتاء الإفك فحرف الحاء وهو الصامت الأول المصوت به في لفظ الفعل حرف حلقين يخرج من المخرج الثاني من الحلق،وهو نفس مخرج حرف العين؛إذ ينتجان عن احتكاك اللسان بمبدأ الحلق، وهو ما ييسر عملية مرور الهواء أثناء التصويت بالحاء والعين معا، يقول أحمد مختار عمر عنهما: « يتم إنتاجهما عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق،بصورة تسمح بمرور الهواء مع حدوث احتكاك استمراري»[2]،وهي من علامات صفات القوة والوضوح،وحرف الحاء يتصف في عمومه بالرخاوة والهمس وهو احتكاكي مسموع؛ وأما صفاته الخاصة هو:«منفتح لا مطبق ولا مستعل »[3]،وهي ميزة أريح للسمع وأفيد لوضوح اللفظ،والتقاطه جرسيا بيسر؛أما حرف الصاد والمكرر الثاني من الصيغة المضاعفة، فهو أسناني أسلي المخرج وهو من حروف طرفي اللسان لأن: «مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان.»[4]

1- القاموس المحيط793.

2- دراسة الصوت اللغوي:د أحمد مختار عمر ص319،عالم الكتب – القاهرة 2004م.

3- الرعاية لمكي بن أبي طالب، تحقيق، د: أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية ص: 99.

4- مقدمة كتاب العين :58/1.

وهو حرف على نفس الصفة لصنوه حرف الحاء من حيث الرخاوة والهمس، غير أنه يختلف عنه في الصفات الخاصة فهو مطبق غير منفتح ومستعل، وكأنه قفل لحرف الحاء وقد زادته ميزة الصفير مع حرف الزاي والسين[1] قوة الإطباق والاستعلاء، واتحاد حرف الحاء، والصاد في الصفات العامة الهمس، والرخاوة جعلهما على حس خفي معاكسين للجهر والقوة، وكأن اقترانها في تلفظ امرأة العزيز دليل على إسرار المرأة،وأنها إذا جهرت بالحقيقة جاء من غير جهر وشدة لصعوبة موقف المرأة وسط جمع من الرجال في مثل قضايا الشرف والعفة؛ وأما تعاكس الحرفين في صفتي الانفتاح والاستفالة لحرف الحاء والاستعلاء والإطباق لحرف الصاد فيفسره التنازع في حركتي الظهور والإخفاء.

وكان لانفتاح الحاء وصفته في عدم إطباقه، وعدم استعلائه تدليل على البهتان المضمر في نفس المرأة؛ وصفير الصاد واستعلائه دليل على الحق الصادح الواضح الذي يقرع الأسماع.

وبالنظر في المقطع الصوتي لصيغة الرباعي (حصحص) بدت مكونة هي الأخرى من ثلاثة مقاطع صوتية، نمثل لها مقطعيا بالصورة التالية:

أ – **المقطع الأول**: حص/ص+ح+ص مقطع متوسط مقفل لا يسمح بتدفق الحرفين (الحاء والصاد).

ب– **المقطع الثاني قصير مفتوح**: ح/ح+ص أضفى على المقطع الأول استمرارية ورخاوة تجعلهما مسموعين يصلان السمع.

1– الرعاية، ص: 99.

د – **أما المقطع الثالث:** فقصير مفتوح ص/ص+ح فوصل بالأصوات الأربعة إلى غاية المعنى بحرية في التصويت ويسر في النطق بها ،لاسيما وأن حركة الفتحة الصائتة على الصامت الرابع أعلت ورفعت فجاءت كلمة الحق بعدها ظاهرة بشكل ملفت للسمع والانتباه.

4 – صيغة:زَحْزَحَ:

– جاء الفعل مبنيا للمجهول في قوله تعالى في سورة آل عمران الآية (185) : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾؛ والفعل أصله (زحَّح) قياسا على (دمدم وكبب وحصص...) أبدل حرف الحاء الأوسط منه (زايا) تخفيفا ؛والزحزحة إبعاد وتنحية بعجلة : « يقال زح الشيء يزحه زحا جذبه في عجله وزحزحته فتزحزح دفعته ونحيته عن موضعه.»[1] ،واقتران حرفي (الزاي والحاء) في صيغة (زحزح) مضاعفين أضفى على الصيغة لمسة فنية في ابتغاء المعنى الدقيق،فالزاي حرف أسلي(أسناني لثوي): «وهو أحد الأحرف السبعة التي تخرج من الأسنان واللثة معا.»[2]، يتصف بالجهر والرخاوة، وخروجه من الأسنان واللثة جعله صفيريا: «والصفير من علامات قوة القوي في السمع الحرف.»[3]، لوقعه القوي في السمع.

1– المحكم لابن سيدة 351/2 تحقيق مصطفى السقاوة،حسين نصار،مطبعة مصطفى الحلبي ط1 ،1958 دار الكتب بالعلمية.

2– مناهج البحث في اللغة ، حسان تمام .

3– الرعاية 183.

ويقترن في اللفظ بحرف الحاء الحلقي الرخو والمهموس فالزاي بصفتيه الجهورية والرخوة وخصوصيته الصفيرية، أضفى على الزحزحة حركية،بحيث بدت التنحية من غير طواعية وأن هناك قوة مؤثرة أخرى هي الفاعلة، في حين أن خفة حرف الحاء أوحت باستجابة من وقعت عليه الزحزحة العنيفة فكان بذلك طيعا من ضعف وانكسار نفس وتشاوج الحرفين وتكرارهما في الصيغة مكن من استمرارية التناوب في عملية وقوع الزحزحة.

وإذا تفحصنا في التركيبة الصوتية لصيغة «زُحزحَ»،وهي ترد مبنية للمجهول تبينت خصوصية حرف الزاي الصائت في صرف دلالة الفعل إلى معناه الحقيقي داخل السياق العام للآية فوجود حرف «الضم» كأقوى الحركات بالمطلق على الزاي الأولى دلل على الثقل في الزحزحة مما استوجب التكرار ثانية وهو ما يتساوق مع بنية الرباعي المشكلة من تكرار ثلاثيين كما عرفنا سابقا في مسألة تأصيل الكوفيين للصيغة. فالزحزحة بدءا تبدو ثقيلة ثم تكون طوعية بعدها ؛كما يدلل على ذلك حرف الزاي الثانية بوجود «حركة الكسرة كأوسط الحركات قوة.»[1] ؛ عليه ثم نجد الحركة تكتمل بدلالة وجود «حركة الفتح الألين بين الحروف.»[2] ؛ على حرف الحاء الثاني؛وعليه يكون الشخص المزَحزَح قد نجا ونأى بنفسه عن النار.

وبالنظر إلى التقطيع الصوتي للصيغة يتبين من مقاطعها الثلاثةأن حركة الضم على الزاي الأولى والكسر في الزاي الثانية إنما هي تصوير لقوة في الحركة أعقبها تطويع وانسياب:

1- المقدمة الجزرية، منظومة لابن الجزري الطبعة الثانية ، المطبعة الظاهرية القاهرة 1135هـ ، ص : 121.
2- المرجع نفسه، ص 97.

-مقطع حركة قوية :زح/ص+ح+ص ⟵ مقطع متوسط مقفل: دل على قوة وثقل.

-مقطع حركة طوعية :ز/ص+ح ⟵ مقطع قصير مفتوح :دل على استجابة.

-مقطع حركة إنسيابية :ح /ص+ح ⟵ مقطع قصير مفتوح دل على تحول

وعلى هذا يكون من وقعت عليه الزحزحة قد تحول من موضع الهلاك إلى موضع النجاة.

5- صيغة :زَلْزَلَ:

وردت صيغة « زلزل» ست مرات في القرآن الكريم ثلاثا منها فعلا ماضيا مبنيا للمجهول وجاء رسم الفعل في الآية «زلزلت» بضم الزاي الأولى وكسر الزاي الثانية قراءة متواترة،ونقل الكرماني في الشواذ عن الجحدري «إذا زلزلت الأرض زلزالها» بفتح الزاءين[1] وعن نعيم بن ميسرة « زلزالها» بضم الزاء، وعن الأزرق بن عمرو «إذا زلزلت الأرض زلزالها» بكسر الزاءين[2]،ويعني الفعل والاسم معا وقد جاء قوله تعالى وصفا لحركة الأرض

1- شواذ القراءات ص:520، رضي الدين، شمس القراء، أبي عبد الله، محمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق: د.شمران العجيلي،مؤسسة البلاغ، ط:01، بيروت، لبنان.

2- المصدر نفسه:520 .

المدمرة في استعمال على وضعها اللغوي الحقيقي«﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**... ﴾[1]

في حين استعملت الصيغة في وضع على جهة المجاز مثلما يظهر في قوله تعالى: ﴿...**مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا** ...﴾[2]،والصيغتان كلاهما ترسمان موقفا حرجا يزلزل القلوب لعلاقة الموقف بمصائر الناس؛جاء في العين: الزلزلة من قولهم:«زل السهم عن الدرع والإنسان عن الصخر إذا استرسلت رجله من غير قصد . . . » [3]، وهي دلالة حسية استعملت على جهة الحقيقة.

في حين أن الدلالة المعنوية يصرفها الزمخشري إلى هفوات الإنسان وسوء تقديره وخطأ في تصرفه فيقول فيها «ومن المجاز: زل في قوله ورأيُه زله ، وزللا، وأزله الشيطان عن الحق واستزله....»[4]، وفي قوله تعالى عن المخلفين«﴿**اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ** ...﴾[5]

أما العلاقة الصوتية في الصيغة الرباعية في المعنيين الحقيقي والمجازي في السياقيين القرآنيين فيمثله تكرار حرفي الزاي واللام لمقتضى دلالي لا يمكنه التعبير عن الحدث إلا بهما فالزاي كما تم وصفه مجهور رخوسمته التجريس خاصيتة الصفير ؛واتصال اللام به زاد من جهوريته بالرغم من أنه وسط بين الشدة والرخاوة، وقد يتوسط الشدة والرخاوة لميزة

1- الزلزلة:01.

2- البقرة :214.

3- العين:348/7،لسان العرب:307/11،306.

4- أساس البلاغة للزمخشري دار صادر – بيروت/979.

5- آل عمران:155.

الانحراف[1]،كونه ذلقيا جعل الالتصاق بطرف اللسان أثناء التصويت باللغة من الحرف مطبقا« يمنع مرور الهواء إلى الأمام من أحد جانبي اللسان أوكليهما.»[2]

إن اشتراك الحرفين في الدلالة على الموقف أعطى صورة الاهتزاز الشديد، عقب سكون تام وهو ما يتجانس مع صورة العرض يوم زلزالها أومن زلزال القلوب يوم لقائها المباشر مع قضائها المحتوم وهي في كلا الموقفين واجفة تفقد التوازن بالمطلق وقد جعل الإيقاع اللفظي بفضل تنسيق الحركات على الصيغة من المعنى قوة في الحرف الأول وتلقائية مستجابة في الحرف الثاني، فنسق الحركات على « زُلزلَ» وهو مبني للمجهول جعل من الهزة قوية صارمة في الائتمار بالأمر الإلهي ،فالضم على الزاي الأولى ثم حركة السكون على حرف اللام الأولى أوحيا بتشاوجهما على أن الرجة وقعت مرة واحدة ثم كان التداعي والفناء في أعقابها بطواعية وهو ما أوحته حركة الكسر على الزاي الثانية وحركة الفتح على اللام الثانية ، اللتان خضعتا في المقطع الثاني «زلَ» لما يعرف بـ: «الانحراف الصوتي» أي: « تغير صفة الحرف من الشدة والرخاوة إلى حالة متوسطة بينهما»[3]، وهوما يؤكده نسق الحركات على صوامت الصيغة، والذي ندلل عليه بالآتي معتمدين القراءات القرآنية على اللفظة ما تواتر منها وما شذ، وفق ما تشكله الحركات من انسجام أو تنافر من

1- الأعراف: وصف صوتي لتغير صفة الحرف من الشدة والرخاوة على حالة متوسطة بينهما: ينظر: الكتاب435/4:الدراسات الصوتية عند عطاء علماء النجويد/322.

2- مناهج البحث في اللغة /105،دراسة الصوت اللغوي/317.

3- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد،ص:322.

الأخف إلى الأثقل[الفتحة فالكسرة فالضمة]، على اعتراض بعض علماء الصوت على توصيف الحركات الثلاث بالخفة والثقل :

نسق الحركات الأول :[حركات أخف] على رواية الجحدري الشاذة[إذا زلزلت الأرض بفتح الزاءين]توحي باهتزاز طوعي وتلقائية، وكأن ثمة أمر للأرض بزلزلة زلزالها مقيد بزمن محدد تستجيب له.

نسق الحركات الثاني:[حركات أثقل] على رواية نعيم بن ميسرة الشاذة[زلزالها بضم الزاء] يوحي الضم في الاسم على التفخيم ويدلل على تضخيم زلزال الآخرة وكأني به متفرد في هوله وتدميره عن الزلازل السابقة.

نسق الحركات الثالث :[حركات خفيفة]على رواية الأزرق بن عمرو[إذا زلزلت الأرض زلزالها بكسر الزاءين] وفي القراءة إمالة في الزاءين توحي باستجابة لأمر الله وانسيابية.

والمؤكد في هذه النسقية المبهرة في استجلاب الحركة المعبرة على صفات الأصوات المشكلة للفظة القرآنية بفضل خاصيتها التصويتية أن المظاهر السياقية التي تعتري الصيغ كالإعلال والإبدال والحذف والقلب والوقف ترد كلها في الغالب لحل مشكلات ما يعرف بـ: «التنافر الصوتي»؛ إذ يشكل تأثير الحركات في صنع هذا التنافر الصوتي أوفي انسجامه،مثلما عرفنا التنافر في قراءة الأزرق بن عمرو في كسر زائي [زلزالها] أو الانسجام الصوتي في روايتي ورش وحفص المتواترتان بكسر الزاء الأولى وفتح الثانية.

والصيغة كسابقاتها وردت على ثلاث مقاطع صوتية يوحي كل مقطع منها بدلالة معينة نفصل فيها بالكيفية التالية:

01 - مقطع متوسط مقفل /زل/ص+ح+ص/قوة وصرامة.

02 - مقطع قصير مفتوح/ز/ص+ح طوعية واستجابة.

03 - مقطع قصير مفتوح/ل/ص+ح/تلقائية وانسياب.

غير أن الصيغة الرباعية « فعلل » كانت في السياق القرآني على إيقاعين اثنين،أحدهما حسي والثاني معنوي ؛ فالبناء المقطعي أفاد إضافة دلالية جمالية في صورة الضميرين المتصلين إذا جاءت على النحو التالي:

1-(زلزلت) (زل)/ص+ح+ص /إقفال.

(ز)/ص+ح/ مفتوح.

(لت)/ص+ح+ص/اقفال

ويستفاد أن الصيغة في مقطعها الثالث المقفل دلت على حركة عنيفة واحدة همدت بعدها الأرض.

2-(زلز) المقطع الثالث (لوا)،ص+ح+ح مفتوح ،وهوما يفتح زلزلة القلوب إلى أجل معين حددتها نهاية سياق ما بعدها في قوله تعالى﴿... **حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ.**﴾[1]

6- صيغة : وَسْوَسَ:

1- البقرة :214.

تتكرر الصيغة حرفا (الواو والسين)، وقد وظف القرآن الصيغة في السياق القرآني ست مرات وجاء الرسم القرآني لصيغ مختلفة هي: فعلل (وسوس)،يوسوس (تفعلل) – وسواس (فعلال) وهي الصيغة الوحيدة الواردة مصدرا من بين الصيغ الست الأخرى الواردة أفعالا، والفعل (وسوس) بصيغة الماضي في قوله تعالى ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوتَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ.**﴾[1]

والفعل وسوس أصله بالقياس على الصيغ المشابهة (وسس) بإبدال السين الوسطى (واوا) والوسوسة «ما يلقيه الشيطان في القلب.»[2]

وكان لتزاوج حرفي (الواو والسين) بصمة على معنى الصيغة ودلالتها في سياق الآية؛من خلال العلاقة الصوتية بينهما، فإلقاء الصوت في النفس بخفاء بيان لمقصودية اختيار الفعل؛ فالواو شفوي فيه لين ومد ، يتلفظ بترقيق على جهر فيه، فهو متوسط بين الشدة والرخاوة وذهب أحمد مختار عمر في منهاج البحث في اللغة في وصف حرف الواو إلى أنه «حرف رخو إذ كان جامداً ولم يكن حرف مدٍّ.»[3] فجمود الحرف ورخاوته دلت على مصدر الصوت وحركته، وهي الخروج من الشفتين، وفي ذلك دلالة على عدم صدق القول وأبعد ما يكون عن الإخلاص في النوايا التي محلها القلب، وفتح حرفي الواو دلت على انسياب القول وملامسته الآذان ، وزاد همس (السين) ورخاوته من خفية

1- الأعراف :20.

2- البحر المحيط :278/4.

3- مناهج البحث في اللغة ،ص:100.

الصوت،حتى أن صفيره ترك وقعا ًشديدًا في السمع والقلب معا، وتشاوجهما جعل من الإلقاء في النفس من أباطيل وغواية جذباً وإغراء يأخذ بالنفس أخذاً هادئاً يُلبِّس فيه على الحقِّ الذي حازته النفس الموسوس عليها كما يبينه نسق الحركات على الفعل ،فالواو الأولى مفتوحة بصفة مهموسة ثم الوقف بتسكين حرف السين الأولى المهموسة والصفيرية ثم انسيابية في المقطع الثاني بفتحتين والنسق بهذه الكيفية ينسجم حقا مع صورة الانسلال إلى الداخل ، ويعكس ليونة التغلغل في النفس البشرية.

وبالنظر في التقطيع الصوتي للفعل تتبين لنا ثلاث مقاطع صوتية هي:

1 - (وَسْ)/ص+ح+ص ← مقطع متوسط مُقفل

2 - (وَ) / ص+ح ← مقطع قصير مفتوح

3 - (سَ) / ص+ح ← مقطع قصير مفتوح

ويستفاد أن المقطع الأول المقفل دَلَّ أخذ السمع وتهيئته بجرس الصوت الهامس الصغير الخارج من الشفتين، في حين أن المقطعين الثاني والثالث دلاّ على بلوغ مكان من النفس في انسيابٍ وطواعية.

7- صيغة : عَسْعَسَ:

وردت هذه الصيغة على وزن «فَعْلَلَ» رباعية مضاعفة في قوله تعالى في موضع القسم﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** .﴾[1]، وهو من أصل الثلاثي (عسَّ)

1- التكوير: 17.

دلالته بمعنى: « أقبل الظلام أو أدبر به[1]، ولذلك يكون الفعل من الأضداد [2]، بمعنى أقبل بظلامه وأدبر به، غير أن دلالته القرآنية عند الزجاج بمعنى (دَنَا)[3]، وكان لاقتران حرفي (العين والسين) إيحاءٌ لسياق الآية وكأن الفعل أجرس في هدأه وسكون يقول صاحب الظلال «يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل وهو يعسّ في الظلام...»[4]، هذه الهدأة من الليل يعكسها نسق حركات الفتح الثلاث على الصيغة.

وحرف العين وسط حلقي يبدأ من مقدمة الحلق عند لسان المزمار؛احتكاكه وذبذبة لسان المزمار الحلقي يفسح للهواء، فيخرج مجهورًا وسطا بين الشدة والرخاوة[5]،صوته أوحى بوطأة الليل وانسداله انسدالاً ثقيلاً على الكون، في حين منحت السين المهموسة الرخوة بصفيرها المنخفض هدوءاً وسكونا مطبقين على الليل المدلهم،مما يجعل الأصوات تسمع جلية في رحاب هذه الهدوء من الليل.

والتقطيع الصوتي لصيغة عسعس، تصوير لإقبال الليل على الكون وانسلاخه عنه.

1- العين :47/1.

2- ينظر: ابن سكيت (أبو يوسف لعقوب بن اسحاق)،الأضداد، تحقيق الدكتور محمد عودة سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى،1998م. ص: 167.

3- تهذيب اللغة ،للأزهري، أبي منصور محمد بن أحمد،تحقيق عبدالله درويش،مراجعة محمد علي النجار،الدار المصرية للتأليف و الترجمة ،القاهرة(د.ت) :78/1.

4- في ظلال القرآن : 3841/6-2842 .

5- يراجع :مناهج البحث في اللغة :102.

ف:المقطع الأول المتوسط المقفل(عَسَّ) /: ص+ح+ص يوحي بنزول الليل على الكون وانسداله على الحياة ، والمقطعان الثاني والثالث المفتوحان(عَ/سَ)/: ص+ح/ص+ح يصوران إطباق الليل على النهار وانسداله الكلي على الكون .

وخلاصة ما يستفاد منه أن علاقة أصوات الرباعي المكرر الصوامت ببعضها في تنغيمها واقترانها وتواشجها مختارة بدقة بحيث لا يمكن أداء معنى الصيغة وفهم دلالتها ضمن السياق إلاَّ بها.

8- صيغة (بُعثِر) غير المضعفة :

هذا الفعل الرباعي المختلف الصوامت، لم يَرِد استعماله في التعبير القرآني إلاَّ مرتين جاء فيهما مبنيا للمجهول، الاستعمال الأول ورد في سياق الآية التاسعة (09) من سورة الانفطار، وجاء الاستعمال الثاني في الآية الرابعة (04) من سورة العاديات والفعلان كلاهما وردا في مقام الحديث عن مظهر من مظاهر القيامة وهو النشور، وفي موضع ثاني الوعيد للإنسان المعرض عن الله بالويل والثبور في هذا اليوم العظيم.

ولقد تواترت قراءة الفعل بإجماع جمهور القراء، ورواتهم بباء مضمومة، وعين ساكنة مأثورة عن مجموعة من الصحابة وفي رواية لمحمد بن قعدان «إذا بَعْثَرَ» بثلاث فتحات وسكون العين[1] أوردها الكرماني في شواذه بيد أن قراءة شاذة أخرى حل فيها حرف (الحاء) بديلا عن العين، وقرئت (بحثر) بالحاء الساكنة بدلا من صامت العين المتواتر، وقال في

1- شواذ القراءات، ص:520.

قراءتها الفراء: «رأيتها في مصحف عبد الله، والقراءة بالإبدال فعلى لهجة بني أسد.»[1]،وعن أبي بن كعب «إذا بحثر» بالحاء[2]، وفي قراءة لابن مسعود «إذا بحث» بدون الراء[3] وقد نصَّ على هذا الإبدال الزجاج[4] وقال: «بعثر متاعه وبحثر: إذا قلب بعضه على بعضٍ »، وقد اعتبر أبو الطيب القراءتين على مدلول واحد وقال في معناها : «قد بحثروا متاعهم يبحثرونه بحثرةً وبعثروه يبعثرونه بعثرة : أي فرقوه»[5] ولو أن الزجاج فرق بين القراءتين المبدلتين واعتبر تركيبتهما الصوتية أصلا مختلفا لكل منهما وقال : «وبعثرت وبحثرت لغتان».

وقد نحا ابن القطاع[6] المنحى نفسه وذهب إلى أن كل من (بعثر وبحثر) فعل قائم بذاته صوامت كل واحد منهما أصلية، وعلى هذا كان تعقيب الزمخشري لمسألة أصالة كل فعلٍ في جانبهما الاشتقاقي ؛ وخلص إلى أنهما مركبان من (البحث والبعث) مع آراء ملحقة بهما وقال هما: «بمعنى بحثت وأخرج موتاها »[7]، وزاد أنهما مركبان من كلمتين اختصاراً وهو من النحت الشائع في لغة العرب كبسمل وحمدل ودمعز وحوقل وما ناظر.. والحقيقة أن مسألة الإبدال التي تجلت في قراءة لفظة بعثر في السياقات القرآنية الواردة فيها

1- ينظر تفسير القرطبي 163/20 .
2- المصدر نفسه:521.
3- المصدر السابق:521
4- ينظر إعراب القرآن ومعانيه للزجاج : 295/5.
5- اللسان ، مادة (بعثر) :72/4.
6- ينظر مقاييس اللغة ،327/1-328.
7- الكشاف : ج222/4.

ليست الحروف فيها فروعا مبدلة عن بعضها البعض بالقدر الذي هي أصول في لهجات العرب ولغة خاصة لبعضهم كأسد مثلما ذكره الفراء كما نقلنا سابقا.

فالأصوات على هذا أصلية مثلما نص عليه أبو الطيب اللغوي في كتاب الإبدال بقوله: «ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب الكلمتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد.»[1]،ثم قال مثبتا:« والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة.»[2]

ومما نقل عن صاحب «العين» في مقام الأهمية الصوتية لحرفي [العين والحاء] أنه اقتنع في مبتدإ تأليفه لكتابه القيم بتسمية [كتاب العين] كون حرف العين يعد الأنصع مخرجا وصفة من بين الحروف مبتدئا بالحلق ؛يقول ابن كيسان[3]:« سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا في فعل إلا زائدة أو مبدلة ولا بالهاء، لأنها مهموسة خفية ،لا صوت لها ،فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء ،فوجدت العين أنصع الحرفين، فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف.»[4]

1- المزهر للسيوطي:460/1 .

2- المرجع نفسه:460/1 .

3- المزهر:20/1.

4- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي، 90/1.

وعلى هذا يكون (بعثر وبحثر) بمعنى النبش والإخراج والإرسال معا (بعث بحث،عثر أثار.) على مذهب العلامة الزمخشري، وقد أيد أبو حيان الأندلسي قول الزمخشري من تركيبة الفعلين على نحو ما مرَّ واعترض على قوله بأن الراء المضمومة حرف زائد واعتبر ذلك توهما منه[1]،ولعل نفي أبي حيان هذا يوافق قراءة الأسود بن زيد[2] الشاذة ؛ إذ قرأإذا بُحث ما في القبور) والفعل في قراءته ثلاثي مجرد من دون الصامت الرابع الدال على رباعية الفعل المجرد ، وإن يساق في معنى البحث والإثارة تحديداً.

أما التفسير الصوتي للإبدال بين صامتي (الحاء)و(العين) فأرجعه إلى العلاقة المخرجية بين هذين الصوتين إذ أن مخرج حرف الحاء من نفس مخرج العين، وهو«المخرج الثاني من الحلق فهي بعد العين.»[3]

وللخليل توصيف دقيق لحالة الإبدال بداعي المجاورة المخرجية ننقله بنصه وهو قوله: «..فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ثم الهاء ولولا هنة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء ،فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد بعضها أرفع من بعض.»[4]

1- ينظر : تفسير المحيط ،محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي ،428/8،ط1،2001،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان.

2- ينظر: البحر المحيط ، 8/ 505.

3- الرعاية، ص: 162.

4- العين:57/1،58.

وهذه الحروف المتجاورة حلقيا على اعتبار الخليل لها واعتداده بها في كتاب العين نظر إليها ابن جني من زاويتين: زاوية الاستحسان إذا ما اختلفت واستعملت في تراكيب مع صوامت أخرى ورآها مستقبحة إذا ما ائتلفت في تركيبة واحدة ،يقول ابن جني في سر صناعة الإعراب بشأنها: «..واعلم أن هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن،وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما ولاسيما حروف الحلق».[1]

ويفهم من ابن جني أن حدوث الاحتكاك بسبب المجاورة الحلقية لحرفي العين والحاء يفقد اللفظ تميزه الصوتي، على نحو الإبدال الذي اعترى بعثر وبحثر كما عرفنا آنفا.

ميزة المجاورة هذه بين الحرفين اعتبرها صاحب الرعاية هو الآخر نتاج آلي لاتحاد الحرفين في صفة الرخاوة ، رغم اختلافها في الجهر والهمس، فالعين مجهورة والحاء مهموسة وتعاقبهما في المخرج أكسبهما على رأي إبراهيم أنيس[2] تماثلا لتشابه الهمس وجزئية من مجموع الأصوات المهموسة، والمجهورة فيها إقبال، ومتصلة في عملية التصويت.

فهذه التواشج الصوتي بين حرفين في مخرج مشترك جعلهما احتكاكيين[3]؛ والفعل الاحتكاكي جعلهما يتأثران ببعضهما بالمجاورة ولولا التمايز بينهما في صفتي الجهر والهمس لكان جرسهما واحداً: «ولولا الجهر الذي في العين لكانت حاء.»[4]، والحاء عند الصوتين

1- يراجع:سر صناعة الإعراب،65/1 .

2- ينظر في اللهجات العربية، ص: 109.

3- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، لمحمود السعران ،ط2، 1997، دار الفكر العربي،القاهرة ،مصر، ص: 195.

4- الرعاية لمكي بن أبي طالب،. ص: 162.

«صنو العين.» إذ يخرجان من المخرج الثاني من الحلق حيث : « يتمُّ إنتاجهما عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق بصورة تسمح بمرور الهواء مع حدوث احتكاك استمراري.»[1]،هذا الاحتكاك المستمر أكسب الحرفين صفة الهمس وجعل من الحاء حرفا منفتحا مستعليا غير مطبق.[2]

وقد فسر إبراهيم أنيس الإبدال في حرفي العين والحاء بالميل إلى المماثلة وأثر المجاورة المخرجية، وقال إنه جاء على عكس الفحفحة وهي قلب الحاء عينها [3] ثم عزا ذلك إلى طبيعة الصوتين المتسمين بالرخاوة فـ: « عند النطق بهما ينحبس الهواء انحباساً محكماً .»[4]

مما يسوغ تعاقب الحرفين في الرباعي ويتيح لحرف الحاء أخذ مكان العين. ولابن السكيت قول آخر إذ ينقل في المسألة رأياً في (بعثر) مفاده أن : « عينها بدل من غين (بغثر) أو العكس عين (بعثر) بدل منها»[5]، وهو إبدال لم يؤصل له، ولم نقف على معناه من تركيبة الفعل(بغثر) قياساً على الأصلين (البحث والبعث).غير أن الثابت عند علماء الأصوات أنها من الأصوات، والتي لا تجتمع في أصل واحد البتة بداعي المجاورة المخرجية، وقد عدوا منها كلا من مجموع الصوامت:[ء+ع+غ] والمجموعة: [هـ + ح +خ + غ]، وعدوا كذلك : [ح+ ء + هـ + ع+ ح + غ]، وقد اعتبره الحافظ السيوطي من المهمل الوارد على ضربين: « ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتة ،وذلك كجيم

1- دراسة الصوت اللغوي ، د.أحمد مختار ، ص: 319 عالم الكتب – القاهرة /2004.

2- ينظر الرعاية، ص: 92-98 .

3- في اللهجات العربية ص:109.

4- الأصوات اللغوية : ابراهيم أنيس ص:194 دار الطباعة الحديثة. ط 5، 1979.

5- الإبدال لابن السكيت ، 112/1.

تؤلف من كاف أو كاف تقدم على جيم وكعين مع غين أو حاء مع هاء وغين ،فهذا وما أشبهه لا يتألف.»[1]

وبترجيح رأي ابن فارس في أن الفعل (بعثر) منحوت من ثلاثين ؛ يمكننا وصف التركيبة الصوتية المختلفة لهذا الرباعي على النحو التالي:

أ- (بعثر)[2] = التركيبة الصوتية من (بعث + عثر) بمعنى : أطلق ونثر

التركيبة الصوتية من (بعث +أثار) بمعنى أرسل ونبش

التركيبة الصوتية من(بحث + أثار) بمعنى نبش التراب وإثارته

1- المزهر:192/1.

2- يفسر الزجاج (بعثر) في سياقها القرآني بقوله: «أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين بها، ينظر:إعراب القرآن ومعانيه، 295/2».

ب- (بحثر)[1] =

التركيبة الصوتية من (بحث+ بثر[2]) بمعنى إثارة باطن الأرض ترابه على السطح

ويستفاد من التركيبة الصوتية في ضوء مذهب ابن فارس أن الجامع واحد في صرف المعنى إلى النبش والإظهار ، وتكرار صامتي الباء والتاء في القراءتين دلّ على أن باطن الأرض دفع دفعا إلى السطح بصوت مدو، ونثر على أد يم الأرض، والثاء صامت يدل على الليونة ليونة نثر الغبار ليستقر على وجه الأرض؛ وهو ما عبر عنه حرف الراء المجهورة إذ هو من الحروف التي لها وقعها في السمع؛ يقول إبراهيم أنيس: « الراء في نظر المحدثين من أوضح الأصوات الساكنة في السمع»[3]؛ وقوة الحرف على السمع ناتجة من تكرار فيه أثناء التصويت به، بجرسه يوحي بتضعيف في الحرف وقد وصف سيبويه (الراء) بأنها حرف مكرر.[4]

ومن ثم وجدنا العلاقة الصوتية بين الصوامت الأربع للصيغة الرباعية (بعثر) المتواترة في قراءة النص القرآني الكريم، منسجمة أيما انسجام بالنظر إلى دلالة هذه الأصوات الأربع فـ: «مما بين الشفتين مخرج الباء »[5] والشفتان تطبقان كإطباق الأرض على الأجساد

1- يقول ابن فارس(بحثر) النسيء إذا بددته و البحثرة الكدرة في الماء ، ينظر:مقاييس اللغة ،1/327-328.

2- البثر ما يظهر على البدن ينظر : المصدر نفسه ص :327-328.

3- ينظر الأصوات اللغوية لابراهيم أنيس ص199 ، دار الطباعة الحديثة ط 5، القاهرة ،1979م.

4- الكتاب لسيبويه ، 4/435.

5- المرجع نفسه ، 4/433.

المواراة، والعين مجهور يدلل بشدته واستعلائه وانفجاريته، كانفجار القبور بمخبوءاتها ، والثاء حرف رخوينثر ما خلفه الانفجار وبقايا الرمم على الأرض.. وتلك من دقة التشاوج الصوتي فيما بينها التي جعلت من البعثرة آية في التصوير الدقيق،وكمال القصد الرفيع الذي يشد السمع والبصر والفؤاد على حدِّ السواء

ومن البيان المبهر والنظم المعجز أن المولى تبارك وتعالى استعمل في قوله (**بعثر ما في القبور**) الاسم الموصول (**ما**) لغير العاقل للدلالة أن باطن الأرض يحوي الرِّمم التي لن تعقل إلاّ بعودة الأرواح إلى الأجساد الموات.

لقد كان تخير القرآن للفظ وقعه على المعنى ،فجاء منسجماً مع حركة الأرض التي تلفظ ما في بطنها ليوم يقوم فيه الناس لربّ العالمين.

الفصل الثالث

التحليل النحوي للفعل الرباعي ومستواه الإعرابي في القرآن.

التحليل النحوي للفعل الرباعي :

إن معالجة النص القرآني ومحاولة اكتناه مخزونه الدلالي لهي مناط السر في الأبحاث التي ظهرت في سبيل تحقيقه معظم الدراسات اللغوية قديما وحديثا؛ والتي أسست بنيانها على مساءلة الملفوظات في مستوياتها الراقية آلا وهي: النص القرآني السامي وحديث الرسول الأكرم [صلى الله عليه وسلم] وكذا من يوثق بعربيتهم من عرب الجاهلية إلى صدر الإسلام.

ولقد كان معتمدها في سبيل بلوغ هذه الغاية إجراءا تحليليا غير مسبوق،واستقراءا غير مألوف أعطى ثمرة صورة واضحة عن قوانين تحليل الخطاب السامي ، وتفسيره تفسيرا يليق بعلوه وإعجازه؛ هذا وإن التحليل النحوي الخالص الذي جعل معطيات النحو أساس مادة التحليل لكاف لبيان الوظيفة والدلالة التي شحن بها ملفوظ الآي الحكيم.

والقرآن الكريم له نظمه العجيب وتركيبه الفريد وسياق الكلام فيه يختلف باختلاف الكلام فتختلف الألفاظ والجمل رأسا تبعا لذلك فما يصلح في سياقات ويؤدي فيه نفس المعنى لا يصلح في غيره ؛إذ توجه دلالة اللفظ اعتمادا على فهم الدلالة المعجمية ومراعاتها موقعيا داخل السلسلة الكلامية، وفي النصوص القرآنية لا يمكن قطعا فهم تراكيبها اللغوية والتَهدِّي إلى إعرابها ومعرفة ما لها من معان واستعمالات في اللسان العربي بمعزل عن النحو العربي ومذاهب أهل اللغة في تحقيق الكلام وإقامه بما يوافق فُصح الكلام وجلاء المعاني وهي نزعة الأقدمين من أهل اللغة ولا تزال إلى اليوم تلقى ترحابا في أوساط الباحثين في علوم اللغة.

ومما يؤذن له أن إعراب القرآن قسيم للمعنى في عمله وملازم له فهذا الزجاج حين ألف كتابه القيم{إعراب القرآن ومعانيه}جعل مسألة إعراب القرآن سابقة عن مطلب معناه وشدد على تلازميتهما جاء في مقدمة كتابه{إنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأن كتاب الله ينبغي أن يتبين ألا ترى أن الله يقول :{أفلا يتدبرون القرآن}فحضضنا على التدبر والنظر}[1]ثم نجده في المقدمة نفسها ينبه إلى وجوب لزوم أثر أهل اللغة في تدبر القرآن والنظر فيه فيقول {لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب أهل اللغة أو ما يوافق نقله أهل العلم.}[2]

وعلى هذا المذهب الزجاجي انبرى علماء الأمة لمسألة استنباط معاني التنزيل يستثيرون دقائقه ويغوصون على لطائفه حتى يستحكم عندهم دليل الإعجاز القرآني مستنيرين بذلك بعلم الإعراب في التماس حقيقة النص السامي وبيان مقاصده قال ابن الأنباري[ت:643]:«جاء عن النبي[صلى الله عليه وسلم]وعن أصحابه وتابعيهم من تفضيل إعراب القرآن والحض على تعليمه وذم اللحن وكراهيته ما وجب به على قرّاء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه.»[3]

وقد حض الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم على إعراب القرآن حتى لا يحول اللحن بين المسلم وفهم أسرار القرآن فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال:

1- ينظر: إعراب القرآن ومعانيه ،1 / 185.

2- المصدر نفسه،185/1.

3- ينظر: مقدمة "البيان في غريب القرآن ،لأبي البركات عبد الرحمان بن أبي سعيد الأنباري" ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ،الطبعة الرابعة ،دمشق، سوريا،ص:161.

أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه.}[1]؛ بل أن المصطفى [صلى الله عليه وسلم] اعتبر إعراب الكلام وتقويم اللسان على مراد كلام العرب سبيلا إلى إعراب القرآن فقال عليه السلام {أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن.}[2] ؛ ورغب في مسألة الإعراب وبشر بالأجر الجزيل لمن تثبته؛ فعن أنس بن مالك { رضي الله عنه}،قال: قال رسول الله{صلى الله عليه وسلم}:من قرأ القرآن متثبتا أو إعراب،كان له بكل حرف فضل أربعين حسنة.}[3]

من هنا وجب معرفة الإعراب الذي هو الإبانة عن معاني الألفاظ ، وهو مالا يتأتى إلا بتحليل اللغة في مستوى مفرداتها وأدواتها وروابطها ومجمل تآليفها ؛ والإعراب في كل هذا الأداة ووسيلة تدقيق وجوه المعاني وقد قيل {الإعراب حلية الكلام ووشيه.}[4]

وعلى هذا كان لزاما تناول المستوى النحوي للفعل الرباعي في القرآن الكريم من منطلق الاهتمام بالقرآن العظيم لغاية الوصول إلى المعاني التي يكتنزها ولذلك وجدنا الإمام الزمخشري يضع حدودا لمسألة تفسير القرآن فيذكر أنه لا يتصدى عالم لتفسير القرآن الكريم إلا إذا أتقن خمسة عشر علما من بين أولها: اللغة والنحو والصرف والبيان...}[5]

1- رواه الحاكم في المستدرك ،2 /439.

2- ذكره صاحب كنز العمال،607/1.

3- المرجع نفسه،533/1.

4- السبعة لابن مجاهد ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ،القاهرة، مصر ، ص:46،45،1972م.

5- إعراب القرآن الكريم وبيانه 1 /14،تأليف الأستاذ د. محي الدين الدرويش ، المجلد الأول دارا اليمامة وابن كثير للطباعة والنشر و التوزيع ط7 بيروت 1420هـ و1999م.

والشاهد الذي يعنينا في الموضوع هو محاولة فهم دلالة ورود الأفعال الرباعية المتخيرة في القرآن الكريم في صيغتين متباينتين صيغ مبنية للمعلوم والصيغ الأخرى بنيت للمجهول من مجموع ثمانية أفعال ورد ذكرها في القرآن، ثم نسأل هل لأزمنة هذه الأفعال المصاغة في زمني الماضي والمضارع مدلول في توجيه المعنى داخل السياق؟؛وهل لمكونات الجمل المتواجدة فيها هذه الأفعال ميزة سياقية أو خاصية تركيبية في حالتي اللزوم والتعدية وعلى علاقة بالمفهوم العام للآية والصورة العامة التي يريد الله تبارك وتعالى بيانها وتجليتها؟، على اعتبار هذه الأفعال المميزة تصويرية بالدرجة الأولى.

وبإحصاء ما ورد في القرآن الكريم من الأفعال الرباعية تبين منها ثمانية أفعال أربعة مضعفة جاءت مبنية للفاعل وهي:{وسوس . حصحص . عسعس . دمدم }وأربعة أفعال مضعفة مبنية للمفعول وهي {زلزلوا . زلزلت . زحزح . كبكبوا}، وفعل واحد غير مضعف مبني للمفعول {بعثر. بعثرت} ؛ وقد ورد مجموع ذكر هذه الأفعال في القرآن إحدى عشرة مرة منها المتعدي ومنها اللازم ك : عسعس وحصحص ووسوس. وأما المتعدية منها ف:زحزح وكبكبوا ودمدم وبعثر.. لكون هذه الأفعال مبنية للمجهول ونائب الفاعل فيها بمرتبة المفعول به.

ويشدنا الانتباه في خضم هذا الإحصاء للأفعال الرباعية ضمن الآيات القرآنية إلى ميزتين متباينتين أولاهما: أنها جاءت مبنية للمعلوم وثانيتهما : أنها وردت مبنية للمجهول فهل لذلك علاقة بالمعنى المقصود للآيات الواردة في سياقها أم أن لها أغراضا وظيفية تسعى لتأديتها من وراء الخطاب القرآني السامي ؟

1 – القيم التعبيرية للرباعي المبني للمجهول في القرآن الكريم:

يتبدى الفعل المبني للمجهول في النصوص القرآنية بكيفية تظهر فيها اللغة العربية على قدر عال في استخدام الفعل ضمن أساليب وظيفية دقيقة هي في الظاهر تعبيرية من جهة وفنية جمالية من جهة أخرى فالأفعال بشكل عام مادة الجمل وأصل بنائها قال ابن القوطية{ت367هـ}:« اعلم أن الأفعال أصول مباني أكثر الكلام ولذلك سمتها العلماء الأبنية[1]؛ وهو من لوازم اللغة العربية الراقية لكونه يعيد تنظيم العلاقة بين عناصر هذه الجملة وتحقيق الغاية التعبيرية منها والرسو بالمعنى على مراد المتكلم؛ فالفعل على هذا ناقل مصور لنشاط الحياة وحركة المتكلمين يصور أفعالهم، ويفصح عن وجدانهم ويعكس أمزجتهم في علاقاتهم بأنفسهم وغيرهم؛ والفعل المبني للمجهول . موضوع بحثنا . هو ذلك الذي لم يعرف فاعله وجاءت صيغته معدلة من فاء فعل مفتوحة إلى فاء فعل مضمومة وسماه النحاة {فعل ما لم يسم فاعله.}[2]،وللإمام الزمخشري تعريف جامع فيه وهو قوله:{هوما استغنى عن فاعله فأقيم المفعول مقامه وأسند إليه معدولا عن صيغة [فَعل]إلى [فُعل]ويسمى فعل ما لم يسم فاعله.}[3]

1- الأفعال لابن القطاع: 1/5،6.

2- شرح المفصل،لابن يعيش،موفق الدين يعيش بن علي،عالم الكتب،بيروت ،لبنان: 7/ 69.

3- المفصل في تاريخ النحو العربي، لمحمد خيرالحلواني،ط1 ،1997، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ص:258.259 .

وهذه الصيغة المعدولة فسرها العلماء على أنها اختيار سوغته قلة استعماله وغرابة معناه في الأفعال، يقول الرضي:{إنما اختير هذا الوزن الثقيل دون المبني للفاعل لكونه أقل استعمالا...ومعناه غريبا في الأفعال...}[2]

ومن الاستقراء للنصوص الواردة عن أعلام اللغة، تبين أن ظاهرة البناء للمجهول في العربية استندت على مصطلحين متلازمين هما: الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل يكونان معا منها عنصري الجملة المبنية للمفعول محل بحثنا في القرآن كما سيلي لاحقا.

واللافت من الاستقراء نفسه، أن مفاهيم هذين المصطلحين النحويين متعددة التسميات؛ وقد أفاض العلماء الأعلام في تحديد هذين المفهومين، وصرفهما إلى مستويات اللغة، في معطياتها البيانية والبلاغية وخلصوا إلى أن استعمالها إنما يلبي الحاجة التعبيرية.

وهذه الحاجة التعبيرية تستند في بناء جملتها على ظاهرتي الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل، والتي أوقفت على مفهومين متلازمين يمكننا التدليل عليهما بما هو آت:

أ. ماهية الفعل المبني للمجهول في السياق القرآني:

أوقف سيبويه تعريف الفعل المبني للمجهول على الميزان الصرفي، وهو ضم فاء الفعل وكسر عينه في الماضي{فُعِل}،وضم ياء المضارعة وفتح عينه في المضارع {يُفعَل}وسماه {فعل المفعول}في إشارة إلى الاسم الذي يليه والذي يقوم مقام المفعول كما بين ذلك بقوله:« وقد يتعدى فعل المفعول فينصب وذلك قولك: كُسي عبد الله الثوب وأُعطي عبد

2- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د.حسن بن محمد الحفظي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،الرياض،ص:129.

الله المال..وانتصب الثوب والمال لأنهما مفعولان تعدى إليهما فعل مفعول هو بمنزلة الفاعل»[1]،وقد بين مفهوم الفعل المشتغل على الاسم الواقع بعده بقوله: «..فيرتفع إذا شغلت الفعل به.»[2] وهو على هذا يوجهنا إلى خاصية انصراف المبني للمجهول لنائب الفاعل من ثم كانت تسميته له بـ:{الفعل الذي شغل بالمفعول}وقد جاراه الأخفش الأوسط{ت:215هـ}على اشتغال الفعل بالاسم بعده وضرب المثل بقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.**﴾[3] فقال: شغل الفعل بالآيات حتى صار بمنزلة الفاعل، فنصب القرآن.»[4]

ويستفاد منهما أن تسميتهما جاءت نتاجا تعليليا تقعيديا وهي القاعدة التي ألزم بها ابن جني نفسه فأطلق على الفعل مصطلح{بناء الفعل للمفعول}[5] في وصف تصريفي وبالنظر إلى مسألة تسمية الفعل ذاته نلمس لدى الفراء{ت207هـ}توقيفا على الوصف لما نعت الفعل بـ:{فعل لم يسم فاعله}وهي التسمية التي تفتح المجال للنظر في أغراض احتجاب الفاعل في البنية العميقة للجملة الفعلية القرآنية المبنية للمجهول.

1- الكتاب: 1/ 41،42.

2- المصدر نفسه: 229.

3- فصلت:02.

4- معاني القرآن للأخفش ،تحقيق محمد أمين الورد ط1 ،1985، عالم الكتب ،بيروت،1/ 102.

5- المحتسب، 1 /135.

والظاهر أن تسمية الفراء لقيت استحسانا لدى جمهور النحاة فوجدنا بعضا منهم كابن السراج{ت316هـ}[1]،والنحاس{ت338هـ}[2]، وغيرهما ينحوان المنحى نفسه في تسمية الفعل ولم نجد المصطلح المتداول اليوم إلا في نصوص الكرماني{505هـ}الذي أشار إليه من باب الشرح لا من قبيل الاصطلاح وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ**...﴾[3]،[مبني للمجهول].»[4]

غير أن الحافظ القرطبي {ت:671هـ} وجدناه أول من يضع المصطلح بصيغته المتداولة اليوم حيث نعته بـ [الفعل المبني للمجهول][5] في تفسيره حين تعرض لقوله تعالى: ﴿...**فَقَدْ رَحِمْتَهُ** ...﴾[6] قال:« ولم يقل رُحم على المجهول..»[7]

ومن هنا يتبين لنا أن الاستدلال على ظاهرة الفعل المبني للمجهول كان صرفيا باستخدام وزن[فُعل]ووصفا بإطلاق تسمية ما لم يسم فاعله تارة والمبني للمفعول والمبني المجهول تارة أخرى.

ب . نائب الفاعل في القرآن:مفعول بمنزلة الفاعل:

1- الأصول، 1/ 76.

2- إعراب القرآن للنحاس ،1 /212 ،332.

3- التوبة:86.

4- ينظر المحتسب 1 ،135.

5- أسرار التكرار ، محمود السيد شيخون ، ص: 100.

6- غافر:09.

7- تفسير القرطبي ص:6 / 397،398.

أجمع علماء اللغة على أن نائب الفاعل اسم يقوم مقام المفعول باعتبار معنى الفعل المبني للمجهول قبله وقد فسر سيبويه مقام المفعولية الذي يحتله هذا الاسم بقوله:«مفعول بمنزلة الفاعل.»[1]، وهي التسمية التي وافقه عليها الأخفش[2]، واعتبر نائب الفاعل في مرتبته تلك تحولا في المقام حيث قال في مسألة اشتغاله عند قوله تعالى:﴿...**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ...﴾:[3] لأنك شغلت الفعل بالصيام حتى صار يقوم مقام الفاعل .»[4]

ومسألة اشتغال الفعل بالمفعول بدلا عن الفاعل أصلا هي ما يدفعنا إلى النظر في أغراض ظاهرة البناء للمجهول في القرآن ،ومعرفة البناء على «المفعول الذي لم يسم من فعل به.»

كما وصف ابن السراج{ت:316}[5]، وهوما يفهم منه أن ثمة اختلافا في تبرير مسألة التعدية ،وعنصر العامل في الجملة المبنية للمجهول ،هل هو فاعل صار مفعولا أم هو خبر لفعل يقدر له في سياق الجملة؟ وإن كان الجزم في المسألة نلمسه في حكم ابن جني الذي يراه: «فاعل أقيم مقامه المفعول.»[6]،وهو نفس ما ذهب إليه ابن يعيش[ت643هـ][7]، وزاد الرضي[ت686هـ]علة بناء الفعل للمجهول نتاج إضافته

1- الكتاب ،1 /42.
2- شرح الكافية 4 / 129.
3- البقرة:183.
4- معاني القرآن للأخفش،3 /306.
5- الأصول:76/1.
6- شرح المفصل1 /77.
7- المصدر نفسه: 7 /71.

للمفعول وقال «إنما أضيف إلى المفعول لأنه بني له.»[1]، والذي يفهم من كلامه أن نائب الفاعل مقصود رأسا بالفعل من فاعل لم يسم لأغراض عدة تصب في السياق القرآني في ما يصطلح عليه بالأحكام والشرائع والمواقف...كما سيتبين لاحقا.

وأما هذه الاصطلاحات المختلفة فلم تستقر إلا عند ابن هشام[ت:761هـ]الذي رد تسمية [مفعول لما لم يسم فاعله] ليرتضي مصطلح [نائب الفاعل]بداعي نبذ الإطالة والنزوع للاختصار[2] وأخْذُ ابن هشام بمصطلح [نائب الفاعل]، وارتضاؤه به إنما جاء تتبعا لابن مالك[ت:672هـ]الذي قال فيه أبو حيان [ت:725هـ]في شرح التصريح في خضم حديثه عن [باب نائب الفاعل]:« ولم أر مثل هذه الترجمة لغير ابن مالك والمعروف بباب الذي لم يسم فاعله.»[3] وقد سماه ابن مالك[فعل الغائب][4] في دلالة على أنه فعل مجهول الفاعل.

وقد حفل القرآن الكريم بخاصية البناء للمجهول حتى كان ظاهرة تميز الذكر الحكيم عن غيره من الكلام ،وأغلب ما جاء فيه كان مبنيا لما أصله مفعول به، إذ يقوم المفعول به مقام الفاعل في قراءات متواترة وأخرى شاذة وهوما يعنينا في مقام الحديث عن الفعل

1- شرح الكافية للأستراباذي 4 /128.

2- شرح شذور الذهب، في معرفة كلام العرب، لأبي محمد بن هشام ص:159.

3- شرح التصريح، للأزهري ، 286/1.

4- ينظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات،دار الكتاب العربي،مصر،1967، ص:77.

الرباعي في القرآن الكريم البناء للمجهول ودلالة نائب الفاعل بعده في بيان مقصودية النص القرآني والمعنى الذي أوحته هذه الأفعال في شكلها البنائي المميز.

والأغراض التي ترمي إليها هذه الأفعال إنما هي الوقوف على قصد الحصول منه بالبحث عن سر الفاعل المحذوف الذي احتجب في البنى العميقة للجمل المبنية للمجهول بشكل عام والجملة القرآنية على وجه التحديد.

فقد يضيع الفهم الدقيق للآية ويجانب الغرض الحقيقي لها مع التأويل أو التقدير أو الظن فلو بحثنا عن الفاعل ـ للبيان والتمثيل ـ في قوله تعالى: ﴿...**وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** .﴾[1]، لتعددت الآراء في تحديد الفاعل بين من يصرفها إلى الله من قبيل الامتحان أومن يردها إلى الكفار من باب غلبة العدد أومن يرجعها للشيطان في سعيه لإضعاف صف الحق ومظاهرة صفوف المبطلين.

إن مقصودية الرسائل القرآنية ينبغي الأخذ بها من قرائنها من خلال مصفوفة الجملة بتشكيلها الفعلي والاسمي والحرفي لقبول مكونات نسيجها وفهم الرسائل اللغوية والفكرية والجمالية التي تتضمنها والتي لا تتأتى إلا بمنظومة التلقي المشكلة من العقل والوجدان والذوق.

ومن ثم كانت أغراض البناء للمجهول وظيفة نحوية بالدرجة الأولى أنشأت الجملة بهذا النسج المتألق لعلاقة سياقية محددة وما ذكره علماء النحو عن الفعل المبني للمجهول

1- البقرة :214.

من أغراض يكاد يكون موقوفا على أحد عشر غرضا هي السبيل لفهم دواعي حذف الفاعل وقد وجدنا أبو حيان يذكر هذه الأغراض؛ عدَّدَها في بيتين أوردهما في [ارتشاف الضرب.][1]، بقوله:

وحذفه للخوف والإبهام والوزن والتحقير والإعظام

والعلم والجهل والاختصار والسجع والوفاق والإيثار

وفي هذا المقام، وجدنا حذف الفاعل في الرباعي المبني للمجهول، والاستعاضة عنه بنائب يقوم مقامه، ومن صميم بعض من هذه الأغراض؛ خصوصا ما تعلق منها بالأفعال الرباعية المبنية للمجهول الواردة في القرآن، وهي تلك المحصورة في خمس منها هي بالتحديد:[زُلزِلت زُلزِلوا،كُبكِبوا،زُحزِح بُعثِر] ، والتي وردت جميعها على وزن{فُعلِل} حذف في جميعها الفاعل على دلالة الفاعل المعلوم من ظاهر السياق المجهول وهوما نبينه وفق ما تمكننا منه أغراض الحذف على النحو الآتي:

ج. أغراض حذف الفاعل في الجملة القرآنية المبنية للمجهول:

1- حذف الفاعل للعلم به:

شاع غرض بناء الفعل للمفعول وحذف الفاعل في الخطاب القرآني شيوعا حتى كادت لا تخلو منه سورة من سور القرآن وقد أجمع النحاة أن الفاعل المحذوف « معلوم

1- يراجع ارتشاف الضرب:184/3.

للمخاطب.»[1]، وهو ما فصل فيه الرضي بقوله :« وقد جاء في كلام بعض الأفعال على ما لم يسم فاعله ولم يستعمل منه المبني للفاعل.. ولم يذكر فاعلها لأنه من المعلوم في غالب العادة ،أنه هو الله تعالى فحذف للعلم به.»[2]

فالفعل[زُلزِل]المبني، للمفعول ورد فعلا ماضيا مبنيا بصيغة الفاعل المجهول ظاهرا في ثلاث مواضع من القرآن أحد هذه المواضع جاء الفعل فيه مصدرا بـ: إذا الشرطية الدالة على الظرف﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** .﴾[3]، فصرفته إذا الشرطية الظرفية إلى المستقبل دون أن يفقد التعبير أثره الذي يوحي به استعمال الماضي بدلا من المستقبل الصريح.»[4] وهو إقرار بأن الكون معني بالزلزال الأعظم فما يحتاج إلى فاعل يذكر فتلقائية الحدث أمر قاهر ولا أدل على ذلك تأكيد الجملة بالمصدر المسند إلى الأرض[زلزالها] من قبيل النعت والتعيين.

والمعلوم بالضرورة أن الفاعل هو رب الأرض سبحانه، فالعبارة على قولنا:[إذا زلزل الله الأرض زلزالها]؛ والحذف إنما جاء لصرف البال إلى الحدث ذاته لا إلى صانع الحدث، وفي ذلك يقول ابن جني: « فالغرض في هذا النحو المعروف الفاعل إذا بني للمفعول إنما هو الإخبار عن وقوع الفعل به وحسب ،وليس الغرض فيه ذكر من أوقعه.»[5]

1- أسرار النحو، ص:101.

2- شرح الكافية: 134/4.

3- الزلزلة: 01.

4- التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة عبد الرحمن ،ص:75 ،دار المعارف ط2، مصر،1966م.

5- المحتسب: 1/ 135.

2 – حذف الفاعل للتعدد:

جاء الفعل الماضي [زُلزِلُوا] مبنيا للمجهول في موضعين حذف فيهما الفاعل وظهر محتجبا في البنية العميقة للتركيبة القرآنية، والآيتان قوله تعالى في الآية الرابع عشرة بعد المئتين من سورة البقرة:«**مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا**...»، وقوله جل شأنه في سورة الأحزاب في الآية الحادية عشرة:« **هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**»؛ فإذا كان المسند إلى الأفعال المبنية للمعلوم معلوما بالضرورة نحو قوله تعالى في « غافر، الآية الستين»:«**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**...»، والفاعل هو« ربُّكم» فإن الفاعل مع الفعل« زُلزِلُوا» محمول على مجموعة فاعلين، بالنظر في الشروحات الواردة في الآية عن أعلام التفسير، فهذا البغوي يرى الفاعل هي: الرزايا أو البلايا فيقول:«..[زلزلوا] أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخُوِّفُوا..»[1]، في حين نجد السعدي يحصره في القتل أو النفي أو سلب الأموال:« وزلزلوا بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي وأخذ الأموال وقتل الأحبة..»[2]، بيد أن الحافظ ابن كثير صرفها على الامتحان الرباني وحسب حيث قال في معنى الآية:« امتحنوا امتحانا عظيما، كما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: قلنا:«يارسول الله ألا تستنصر لنا؟ فقال:إن من قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه...»[3]

1- يراجع: معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ،دار طيبة ،السعودية، 1416هـ،245/1 .
2- ينظر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان,96/1 .
3- رواه مسلم في صحيحه تحت رقم:770 .

ومثل صيغة [زُلزِلوا] صيغة [كُبكِبوا فيها]حذف الفاعل للعلم به وهو الله القاهر فوق عباده حتى ينصرف البال إلى الحدث ذاته كخبر وعظة ،ومن ثم تركز العلم بالفاعل على أهل النار وقد أحسن ابن خلويه[ت:370هـ]الوصف النحوي لمثل هذه الجمل حين قال: « فعل ماض لم يسم فاعله والواو ضمير الفاعلين وهو مفعول في الأصل غير أن الفعل إذا لم يذكر فاعله صار المفعول به في موضع الفاعل »[1] ،والملفت في هذا الفعل المسند إلى ضمير الجماعة بيانه أن ردة فعل أهل النار كان لها صدى وثقلا وعسرا دلل عليه حركة الضم على الكاف في الفعل المبني للمجهول ما كان ليظهر بصورته تلك لو بني الفعل للمعلوم.

3- حذف الفاعل بغرض التحقير والإهمال:

على خلاف غرض حذف الفاعل في صيغة [زُلزلوا]؛ نجد الحذف في سياق الآيتين نفسيهما:﴿...**زُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا.**﴾[2]،وقوله تعالى:﴿...**وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ...**﴾[3]، يدلل على غرضين آخرين في أدائهما للمعنى ،وسمة المشترك اللفظي لهما؛

1- إعراب ثلاثين سورة ص:145.

2- الأحزاب: 11.

3- البقرة : 214.

إذ الواجب النظر إلى الروح السارية أو الحياة النابضة الآخذة بلب السياق، الذي قد يحمل أكثر من غرض لعدم تسمية الفاعل أو يبرز غرضا جوهريا أساسيا حاملا معه من الأغراض ما يتطلبه المعنى ويقتضيه المقام، إما للعلم بالفاعل بداهة من باب أن الله يمتحن صبر المؤمنين وثباتهم على الدين في هذا الموقف الشديد على النحو الذي ذهب إليه الحافظ بن كثير في تفسيره للآية؛كما ذكرنا سابقا، أو أن حذف الفاعل كان لغرض التحقير على نحو ما ذكره أبو حيان في أرجوزته من أغراض كما سبقت

الإشارة إليه فلم يشأ ربنا ذكر الفاعلين وهم المشركون احتقارا لشأنهم ،وحتى تنصرف الأذهان إلى حال المؤمنين الذين هم محل دائرة الاهتمام والإخبار.

والراجح من الرأيين أن الحذف كان للتحقير إذ لم يذكر الله المشركين من الأحزاب في إهمال مقصود مراعاة لمشاعر المخاطبين بالنص القرآني لدناءة مجاميع الكفر وهوان شأنهم وهو الغرض الذي رجحه ابن يعيش بقوله: «وقد لا يذكر الفاعل لدناءته نحو قولك:عُمِل الكنيف وكُنس السوق.»[1]

وقد استشهد الصبَّان على تحقير الخالق لشأن الكفار بعدم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿..**أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ**... ﴾[2]، والخطاب لأصحاب محمد [صلى الله عليه وسلم] ، والفاعل المحذوف بعد الفعل [سُئِل]هم: بنو إسرئيل قال الصبان معلقا: «لم يصرح بذكر الفاعل تعففا عن ذكر ذلك وتحقيرا من

1- شرح المفصل7 / 70،69.
2- البقرة: 108.

شأنه.»،ثم أن «..الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم.» . على رأي السيوطي . في صرف البال إلى صانع الحدث بدلا من التركيز على الحدث.[1]

ويلاحظ إسناد الفعلين إلى ضمير الجماعة العائد على فئة المؤمنين في صيغة الماضي المنقطع الذي لا ينصرف إلى المستقبل لخصوصية الواقعة كحدث دنيوي خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه وفي حيز زماني ومكاني لن يتكرر إلا ما يكون تشابها ومماثلة.

4 – حذف الفاعل للإيثار والتعدد:

ويظهر جليا في قوله تعالى : ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ.**﴾[2] فقد حذف الفاعل وهو معلوم بالاعتقاد إذ أن الحدث أخروي، وأنه تعالى مالك يوم الدين فالزحزحة عن النار من فعل الله وحده لمن شاء وكيفما شاء ،فالناجي يكون فضله الله على غيره بالفوز والنجاة وهي مأثرة منه وحده؛ وما ينبغي دينا أن يزحزح مخلوق مخلوقا في يوم الموقف،كما تدين به بعض المذاهب العقدية المتحرزة .

وقد لوحظ تصدير الفعل باسم الموصول للعاقل [مَنْ] للتركيز على المعنيين بمفازة الله وحذف الفاعل وهو الله لأنه جلت قدرته آثر بيان الحدث وهو نجاة عباده في هذا الموقف

1- يراجع الإتقان في علو القرآن للسيوطي،170/3،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،ط2،دار التراث،القاهرة،1997م.

2- آل عمران:185.

العظيم ؛والواضح أن بناء الفعل للمجهول قصد قصدا لبيان التنحية بعجلة ،وقد جعله بعضهم في باب الفعل المعتل [زاح،يزيح] ومنه قولهم: زاحت علته وهو مأخوذ من الزوح.[1]

وكان لتخير التعدية بحرف الجر [عَنْ] دلالة على مجاوزة النار وإفادة على وقوع الفعل في المستقبل بقرينة لفظة[النار] كواقعة أخروية قطعا، على الرغم من بناء الفعل في زمن الماضي.

ويُلاحظ تصدير الفعل باسم الموصول [مَنْ] الدال على الشرط فالفعل المبني للمجهول على هذا فعل جملة الشرط تستلزم جوابا لها وهو ما كان تباعا في قوله تعالى[فقد فاز] واقتران جملتي الشرط بحرفي [الفاء] إنما يجيء لفائدة الاتصال ، وتعاقب حدثين متلازمين رِدَّين لبعضهما [زحزحة عن النار يعقبها فوز بالجنة].

وثمة تفسير لحذف الفاعل بعد [زُحزِح]قد تقول به بعض المذاهب المترخصة من منطلق عقلي صِرْف، ففي بعض صيغ الإسناد إلى المبني للمجهول يلمس فيها تعدد المزحزِحين فقد يكون الناجي من النار زحزحه الله برحمته أو زحزحه عمله الذي قدمه لنفسه في الدنيا فقد جاء عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] قوله:« اتقوا النار ولو بشق تمرة.»[2]، فالعمل الطيب المنجي قد يحتمل أن يكون: إيمانا أو عبادة أو صدقة.

1- يراجع تهذيب اللغة،للأزهري،أبي منصور أحمد بن محمد،تحقيق،د:عبد الله درويش،مراجعة علي النجار،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 3 | 415.

2- رواه البخاري تحت رقم:1327. ،صحيح البخاري. ط3 ،1987 دار ابن كثير اليمامة بيروت ، تحقيق مصطفى ديب،1320/8.

ولعل أجلى مثال عن تعدد الفاعلين ما يتبن من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ **إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**...﴾[1] فـ « الفعل [قيل] جاء مبنيا للمجهول لتعدد القائلين أو الناصحين.»[2] ؛ فالقول على هذا يتعدد قائلوه فيحتمل القولُ قولَ الله أو قول صُلاَّح الناس،لاسيما إذا كانت الآية معقودة على الشرط المصدر بها مثلما هو الشأن في قول الله عن المنافقين:

﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** . ﴾[3]

والمعنيون من المنافقين هم شخص واحد في حقيقة الأمر، على الرغم من الإشارة إليه بضمير الجمع [هم] ؛ ولكنه يشكل أمة وحده، ونعني به رأس المنافقين وزعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول؛ والذي نرى في شخصه . فيما نزعم . أنه الشخصية النمطية الأبرز والأشهر في ملحمة الصراع بين الكفر والإيمان، منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة كونها مخلدة قرآنيا ، والفعل[قيل] جاء فعل شرط في زمن الماضي مبنيا للمجهول يدلل على احتمالية من القائلين الناصحين فالحافظ

القرطبي يرى القائلين عشيرة الرجل الأقربين:« لما نزل القرآن بصفتهم مشى إليهم عشائرهم،وقالوا افتضحتم فتوبوا إلى رسول الله من النفاق.»[1] ، ويذكر الحافظ السيوطي

1- البقرة : 206.

2- يراجع الفعل في سورة البقرة،ص:1780.

3- المنافقون:05 .

ناصحا واحدا لم يسمه «..فقال له رجل: «ارجع يستغفر لك رسول الله..»[2]،ويحتمل النصح من عموم المهاجرين والأنصار. من ثم جاء البناء للمجهول وحذف الفاعل بعده لفائدة العموم مطلقا.

5- حذف لغرض التهويل :

جاء في شأن عِظم وجسامة يوم القيامة قول الله تعالى: ﴿...**إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ**.﴾[3]، وقوله جلت قدرته: ﴿**وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ**.﴾[4]، وهما عبارتان إخباريتان عن صورة من صور فناء الحياة الأولى وبداية البعث للحياة الآخرة، والمستفاد من الآيتين الكريمتين جملتيهما المبنيتين للمجهول[الفعل المبني للمفعول ونائب الفاعل]

أنهما وردتا على معنى وغرض التهويل إذ أن دلالة الفعل المبني للمجهول[بعُثِر] مع اسمه المرفوع [ما] إنما تدلان على هول البعث وشدة الخروج من باطن الأرض بعد خمود وقد أسهم اسم الموصول[ما]على إفادة العموم ففُهِم منه دلالته على غير العاقل وهو تخير إعجازي للفظ من لدن صاحب التنزيل لبيان أن كل ما تحت الأرض مبعوث للوقوف أمام رب العالمين [العاقل والجامد معا]، واللافت في حديث القرآن عن يوم الحساب ووقائع

1- يراجع: الجامع لأحكام القرآن:126/18.

2- يراجع: في تفسير سورة: «المنافقون»: الدر المنثور في التفسير بالمأثور،السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)، تحقيق : مركز هجر للبحوث،دار هجر ، القاهرة ،1424هـ 2003م.

3- العاديات :09.

4- الانفطار:04.

الآخرة عموما أنه يتم التعبير عنهما بالمجهول وهي ظاهرة أسلوبية مطردة في القرآن وسمة من سمات سرد الحدث الأخروي كقوله تعالى: ﴿..**وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ.**﴾[1]

وقوله: ﴿..**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[2] أو قوله: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا.**﴾[3]

وكما أن الفعل المبني للمجهول[بُعثِر] جرى التعبير عنه بزمن الماضي فإنه يرتبط بالمستقبل من دلالة السياق بداهة وقد فسر الإمام الشوكاني ظاهرة الحديث عن واقعة مستقبلية بصيغة الماضي بقوله:«..وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكأنه قد كان.»[4]، وصياغة الأفعال على المجهول في الماضي إنما يكون لدلالة الانقطاع ،فالبعثرة تتم مرة من غير استمرارية ونظير ذلك الانقطاع قوله تعالى: ﴿...**قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ.**﴾[5] فتعبير يوسف عليه السلام لرؤيا صاحبي السجن وقعت وأضحت في حكم الماضي.

1- البقرة:48.

2- فصلت:35.

3- البقرة:166.

4- البيان في روائع القرآن: ص:493 ،494.

5- يوسف:ص 41.

وقد جاء الفعل مصدرا بـ [إذا] لإفادة معنى الشرط وبيان الظرف الزمني للحدث مما يؤكد بشكل قاطع الاستقبال لما يكون ،والأكيد أن صدارة [إذا الشرطية الظرفية] للفعل دلالة على « تمحور معظم الآية حول الفعل والمضي فيه على أنه حكم قطعي.»[1]

ويلاحظ في هذين السياقين مجيء [نائب الفاعل] على صورتين ففي الآية الأولى جاء اسما موصولا لغير العاقل بعد الفعل في مقام المفعول [بُعثِر ما...] في حين جاء في الآية متصدرا الفعل [إذا القبور بُعثِرت...] في محل الابتداء على دلالة المفعول به والذي دلت عليه قرينة ضمير التاء المتصل بالفعل ويستفاد من الصورتين أن [الاسم:ما] ورد للتعميم واحتاج إلى جار ومجرور للتعدية في المقابل جاء الاسم [القبور] دالا على معنى التخصيص وتعديته تمت بضمير عائد.

أما في مقام تصوير الحدث المعبر عنه في السياقات بالفعل الرباعي الوارد فيها،وعلاقة ذلك بالدلالة النحوية فإن الأساليب القرآنية في المشاهد الغيبية فيه تعمل على تمكين السامع من تلقي المشهد بمعناه العميق حتى يلم الخيال بما تقاصرت عنه الحواس،والأسلوب النحوي للجملة القرآنية إنما قصد قصدا في نسجه من لدن الباري عز وجل لتمثيل مشهدين اثنين في ضوء الصور المتداعية من الآيات الكريمات التي وظفت الأفعال الرباعية في سياقها: مشهد غيبي، والمشهد الآخر خفي.فإذا جاء الفعل المبني للمجهول في سياق الاستفهام أو النفي أو الشرط أفاد العموم بالمطلق واختص بما هو غيبي لوقوع الأحداث مستقبلا ،بخلاف ذلك نلمس في سياق بناء الأفعال للمعلوم إفادة

1- الفعل في سورة البقرة ص:169.

المخصوص وهو ما جعل النص القرآني يستدعي الجملتين الفعلية والاسمية معا للتعبير عن المقام وبناء السياق الخفي والغيبي ،وهو ما يمكننا التدليل عليه بالآتي:

1 – دلالة الأسلوب النحوي على المشاهد الغيبية:

أ. أسلوب الشرط الظرفي:

وتمثله الآيات القرآنية التي جاءت في مقام الإخبار عن قيام الساعة وما يترتب عنها من زلزلة للأرض وبعثرة للقبور وكبكبة في النار واللافت ،أن أفعال الأسلوب الشرطي الدال على الظرف هو:« النظم الذي يعتمد على تجاذب الكلمات وتعانق الآيات،فيكون ذلك رباطها الذي يمسك بها ويشد بعضها إلى بعض في وثاقة وإحكام.»[1]

هذا التجاذب في الكلام تمثله أفعال جملة الشرط الظرفي وأفعال جوابها وجب النظر إليه من زاوية التناسب فصدر آية « الزلزلة» جاء فعل الشرط الظرفي[إذا زُلزلَت] مبنيا للمجهول وتبعه فعل الجواب[ليُرَوا] على نفس نسق البناء للمجهول لغيبية المشهد على السامع وكونه حدثا مستقبليا، فتناسق بذلك الختام مع البدء؛ كما عبر عنه الزركشي في « البرهان»[2]؛ في مشهد آخر غيبي جاء فعلا جملة الشرط[فمن زُحزح عن النار وأُدخلَ الجنة] مبنيان للمجهول لعجز خيال السامع على لملمة صورة حدثي الزحزحة والدخول ثم نجده في جواب الشرط يتغاير نسقه بالبناء للمعلوم[فقد فاز] على اعتبار أن الفوز يعني حصول

1- ينظر: إعجاز القرآن:269/2،عبد الكريم الخطيب دار الفكر،ط:01،مصر،1964م .

2- يراجع: البرهان في علوم القرآن للزركشي:145/3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط:02، دار التراث، القاهرة، 1997م.

عموم الفائدة وهو أمر معلوم لدى السامع ومثله تخيره تعالى لفعلي جملة الشرط [إذا القبور بُعثرت...عَلمت نفس] فالإنسان لا يعلم مصيره الذي يبدأ بمشهد قيامه من مرقده، إذ هو مغيب بالغفلة في حين تعلم نفسه يوم حسابها« فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.»[1]

ثم يتتابع المشهد الغيبي في سياق الحدث ذاته ولكن بتناسب في فعلي الشرط ببناء للمجهول [أفلا يعلم إذا بُعثرَ ما..وحُصلَ ما..]فالبعثرة يعجز السامع على رسمها في ذهنه مثلما يغيب عنه ما حصله الله عنه من فعل؛ وجواب الشرط جاء في سياق التوكيد[إن ربهم بهم يومئذ لخبير]، والجملة الاسمية تدلل على فهم خبرة الله بعباده إذ المسألة عقدية محضة يثبت لله فيها ما أثبته لنفسه من صفات، ولا يسأل عن الكيف وتُؤَوَلُ حيث مقتضى التأويل كما هو مذهب الأشاعرة على ما نعتقد.

ب . أسلوب الاستفهام:

ويمثله قوله تعالى في سورة الشعراء الآية:92 ،93، 94: ﴿ **وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ(92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَو يَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ.** ﴾

1- ينظر: الكشاف للزمخشري: 470/2،ط3، دار الريان للتراث ، للقاهرة 1987م .

وجاء نسق الأفعال في سياق الاستفهام لإقامة الحجة على عَبَدَة الطاغوت في مشهد الحساب متناسقا في[قيل وكبكبوا] ببناء للمجهول للتدليل على الغيبية وفي ذلك يقول السعدي في «التيسير»:«...فلم يكن من ذلك من شيء، وظهر كذبهم وخزيهم ولاحت خسارتهم وفضيحتهم وبان ندمهم وضل سعيهم.»[1]؛ وكأن إقامة الحجة جاءت لكشف ما كان مغيبا عنهم لما غرّروا في الحياة الدنيا.

من ثم جاء الخطاب من لدن رب العباد لهؤلاء مباشرا موحيا وبإحدى أداتي الجواب: «نعم» أو« لا» ، بل أن أقصى عبارة يحاججون بها يومئذ ،هي ما نقله عنهم ربنا في [الأعراف: الآية :37] قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ.** ﴾

ج . أسلوب النفي:

ويبينه قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿..**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا.** ﴾ إن السياق في الآيتين ،جاء في مقام النفي حيث ينفي الله تبارك وتعالى رؤية الفئة المؤمنة للجنود،والريح التي أرسلها على الأحزاب [.. ريحا وجنودا لم تروها..]، فكانت نتيجة احتجاب رؤية هذا المدد المريح حتما أن [ابتُليَ المؤمنون وزُلزلُوا]

1- يراجع: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي:93/1.

فدل الفعلان المبنيان للمجهول بهذا على الغيبية:« أخرج البيهقي عن مجاهد [وجنودا لم تروها] يعني الملائكة قال: ولم تقاتل الملائكة يومئذ.»[1]، والملائكة مخلوقات غيبية.

2 . دلالة الأسلوب النحوي على المشاهد الخفية:

إذا كان الأسلوب النحوي الدال على المشاهد الغيبية أفاد العموم ،فإن الأسلوب ذاته في المشاهد الخفية جاء ليفيد خصوصية الحدث بفضل توسله بأساليب اللغة وأدواتها التعبيرية،وأما فائدة التخصيص التي يفيدها هذا الأسلوب القرآني هي ورود تلك الآيات في سياق القسم أو الوصل أو الظرف؛ ومما يؤذن له أن أفعال هذا الأسلوب النحوي القرآني جاءت في سياق نظرة التناسب مع المقام الخفي للحدث القرآني الذي حملته هذه الآيات من دون مزاحمة لفظية أو حضور لغوي لا يتعلق بالغرض.

أ . الجملة الظرفية:

وتتمثل في قوله تعالى في سورة يوسف الآية :50: ﴿ **قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾،جاء أسلوب الآية في السياق على نسق يدلل على الظرفية الزمانية بجملة الأفعال التالية :

1- يراجع: تفسير الآية: الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي .

[قالت،حصحص،راودته] فالقول آني جاء لإظهار حقيقة خفية والحصحصة آنية « بانت حصة الحق من حصة الباطل كما ذهب إليه الحافظ القرطبي.»[1]

وهو وجه من وجوه الإخفاء ،أما الإقرار بالمراودة فهو إظهار لأمر مخفي لاسيما علاقة المراودة بالنساء وكل ما هو على صلة بالحياء: « وهذا القول منها وإنلم يكن سأل عنه إظهارا لتوبتها وتحقيقا لصدق يوسف وكرامته، لأن إقرار المقر على نفسه أقوى من الشهادة عليه.»[2] فإقرار المقر صورة لما خفي.

ب . جملة القسم:

ويعبر عنها قوله تعالى في سورة التكوير : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** ﴾

جاء التركيب في مقام قسم الله تعالى بمخلوقاته من الأفلاك والمظاهر الكونية ويتبدى لنا بالنظر إلى السياق أن الدلالة السطحية في قوله تعالى:«..**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ**..»

جاءت مدللة على امتناع الله عن القسم وهي صورة للإخفاء، لكن مدلول الآية العميق يبعث برسالة في حقيقة الأمر من لدن الخالق إلى عباده أنه ليس الذي يقسم ليصدق بحكم ربوبيته ، والملفت أن القسم جاء لتأكيد أن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قول جليل من لدن الخبير بواسطة جبريل الأمين وكان المقسوم به هي:

1- ينظر الجامع لأحكام القرآن 207/9.

2- المصدر الجامع لأحكام القرآن:207/9 .

[الخنس ، الجوار الكنس ،الليل ،الصبح] ،وكلها من المظاهر التي تظهر وتختفي أي: « في حال جريانها، وفي حال كنوسها أي: استتارها بالنهار. »[1]

ومن الالتفات المبهر ذكر عدد أفلاك الليل لكثرة مشاهدتها ولم يذكر للصباح إلا مشهدا واحدا، لاختفاء الأفلاك ويلاحظ ورود الفعلين [عسعس وتنفس] في نسق تراتبي في زمن الماضي على نفس الجرس ، للدلالة على الظهور والخفاء بخلاف فعل القسم [أقسم] الذي جاء في زمن المضارع لفائدة الديمومة والاستمرار.

ج . الجملة الموصولة:

وهي قوله تعالى في سورة الناس :« **الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(6).**» ، وتتركب من اسم الموصول [**الَّذِي**] وصلة الموصول [**يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**] وضمير عائد والموصول إنما يدل على نعت الوسوسة ،أو لصلة بالذم بالتعوذ ،أو تقدر جملة الموصول على الابتداء لاشتغال الخبر بها يقول الشوكاني في الفتح « [الذي يوسوس في صدور الناس] الموصول مرفوعا على تقدير المبتدأ.»[2]

والجملة القرآنية الموصولة ههنا جاءت مدللة بشكل صريح على الإخفاء كما تبينه مفردات التركيب النحوي للجملة القرآنية الموصولة، فالاسم الموصول [**الذي**] ناب عن

1- يراجع: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:912/1.

2- يراجع: تفسير سورة الناس في فتح القدير للشوكاني (محمد بن علي بن محمد) ، ، الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، حققه : د. عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه لجنة التحقيق و البحث العلمي بدار الوفاء .ص707/5.

الاسم الصريح المحتجب وهو[الشيطان]، وللقرآن الكريم أسلوبه في عدم التصريح بالأسماء كقوله تعالى في سورة البقرة، الآية: 259:﴿ **أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ**...﴾، أو مثل قوله تعالى في سورة الأحقاف الآية:17:﴿**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي**...﴾، وغيرهما كثير.

والفعل [**يوسوس**]،دال على فعل خفي وفي معنى خفائه يقول الشوكاني في تفسير السورة نفسها:« ووسوسته هي الدعاء على طاعته، بكلام خفي ،يصل إلى القلب من غير سماع صوت...والوسوسة أصلها الصوت الخفي.» ، وعبارة [**في صدور الناس**]لا توحي إلا بالإخفاء في سياق القرآن الكريم مثلما هو قوله تعالى في سورة آل عمران الآية: 116: ﴿.. **قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**... ﴾

وفي خاتمة البحث في مسألة التحليل النحوي للفعل الرباعي ومستواه الإعرابي نخلص إلى جملة من الفوائد يقودنا إليها البحث هي أن:

1. إعراب القرآن الكريم جملا ومفردات وتدبر معناه ألفاظا وسياقات لا يخاض فيهما إلا على مذهب يوافق أهل العلم من العارفين باللغة إذ أن مسألة إعراب القرآن لزوم للمعنى وقسيم له بل هي مطلب نبوي وتوجيه منه [صلى الله عليه وسلم]حتى لا يفشو اللحن فيفسد السلائق الطيعة على فهم كلام الله واستبيان مقاصده وأحكامه وشرائعه فإعراب القرآن على ضوء فهمنا للتوجيه النبوي الشريف وشيٌ وحِلية تزين الكلام العربي الفصيح وبغية السالك إلى فهم أسرار القرآن.

2. تبين لنا أن القرآن الكريم يحفل بالجمل المبنية للمجهول لأغراض دقيقة تتساوق مع مقاصد الآيات القرآنية وأن إحصاء الأفعال الرباعية المبنية للمجهول داخل النص القرآني في تنوع بين أفعال مبنية للفاعل وأفعال مبنية للمفعول التعدية منها واللازمة.

3. وتبين أن للرباعي المبني للمجهول في القرآن قيما تعبيرية تتشكل من فعل لم يسم فاعله ونائب يقوم مقامه هي جملة البناء لغير المعلوم وهي ظاهرة قرآنية بامتياز وأن الفعل المبني للمجهول ما ضم أوله في صيغتي الماضي والمضارع في الثلاثي والرباعي والخماسي وأن نائب الفاعل مفعول به يقوم مقام فاعل محذوف أكسب حذفه نماء وثراء في القيم التعبيرية للفعل المبني للمجهول.

4. عرفنا أن للآيات القرآنية المتضمنة للجمل المبنية للمجهول رسائل قصدية وأن حذف الفاعل في سياقها كان لدواعي اقتضتها أغراض محددة. يستدل بها على السياق العام للآية ودلت مضامين رسائلها على التعدد والإيثار والتهويل و غير ذلك .

الدلالة الزمنية المحولة عن الزمن الأصلي للفعل الرباعي في القرآن الكريم:

يعرف الفعل الماضي بأنه الدال على وقوع حدث قبل زمن المتكلم من ثم استقر مفهومه على دلالة زمن مضى في استعماله في أصل وضعه ، غير أننا وجدناه بالنظر إلى وظيفيته داخل السياقات المختلفة لاسيما القرآنية منها تنصرف في دلالة زمنية محولة إلى زمنين يدلان على [الحاضر والاستقبال]هذه الدلالة المحولة يمكن اعتبارها أصل آني زمني أو مستقبلي معبر عنه بلفظ دال على الماضي بمزية السياق والقرينة المحددة لهذا الزمن.

فلو تأملنا في قوله تعالى: ﴿...**فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا**﴾[1]،لوجدنا الفعلين { دَمَدَمَ وسَوَّاها}يدلان دلالة زمنية صرفية، أي في حالة إفرادية وكأنهما خارج السياق، زمنهما نهائي، فالدمدمة والتسوية وقعتا في الماضي تباعا وانتهتا لصلتهما بقوم نبي الله صالح عليه السلام في ماض غابر أخبر به القرآن.

في حين يوحي قوله تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾[2]،أن الفعلين[**أَلْهَاكُمْ وزُرْتُمْ**] محولين من زمن أصلي وهما «الآنية والاستقبال» إلى زمن الماضي الذي صيغت عليه إذ يفهم من سياقهما أن لهما استمرارية فالتلهي مستمر وزيارة القبور متواصلة في إشارة إلى كل من الغفلة والموت.

من ثم أمكننا فهم حركة «الزمن النحوي» للفعل الماضي داخل سياقه:«في تحديد الوجهة الزمنية المقصود التعبير عنها من طرف المتكلم.»[3]

ولنا في قوله تعالى: ﴿...**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**.﴾[4]

1- الشمس:14.

2- التكاثر:01.

3- التعبير الزمني عند النحاة العرب منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها ،عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون الجزائر،ط1،1987،/63، 64 .

4- الأحزاب:37.

مثالان صريحان لفعلين على دلالة زمنية محولة فالفعل الماضي [قَضَى] جاء زمنه نهائيا على اعتبار أن اقتران زيد ابن حارثة بزينب بنت جحش رضي الله عنهما أصبح في حكم الماضي المنقطع بدلالة لفظة [قَضَى] وأما الفعل الماضي [زَوَجْنَاكَهَا] في السياق نفسه فيفيد الحاضر والاستقبال بحكم أن النبي صلى الله عليه وسلم سيمتثل لأمر ربه بنزول هذا الأمر الرباني المبطل لعادة التبني ويتزوجها من فوره فصيغة [زوجناكها]:«تدل على الحاضر في إتمام عقد الزواج مع القول في آن واحد.»[1]

فهي على هذا أفعال إنشائية ماضية في لفظها آنية في دلالة زمنها هي بتعبير أدق جاءت على زمن ماض ملغى في السياق الواردة فيه بدلالة الحدث والمعنى المقصود منه.

وعليه تكون صيغة الماضي مطلقة تنصرف إلى الحاضر والمستقبل، إذا ما أسندت إلى الله تعالى ومنه يكون الحدث المعبر عنه بالماضي في القرآن حدثا آنيا وقع لحظة صدر فيها الكلام.

ويعلل الحافظ السيوطي حالة انصراف الماضي إلى الحاضر والمستقبل بقصدية النص الناشئ قائلا: «..ينصرف إلى الحال إذا قصد به الإنشاء.»[2]، ويوضح ابن

1- يراجع: الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية ،محمد رجب محمد الوزير،مجلة علوم اللغة،دار غريب،القاهرة مصر المجلد الأول، العدد:1998، ص:141، 142.

2- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، 43/1 .

مالك[ت:672] هذا القصد الإنشائي للماضي المتحول بقوله: «أي إيقاع معانيها حال النطق بها.»[1]

وقد عزا البلاغيون استعمال الفعل الماضي بدلا من المضارع الدال على الاستقبال إلى مقتضيات السياق الإخباري؛ وإلى لمسة بيانية صرفة :«هي: تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي للإشارة إلى أن حدوثها واقع لا محالة»[2] ومثاله قول المولى تبارك وتعالى في شأن القيامة: ﴿...**فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوهُمْ قَائِلُونَ** ﴾[3] فالفعل [جاء]دل على أمر مقضي،حتمي الوقوع مستقبلا. ومن ثم يتبين لنا أن التحول الدلالي لصيغة الفعل من زمن أصلي لآخر بديل له يخالفه اقتضته الطبيعة النحوية للفعل والتي لا تعرف إلا في السياق وبه وهو عين «وظيفية الفعل.»

وبتتبع قسم من الأفعال الرباعية من مجموع الثمانية . محل الدراسة . وجدناها مستعملة بصيغة الماضي في سياق الآيات الواردة فيها لتدلل على أحداث آنية الوقوع أو مستقبلية لاحقة هذه الأفعال محصورة في أربع صيغ هي: [وَسْوسَ، حَصْحَصَ، دَمْدَمَ عَسْعَسَ] جاءت جميعها في الزمن الماضي بقصدية «الإنشاء الإيقاعي» على حد تعبير السيوطي، أي إسقاط الحدث في زمن معين على غير الزمن المتواجدة عليه، يقول الحافظ السيوطي: «هو عبارة عن إيقاع معنى بلفظ يقاربه في الوجود « كقولنا "نويت كذا»

1- شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الحياني الأندلسي، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر،الجيزة،ط1 1990 ، 1 / 29،30 .

2- معاني الماضي المضارع في القرآن الكريم، عبد القادر حامد، ص:71.

3- الأعراف:04.

فالمتكلم بها ينشئها ويوقعها في زمن الماضي ليدلل على صدق نيته وعزمه على فعلها حاضرا أو مستقبلا.»[1]

وبالنظر في السياقات التي وردت فيه هذه الأفعال لمسنا صورا لهذا الإبدال في الوجهة الزمنية وأثرها على السياق العام للتركيب القرآني واكتشفنا أن التحول الزمني لهذه الأفعال خضعت لشروط تركيبية تسوغ هذه النقلة الزمنية وهو ما يمكننا التفصيل فيه على النحو التالي:

أولا: اقتران الفعل بظرف يدلل على الحال:

حكى ربنا جل ثناؤه عن "امرأة العزيز" خبر اعترافها بذنبها وإقرارها ببراءة يوسف الصديق عليه السلام بقوله: ﴿...**قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** .﴾[2]، ففيها تتبدى لفظة "حصحص" مفتاحية في السياق كله، إذ بفضلها يتوضح المعنى العام للآية، وقد جاءت اللفظة فعلا ماضيا دالا على حال راهنة يدلل عليها ظرف الزمان "الآن" المقترن بالصيغة الرباعية الماضية "حصحص"، في تدليل على وقوع حصحصة الحق حال النطق بها، فيكون الظرف المصدر به الفعل قرينة على فهم الزمن النحوي للفعل والسياق العام للآية.

ويحفل القرآن الكريم بمثل هذه الصيغ، التي تصرف الفعل إلى الزمن الحاضر وهي في صورة الماضي ولنا في قوله تعالى في قصة بني إسرائيل في شأن تحديد نوع البقرة المراد ذبحها

1- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي،43/1 بتصرف.
2- يوسف:51.

مثال صريح عن هذه القرينة الظرفية، الدالة على الزمن النحوي يقول الحق تبارك وتعالى حكاية عنهم: ﴿**قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**﴾[1]؛ فالفعل «جئت» سيق في زمن الماضي ودل على الحاضر من دلالة الظرف "الآن" وقد اعتبر ابن يعيش أن مثل هذه الظروف:«يقع فيها كلام المتكلم فاصلا بين ما مضى وما هو آت.»[2]

فالفعل الرباعي «حصحص» بهذا المدلول الزمني إنما جاء بينيا أوحدا فاصلا بين زمنين لحدث واحد: إفك مضى وحق أقبل وبقية سياق الآية يؤكد هذا الفارق الزمني قالت امرأة العزيز: ﴿ **أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ.**﴾[3]،فالفعل «راودته»كان زمنه نهائيا منقطعا لماضويته في حين أن "حصحص" مستمر لهيمنة الحق على الباطل وظهوره عليه.

والفعل جاء لازما مكتفيا بفاعله[الحقُّ]لتمحور الحصحصة على الحق ففي قول امرأة العزيز:«إعلان عن ظهور الحق بعد خفائه وإقرار به.»[4]

ثانيا: التصدير بأداة الشرط:

جاء الفعل "عسعس" في سياق قول الله تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ.**﴾[5]،مصدرا بإذا الشرطية دالة على الزمن من غير عمل لدخولها على الفعل الماضي، فصرفت الفعل بدلالتها الزمنية إلى معنى الاستقبال ويلاحظ ورود الفعل في سياق قسم الله بأحد مخلوقاته

1- البقرة:71.

2- شرح المفصل، موفق الدين، ابن يعيش النحوي ،4/ 103 .

3- يوسف:51.

4- ينظر: الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية محمد رجب محمد الوزير،ص:145.

5- التكوير:17 .

وهو الليل وهو قسم يشعر السامع بعظمة ما يمكن أن يقسم لأجله، وقد حصر ابن يعيش وجود الشرط في السياق لتدليله على المستقبل فقال :«الشرط إنما يكون بالمستقبل.»[1] وعلل ذلك بأن معنى الفعل معلق على شرط هو وقوعه على أمر دخل في وجود غيره فقال:«...إنما هو وقوف دخوله في الوجود على دخوله ولا يكون هذا في ما مضى.»[2]

ومعنى ذلك أن عسعسة الليل شرط لبيان ما نزل من عند الله إذ جاء سياق الآية متمما لقسم الله بصدق ما نزل به جبريل من القرآن، وقد جوز المبرد[ت:286هـ] وقوع الأفعال الماضية على معنى المستقبل وبين أن: "الشرط لا يقع إلا بفعل لم يقع."[3] كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا.**﴾[4]، فجملة جواب الشرط [عدنا] لا تقع ما لم تقع عودة يهود إلى استعلائهم بعد هزيمتهم على يد الفئة المؤمنة،وهوما يظهر في جملة الشرط [إن عدتم] وقد اعتبر ابن جني تلازم فعلين ماضيين في الجملة الشرطية التامة العناصر كما هو الحال في [إن عدتم عدنا]:"واجبا تحقيقا للأمر وتثبيتا له أي أن هذا الوعد موفى به لا محالة، كما أن الماضي واجب ثابت لامحالة."[5]

1- شرح المفصل لابن يعيش:155/8.

2- المصدر نفسه:155/8.

3- المقتضب،لأبي العباس، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الحق عضيمة، دارالتحرير، الجمهورية العربية المتحدة،48/2.

4- الإسراء:08.

5- الخصائص لابن جني:856/3.

ففعل الشرط "عسعس" مفاده الاستقبال بوجود أداة الشرط، فهو في فصاحته بمستوى المضارع،أن يكون القول: «والليل إذا يُعَسْعِسُ..." لأن:" جميع أدوات الشرط الجازمة تجعل زمن الماضي الواقع فعل شرط أو جواب شرط مستقبلا خالصا.»[1]

وبهذا المفهوم يكون المولى تبارك وتعالى قد جعل حجته على عباده بصدق ما أنزله من قرآن على عباده مؤكدا بقسم منه محوره ظاهرة عسعسة الليل، وقد أضمر الفاعل للوجهين، فقد يكون الليل عسعس بذاته[إذا تعسعس الليل] أو يحتمل أن يكون الفاعل هو الله فيقع الليل مفعولا به تبعا لذلك[إذا عسعس الله الليل] ومن ثم يحمل الفعل بعد هاتين الإفادتين على اللزوم والتعدية معا.

ثالثا: إسناد الفعل إلى الله تعالى:

قص المولى تبارك وتعالى علينا بطشه بثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام بعد إقدامهم على عقر الناقة فقال في شأنهم﴿**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا.**﴾[2]، وقد جاء الفعل الرباعي [دمدم] في صيغة الماضي المنصرف إلى الحاضر في سياق تعقيب كما يدل عليه حرف العطف[الفاء] المقترن به، واللافت أن الآية استعملت ثلاثة أفعال في زمن الماضي للتدليل على الحاضر وردت متسلسلة تباعا لبيان وقوع الأحداث في إيقاع وتعاقب سريعين [فعقروا. فدمدم. فسوى.]

1- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر 05، 54/1.
2- الشمس :14.

وقد اعتبر حرف [الفاء] التعقيبي قرينة لإلغاء الزمن الماضي عن الأفعال الثلاثة لصرفها إلى زمنها الأصلي في نقلة متواترة استجمعت الأحداث فيها على زمن عام هو[الماضي والحاضر والمستقبل] فالفعل [دمدم] بهذا الدلالة الزمنية يستفاد من تخيره في التركيب حركيته في جمع الأحداث بأزمنتها داخل السياق الواحد وهي ميزة الأفعال المسندة إلى فاعل هو[الله] تبارك وتعالى فلفظة [ربُهم] صريحة في تحديد الفاعل المسند إلى الفعل [دمدم] المتعدي بشبه الجملة من الجار والمجرور[فدمدم عليهم..] غرضه إفادة معنى الاستعلاء في إشارة إلى وقوع العقاب من الأعلى.

وللإمام الزمخشري لمسة بيانية تعلل مجيء الفعل على صيغة الماضي في الإخبار عن صنيع الله ونفاذ أمره في خلقه مفادها: "أن الفعل: جيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه وتعالى في إخباره، لأن تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة، وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى."[1]، وهوما يفهم منه أن المخبر من أزليته وعلو شأنه لا يحده زمن، وأن عدله نافذ في خلقه وأن العقاب من جنس العمل فقد أفادت شبه الجملة من الجار والمجرور [بذنبهم]علة وقوع الفعل فتكون تعدية الفعل لبيان سبب الدمدمة كما يدلل عليه حرف الجر [الباء] الوارد على معنى السببية.

رابعا: الدلالة على صفة متجذرة في النفس:

1- تفسير الكشاف للزمخشري، 54/3.

وردت الصيغة الرباعية[وسوس] خمس مرات في القرآن الكريم، جاءت أربعا منها أفعالا [صيغتان على زمن الماضي والصيغتان الأخريان في المضارع] ، أما الصيغة الخامسة فاسم مضاف إلى اسم قبلها ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ.**﴾[1].

فصيغة [الوسواس] مصدر للفعل الرباعي [وَسْوَسَ] وردت في موقع الاسم المجرور المضاف إلى اسم قبله في سياق التركيب[من شر الوسواس.]، فكلمة[شَرِّ.] نكرة عرفت بالإضافة لدلالة حصر الشر في الوسواس ثم وجدنا الاسم نفسه ينعت بعدها بكلمة [الخناس.] وهي نعت حقيقي له.

من ثم توضح لنا أن [الوسواس] وقع في موضعي الاسم المضاف ، والاسم الموصوف وهو إشارة بيانية متألقة لرسالة الله إلى كل مؤمن، تعرض له شياطين الجن والإنس وتفعل فعلها في نفسه، والنفس والشيطان عَرَضٌ واحد على قول الخليل: «والوسواس اسم الشيطان.»[2]

وبالنظر في الزمن النحوي للفعل الرباعي [وَسْوَسَ] الوارد في الآيات القرآنية الأربع تم إيراده على الوجهين في سياقين متشابهين: زمن الماضي[وَسْوَسَ] وزمن المضارع [يُوَسْوِسُ] ولنا من الإفادتين التساؤل: إذا كانت صيغ الماضي تقوم مقام المضارع كزمن أصلي يدل على المستقبل في اللغة العربية فهل يجيء زمن المضارع دالا على زمن الماضي؟

1- الناس:04.

2- يراجع: العين:335/7.

وهل الزمن الأصلي للمضارع هو الماضي قطعا؟ ذلك ما يمكن تلمسه بالتحليل النحوي والقراءة الدلالية على النحو التالي:

أ. دلالة الماضي [وَسْوَسَ] على الاستقبال:

استعمل القرآن الكريم الصيغة الرباعية [وسوس] في سياق آيتين، لبيان انسلال الشيطان إلى النفس البشرية للإيقاع بالعباد وصرفهم عن جادة الحق ، وكان ذلك في قوله تعالى:﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ** .﴾[1]، وقوله في موضع آخر: ﴿... **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ**...﴾ [2]،فالصيغة واحدة في مبناها ومعناها وردت في الزمن الماضي للدلالة على الحاضر استعملت في تركيب إنشائي بقصد إيقاع معناها حال التلفظ بها كقول فرعون لحظة أدركه الغرق: ﴿**آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**.﴾[3] فقول فرعون "آمنتُ" حدث وقع في اللحظة التي صدر فيها الكلام ولم يكن المقصود من قول الفرعون "آمنتُ" إفادة معنى إخباري موقوفا على إخبار السامع بأنه "آمن" بالقدر الذي يستهدف بيان "قبوله للإيمان".

ويوضح الرضي[ت:686هـ] الفرق الدلالي بين صيغة الماضي المستعملة في الإنشاء الإيقاعي وصيغة الحاضر أو[الحال] بقوله: " إن الكلام الإنشائي لا يحتمل الصدق

1- الأعراف:20.

2- طه:120.

3- يونس:90.

والكذب، لأن معنى الصدق مطابقة الكلام الخارج، والكذب عدم مطابقته له، فإذا لم يكن هناك خارج، فكيف تكون المطابقة وعدمها."[1]

ومعنى قوله أن الصدق ظاهرُهُ اللفظ المنطوق والكذب لا لفظ ينطق به.

لذلك وجدنا هذا التخريج في دلالة قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد رضي الله عنه، وهو يستعظم عليه قتل رجل من المشركين بعد أن كَبَّر الله: «كيف بعد «الله أكبر» يا أسامة ؟.»[2]، فأسامة بن زيد حمل قول الرجل على الكذب بلا لفظ يدلل عليه والنبي [صلى الله عليه وسلم.] حمل قول الرجل على الصدق لاستدلال التكبير عليه. وكذلك الأمر مع صيغة [وسوس.]

ويلاحظ على الفعل الرباعي تعديته بحرفي الجر[لهما وإليه.] في سياقين لشبه جملتين كل حسب ما يروم إليه السياق، فقد أفادت [لهما.] أن الخطاب كان لآدم وزوجه معا واللام في شبه الجملة لام الملك وبقية سياق الآية يوضح أن إبليس خصهما بالخطاب كما يظهر من لازمة التثنية الملحقة بالأسماء والأفعال في التركيب قال تعالى مخبرا بمقولة إبليس: ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَو تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** .﴾[3]

أما السياق الثاني فقد أفادت فيه شبه الجملة [إليه] خصوصية الرسالة لآدم دون زوجه وفي ذلك لطيفة مفادها أن قرار إتيان الشجرة المحرمة من عدمه بيد آدم وحده وكأنها

1- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي ، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، 1998 07/4.

2- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، الحديث رقم:4743.

3- الأعراف:20.

أهلية وتفويض بالقيادة ولعل كلمة [تَشْقَى] في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** .﴾[1] مما يدعم هذه الفرضية. فحروف الجر حين: « تدخل على الفعل لتوصل أثره في الاسم المعَدَّى تكسب معها الدلالات معاني.»[2]

أما الفاعل في الفعل الماضي [وسوس] فجاء اسما صريحا يعود على [الشيطان] بحكم أن أصل مبتدأ الوسوسة كانت بين آدم وإبليس ثم اقترنت بالنفس ونسل آدم بعده على ذلك وجدنا الفاعل في صيغة [يُوَسْوِسُ] هي النفس بدلا من الشيطان للدلالة على الديمومة.

ب . دلالة المضارع [يُوَسْوِسُ] على الماضي:

جاءت صيغة [يوسوس] في زمن المضارع في سياق آيتين قرآنيتين لبيان ذلك الإلقاء الخفي الذي يطرحه الشيطان في النفس البشرية ، لإغوائها وتطويعها على الإعراض عن سبيل الله، وقدرد في سياقي قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ** .﴾[3] وقوله: ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ.**﴾[4]

فالصيغة الرباعية [يُوَسْوِسُ] ظاهرها الدلالة على الحاضر والاستقبال ؛ غير أن نظرة فاحصة في زمنها النحوي داخل السياقات الواردة فيها تجعلها غير مقيدة بزمن معين، فهي

1- طه:117.

2- دلائل الإعجاز أبو بكر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، دار الكتاب العربي بيروت ط1 1995 ، 272/1.

3- ق:16.

4- الناس:05.

عندئذ تدل على الاستمرار غير المقيد بزمن محدد، فمدلولها يعبر عن جميع الأزمنة: الماضي والحاضر والمستقبل، فهي على ما يسمى "الزمن الدائم" إذ تجيء الصيغة بمزيته «..في سياق لا يقع فيه الحدث في زمن خاص، وإنما يحدث في كل زمان.»[1]،ولكن مسوغة بدلالات سياقية معينة تتحرك في تركيبتها هذه الأفعال بأزمنتها الثلاث الدائمة.

ومثلما للزمن النحوي ماض منقطع على النحو الذي سبقت الإشارة إليه سابقا فإن له مضارعا بدوره ينقطع للحاضر والمستقبل وحسب ولا دلالة له على الماضي البتة ولنا في سياق قوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[2] مثال جلي على الانقطاع الزمني للحاضر وللمستقبل مثلما تدلل عليه الأفعال المضارعة [**يريد، تكملوا، تكبروا**] ففي مقام الرواية وردت الأفعال في سياق آية نزلت بعد الهجرة إيذانا ببدء فريضة الصيام العبادية على نحو لم تألفه الفئة المؤمنة مع الرسول صلى الله عليه وسلم في حين يكون الاستدلال عقلا على انقطاع الأفعال زمنيا للحاضر والمستقبل من قرينة عبارة [على مَا هَدَاكم]في السياق نفسه للآية،ومنه يفهم أن[**هداكم**] تمت في الماضي لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم،باعتناقهم الإسلام ؛ وأن إرادة الله تبارك وتعالى في تعبده بالصيام وإكمال العدة وتكبيره سبحانه على هذه النعمة قد بدأت حاضرا لتتواصل مستقبلا إلى يوم

1- ينظر: الزمن في القرآن، عبد الكريم بكري،ص:124.

2- البقرة: 185.

يلقونه؛واللافت أن دلالة اللفظ على المضارع المنقطع مقرونة بوجود لفظ دال على ماض منقطع في سياق واحد.

وبالعودة إلى حركة انصراف الصيغة الفعلية المضارعة إلى الدلالة على الزمن العام والدائم [الماضي والحاضر والمستقبل]وجدناها مسوغة بشروط مواتية من هذه الشروط دلالتها على [صفة ثابتة في النفس] فتخير القرآن الكريم لصيغة [يوسوس] إنما عبر عن صفة ثابتة ملازمة للنفس البشرية حاضرة معها في كل زمان مثلما اقتضت الجبلة التي فطر الناس عليها و«استعمال الفعل المضارع [توسوس] أشعر السامع، بأن علم الله بالوسواس متجدد غير منتقض ولا محدد لإثبات علم الله تعالى.»[1] ، فهذه الوسوسة المستمرة قد تكون متصلة مطردة أو منقطعة متجددة للشخص الموسوس.

ولعل أوضح مثال يجلِّي مفهوم الزمن الدائم للأفعال القرآنية المضارعة ، قوله تعالى في الآية: 91 من سورة البقرة بشأن يهود المدينة في أثناء مجادلتهم للرسول صلى الله عليه مسلم: ﴿**قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ ؛ فلفظة « تَقْتُلون» في سياق الآية استعملت في زمن الحاضر بحكم أن الخطاب يعني يهود المدينة ممن عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد اعتبر البغوي،[ت:510هـ] الفعل المضارع بمعنى الماضي فقال في تفسير الآية ما معناه:« قل، يا محمد فلم تقتلون أي: قتلتم.»[1]

1- ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ،187/17.

1- يراجع معالم التنزيل ، للبغوي .

وعلل الشوكاني تخير الباري جل وعلا لهذه الصيغة بما يفهم منه أن قتل اليهود المتأخرين للأنبياء كان معنويا لارتضائهم فعل أسلافهم يقول الإمام الشوكاني في تفسيره للآية:« وهذا الخطاب وإن كان مع الحاضرين من اليهود فالمراد به أسلافهم ولكنهم لما كانوا يرضون بأفعال سلفهم كانوا مثلهم.»[2] ، هذه المثلية لا تعدو أن تكون إلا صفة متجذرة في النفس البشرية تظل تلازمها مع تعاقب الأزمنة، وتلك طبيعة يهود وذلك ديدنهم.

ويلاحظ تعدية الفعل بحرفي الجر[في والباء] وفق ما يروم إليه السياقان في التعبير ففي قول الله: "..ما توسوس به نفسه.." نلحظ دلالة حرف [الباء] في التعبير عن تلبس النفس: "فقد أفادت في [به] معنى المصاحبة أو الملابسة كقولهم صوت بكذا، فضمير الغائب عائد إلى [ما] حال كونها موصولة، أو للإنسان حال كونها مصدرية ."[3] ، أما صيغة [يوسوس] في سورة الناس،فتعدت بحرف الجر[في] الدالة على الظرفية المكانية لأداء معنى الاستيلاء والتمكين ولنا في وصف المولى تبارك وتعالى لعقيدة الأعراب مثال على الظرفية المكانية للحرف وهو قوله: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ...﴾[1]،أي أن الإيمان محله القلوب وليست الألسن.

2- فتح القدير للشوكاني 121/1.

3- ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي، 226/5 ،تحقيق عبد القادر حسونة،دار الفكر، بيروت،1996م.

1- الحجرات:14.

وقد روعي تكرير الفعل من الفاعل، والفاعل هو الوسواس جاء مضمرا بعد الفعل اكتفي بذكر شره ثم نُعِت باسم الموصول[الذي] مُصَدرًا به الفعل ودالا عليه، وفي ذلك الإضمار انسجام مع خفائه في النفس إضافة إلى ما يعوذ به الناس وهو[الله] المضمر في التركيب والدال عليه سياق شبه الجملة بصفاته [برب الناس، ملك الناس، إله الناس] والتركيب في وقعه وتداعيه على السمع ينسجم مع نفسية الموسوس الذي يكرر الوسوسة.

وللعلامة الزمخشري نص يعلل مسألة الإضمار والإظهار المميزين لسياق سورة الناس يقول الزمخشري: «وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه، فجُعل غاية للبيان، فإن قلت اكتفي بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة، قلت: لأن عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار.» [2]

ومن فوائد إضمار لفظ الجلالة الله والاستدلال عليه بالمضاف إليه: «مراعاة صور جمالية في اللفظ أو محسن من محسنات البديع.»[1]، ونخلص بعد هذه الإفادات عن الدلالة الزمنية للأفعال الرباعية في القرآن الكريم إلى جملة من الفوائد نلخصها فيما يلي:

1. عرفنا أن للأفعال بشكل عام زمنا يعرف بـ "الزمن النحوي" داخل السياق يتحرك بموجبه داخل التركيب العربي لتحديد الوجهة الزمنية للجملة برمتها، وعرفنا أن للأفعال دلالة زمنية أصلية تعرف في السياق على غير ظاهر الصيغة المستعملة، وأن هذا الأصل الزمني يعرف حال إنشاء القول وإيقاعه.

2- الكشاف:4/828، 829.

1 – ينظر: البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم دمشق، ط1، 1996م.ص:547.

2. أدركنا أن الفعل الوارد في زمن الماضي ليس زمنا أصليا للصيغة الفعلية، بل جاءت بدلا من زمن أصلي وهو الحاضر، خصوصا في السياق القرآني، فالأفعال الماضية في الجملة القرآنية تنصرف في زمنها النحوي إلى الحاضر أو المستقبل باعتبارها في اصطلاح أهل اللغة «إنشاءا إيقاعيا.»

3. فهمنا أن السر في استعمال الزمن الماضي في القرآن الكريم بدلا من المضارع، إنما اقتضاه السياق الإخباري للآيات، الذي ينزل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي لبيان حتمية وقوعها وبلمسات بيانية جليلة.

4. بان لنا أن التحول الزمني للماضي إلى الاستقبال تتم وفق شروط تركيبية تسوغ صرفها من زمن على دلالة سطحية ملغاة إلى زمن على دلالة عميقة مستوفاة وهذه المسوغات هي:

أ. أن يقترن الفعل الماضي المنصرف إلى الحال بظرف زمان يدلل عليه.

ب. أن تُصدر أفعال الزمن الماضي بأداة شرط تصرفه للمستقبل.

ج. إذا أسند الفعل إلى فاعل هو الله كما هو وارد بكثرة في سياق الآيات القرآنية.

د. أن ترد الأفعال القرآنية في الزمن الماضي معبرة عن صفة متجذرة في النفس البشرية كالنفاق والوسوسة والإيجاس..

5. اكتشفنا أن صيغة الرباعي [وَسْوَسَ] المتخيرة في القرآن الكريم أنشئت إنشاءا إيقاعيا للدلالة على حدث ماض منقطع [قصة آدم وإبليس]

6. واكتشفنا أن صيغة الرباعي [تُوَسْوِسُ] لا تدلل على زمن محدد، وأنها تتحرك في الأزمنة الثلاث [الماضي والحاضر والمضارع] أوهي على ما يعرف بـ "الزمن الدائم"

7 . وعرفنا أن الصيغة الدالة على المضارع في السياقات القرآنية تنصرف إلى الحاضر والمستقبل المنقطع عن الماضي بوجود صيغة دالة على ماض منقطع في نفس السياق.

الفصل الرابع

الدلالة السياقية للفعل الرباعي في النص القرآني.

الدلالة السياقية للفعل الرباعي في النص القرآني

1 – مقاربة اللفظ بالمعنى في النص القرآني :

إن القرآن الكريم سورا وآيات قطعة واحدة، محكمة النسج، متسقة المباني ، مرصوفة المعاني وهي من علائم الإعجاز الذي حازه القرآن العظيم،وتفرد به عن غيره منذ اكتمال نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هذا التناسق البديع والمقاربة الفذة في نظم كلام رب العالمين وترتيبه الترتيب الأنسب لأداء الوظائف الدلالية، والمقاصد الشرعية المتوخاة هو ما تصرف إليه العنايات كلها.

هذا النظم المبهر لا يمكن قصره على السور والآيات؛ بل يتعداه إلى حروف هذه الآيات وتناسبها مع معاني ودلالات تلك الكلمات ، ومقاصد تلك الإشارات، حتى باتت آي القرآن برمتها نسيجا واحدا متراصا مبهرا يلامس شغاف القلوب قبل الأسماع حتى قال فيه أحدهم وهو على كفره الذي هلك عليه « إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة...»[1]

وقد اعتبر الحافظ السيوطي تواشج آيات القرآن وسوره حتى لكأنها كلمة واحدة وجها من وجوه الإعجاز [2]، وقال إن فوائده جمة إذ تجعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض،فيقوى ذلك الارتباط، ويصير التأليف حالته حالة البناء المحكم المتلائم

1- الوليد بن المغيرة، ينظر سيرة ابن هشام ،250/2.

2- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، 42/1.

الأجزاء.»[1]

وقد جعل علماء التفسير الترابط الوثيق بين وجوه المقاربة ،وسمو البيان دليلا إلى إعجاز الكلم وربانيته، حتى قالوا إن لمسات القرآن وإيحاءاته، أبهرت العقل بجميل النظم وإحكام الحبك حتى أغنى تناسقها عن التماس نزولها، وعوض انسجامها الفني واقعها التاريخي؛ هي على حد تعبير صبحي الصالح:« بدت السور كلها بآياتها المتناسقات مئة وأربع عشرة قلادة،طوقت جيد الزمان وهو ما حفز نفرا من العلماء على البحث عن ألوان جديدة من المناسبات.»[2]

ومن ثم ظهرت دراسات جليلة في اقتناص أسرار القرآن ،والإيغال في عجائبه ومكنوناته. فكانت المقاربات عديدة ومذهلة في الكشف عن علاقات عددية بين الآيات وعلم الحساب؛والرياضيات والحروف والكلمات في استشراف المستقبليات؛ وقضايا الوجود الكوني ،من حيث النشأة والفناء: «فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها،وكيف قارنت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس ،لما هو أدنى وأقل وأخف عملا أو صوتا، وجعلت الحروف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسنا...» [3]، فهل حقا في الدراسات القرآن يوجد ما يمكن تسميته بالمقاربة القرآنية ومعرفة المناسبات التي يلائم فيها اللفظ المعنى في سياق آية واحدة، أم أنه لا يعرف مقصود الآية في أولها إلا بالوقوف على

1- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي ،44/1.

2- ينظر مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ص 157.

3- يراجع: سر صناعة الإعراب:818/2

آخرها؟ ولعل ما يقرب المفهوم إلى الأذهان بوضوح عن تلك المقاربة القرآنية الفذة، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...**﴾[1]

في إشارة إلى رجل مؤمن تلفظ بما يوحي بالشك في قدرة الله على إحياء كل ميت ثم نجده بعد عشرات السنين يستدرك ويصحح ما كبر من كلام تشكيكي خرج من فيه في جنب الله نهاية الآية: ﴿**قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ...﴾[2]، يقول محمد عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان مثبتا هذه المقاربة: «...كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار،نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته وجاء مساوقا لأوله وبدا مواتيا لآخره.»[3]؛ ومن جملة ما جاء في باب ملائمة اللفظ للمعنى في سياق الآيات قوله تعالى: ﴿**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى.**﴾[4]

فقد جاء المولى عز وجل بأغرب لفظ وهي كلمة ضيزى والتي إن جاز لنا القول هي الكلمة المفتاحية لفك المعنى في الآية ،وفهم أن قسمة المشركين جائرة ،ولم يؤت فيها

1- البقرة : 259.

2- البقرة : 259.

3- ينظر مناهل العرفان ،53/1 لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت (لبنان) ط1، 1996م، تحقيق مكتب البحوث والدراسات.

4- النجم: 21،22.

بالإنصاف.ومن المقاربات بين الحرف واللفظ ما هو في قوله تعالى: ﴿ **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ** .﴾[1]

فمجيء المصدر مصاغا من مزيد بحرف الألف (غاضب)، دل على الاشتراك في صفة الغضب بين نبي الله يونس عليه السلام وقومه ، ولو كان المصدر (غضبان) لدل على الغضب من طرف واحد وهو طرف نبي الله يونس.

على العموم علم المقاربة القرآنية، وتناسب سوره وآياته، وحروفه بألفاظه علم جليل؛ لم يستحدث من لدن المتأخرين، بالقدر الذي خاض فيه السابقون، وكان بمثابة الإيذان منهم لتناول القرآن من زاوية الدراية المعرفية؛ القائمة على اكتناه النص واللفظ والحرف.

والمقاربة في اللغة هي القرابة بين الشيئين، التي تربط بينهما صلة لا فكاك بها عن بعضهما؛جاء في مقاييس اللغة المقاربة لغة المشابهة، والمشاكلة، والاتصال [2]؛ وفي البلاغة «ترتيب المعاني المتآخية التي تتلائم، ولا تتنافر.» [3]؛ وهو ما يسمح بإضفاء أبعاد فنية على النص القرآني الجليل من زاوية الروابط والعلاقات بين مكوناته، صوتا وصرفا وقاعدة وبيانا ؛الأمر الذي حدا بالمحدثين إلى تلمس هذه المقاربة ؛والبحث في إعجاز القرآن بناءا وتصويرا للمشاهد ،والوقائع بين دفتي الكتاب الكريم.[4]

1- الأنبياء: 87.

2- ينظر معجم مقاييس اللغة ، 423/5.

3- ينظر معجم المفصل في علوم البلاغة جمع وترتيب د. إنعام عكاوي، ضمن سلسلة الخزانة اللغوية، 430/6، ط1، دار الكتب العلمية.

4- يراجع التصوير الفني في القرآن لسيد قطب وفي ظلال القرآن.

أما الأصوليون فجاء تناولهم للمقاربة في القياس في الحكم الفقهي؛ ومقاربة الحكم في العلة: «وهي الوصف المقارب للحكم، لأنه إذا حصلت مقاربته له ،ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم.» [1]؛ ويضرب الشيخ الشثري في مختصره في علم أصول الفقه تتبعا لجامع شيخ الإسلام ابن تيميه مثلا عن المقاربة في العلة، في باب القياس بتعليل تحريم النبيذ بالإسكار قياسا على الخمر يقول: «لو قدرنا أن الشريعة قالت: الخمر حرام ولم يأت دليل يوضح العلة فجاء المجتهد واجتهد، وقال: المعنى المناسب لتحريم الخمر هو قوله:مسكرا فإننا نقيس عليه بنص قوله صلى الله عليه وسلم: «كل مسكر خمر[2] وكل مسكر حرام.»، وهنا نص على العلة، فيكون من«الأوصاف المؤثرة»[3]؛ وبذلك تكون لفظة: (مسكر) دلت على الخمر والتحريم معا؛ وهي مقاربة لفظية بينت أن كلمة مسكر مفتاحية في نص الشارع ،توحي بالخمر والحرمة بمجرد تلفظها والتقاطها سماعا .

ولعل أفضل من عرف المقاربة بين اللفظ والمعنى من المشتغلين في علوم القرآن: البقاعي حين اعتبرها العلة في ترتيب أجزاء القرآن؛ وتحقيق مطابقة المقال للمقام، يقول عنها هي:«علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق المقال لمقتضى الحال.»[4]

1- ينظر: أصول الفقه الإسلامي ص 231 للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

2- صحيح مسلم تحت رقم 37/2، أيوب عن نافع عن ابن عمر.

3- يراجع مختصر في علم أصول الفقه للشيخ الشثري ، ص626.

4- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي،5/1. دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، دط،دت.

وعلى ذلك تكون المقاربة سر البلاغة، لأن الترتيب واستحقاق المقال نصا ولفظا لمقتضى الحال ومقامه، إنما هي السبيل إلى تحصيل لطائف القرآن، وأسراره بين السور،والآيات والكلمات والحروف؛ وفي ذلك قال «الفخر الرازي» في التفسير الكبير: «إن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.»[1] .

وإلى هذه الشروح والتعاريف الصادرة عن أعلام التفسير ،وعلوم القرآن يقودنا الحديث إلى تلمس معاني الأفعال الرباعية، المعدودة في أسيقتها القرآنية بأعدادها الثمانية وبالتحديد ضمن ثلاث عشرة آية للوقوف على دلالتها؛ وما قدمته من إفادة بيانية ولطيفة بلاغية.

2- الرباعي المضاعف (زلزل):

وردت هذه الصيغة على وزن (فعلل) في السياق القرآني ست مرات ، ثلاثا منها أسماء وهي :

-﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**... ﴾الحج:01 .

-﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**... ﴾ الزلزلة :02.

-﴿ ...**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**...﴾ الأحزاب :11.

وجاء في ثلاث أخرى فعلا ماضيا مبنيا للمجهول وهي :

-﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ...﴾ الزلزلة : 01

1- ينظر التفسير الكبير للفخر الرازي ،113/10. ،ط2، الفخر الرازي ،دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م.

- ﴿ ...مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا... ﴾البقرة :214

- ﴿... هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا... ﴾ الأحزاب :11.

وقد وظف القرآن الصيغة في مواضعها الست؛ فجاءت على أصلها اللغوي أي: استعملت استعمالا حقيقيا في بعضها، وفي المقابل ذكرت أخرى على جهة المجاز أي: على غير أصلها اللغوي، كما سيتبين لاحقا ،وهو ما يدل على ورودها لدلالتين متباينتين نسبيا يمكن الإفادة بهما على النحو التالي :

أ- (زلزل): دلالة على خارقة كونية عظمى:

وردت الصيغة الفعلية الرباعية (زلزل) على أصل وضعها اللغوي الحقيقي؛ في الآية الأولى من سورة الزلزلة، وفي قوله تعالى: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا**...﴾ والسورة في مجملها ترسم موقفا مهولا، ونبأ عظيما، وهو قيام الساعة ؛ التي تكون زلزلة الأرض بزلزالها العظيم مفتتحها إلى عالم الآخرة؛ من ثم كان لفظ (زلزل) من القوة والشدة بمكان، أفزع السامع، لاسيما وأن مدلولات اللفظ في القرآن الكريم تكررت بمعنى الرجة والدك والنسف.

قال السعدي[ت:1376] في تفسير الآية:« فتندك جبالها وتسوى تلالها وتكون قاعا صفصفا لاعوج فيه ولا أمت.»[1]

1- تيسر الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان،497/8، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة ، 1420هـ ،2000م، السعودية.

فالزلزلة والزلزال: « تحريك الشيء بشدة وقوة.» [1] ، فمدلولها ينصرف إلى الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، «وتكون في الأشخاص وفي الأحوال» [2]،كما جاء في تاج العروس؛ فتأتى هذه الحركة كناية عن التخويف،كما هو مستشعر من اللفظ، فلفظ (زلزلت) في مفتتح السورة جاء صريحا عن اختلال في توازن الأرض، وسكونها وتصدعها تصدعا لا يبقيها وما عليها؛ فهو الفناء والموت الشامل، وهو ما فصل فيه البغوي بقوله:«حركت الأرض حركة شديدة لقيام الساعة، (زلزالها): تحريكها (وأخرجت الأرض أثقالها): موتاها وكنوزها على ظهرها.»[3]

ثم أن الزلزال العظيم في سياق السورة إنما هو من وحي الله وتمام مشيئته « إذا زلزلت الأرض: أي حركت تحريكا عنيفا متداركا متكررا حتى يخيل للناس أنها حركت من حيزها «أي: من أصلها» بتعبير الحافظ القرطبي.[4]

وتضعيف الصيغة عني به شدة هول الموقف وتكراره؛ وهذا بمشيئة الحق تبارك وتعالى[5] والعبرة بالتخويف في أمر فناء الحياة ما يقدمه الإنسان لمثله يوم؛ والثابت أن «الكائنات مسخرة لذلك الحدث فما تحتاج إلى أمر وإلى يد فاعل فالأرض تزلزلت لقائيا وتدك

1- ينظر لسان العرب مادة (زلل)، ج307/11.

2- ينظر تاج العروس مادة (زفل) ،1312/2.

3- معالم التنزيل للبغوي :498/8.

4- يراجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 147/20

5- روح المعاني للألوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 208/30.

بانبعاث قاهر.»[1]، وهو ما يفهم منه أن الأرض بقيت على سكونها إلى أن نفضت ما عليها؛ وأخرجت ما كان دفينا فيها وخرقت النواميس المألوفة فيها، فكانت « هزة عنيفة للقلوب الغافلة، هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي، وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها.»[2]

إجمالا المشهد زاخر بالحركة العنيفة المتفلتة من سياقها ونظامها إنه: « مشهد انقلاب تام لكل معهود، وثورة شاملة لكل موجود تشترك في الانقلاب والثورة الأجرام السماوية والأرضية والوحوش النافرة والدواجن الأليفة، أو نفوس البشر وأوضاع الأمور ويبدأ المشهد بحركة جانحة وثور ثائرة،كأنما انطلقت معقالها الردة المدمرة؛ فراحت تقلب كل شيء وتنثر كل شيء، تهييج الساكن، وترويع الآمن، والموسيقى المصاحبة للمشهد سريعة الحركة لاهثة الإيقاع، تشترك بإيقاعها السريع في تصوير المشهد وتمثيله في الإحساس.»[3]

ب- (زلزلوا) دلالة على شدة الفزع :

جاء الفعل في سياق الإخبار عن حال المسلمين في معركة الأحزاب، في أيام جمعت فيها قريش العرب، وحشدتهم لقتال المسلمين، وضربتهم عن قوس واحدة وقامت بضرب طوق على المدينة المنورة بأعداد هائلة [4]، فتحول المسلمون يومها؛ وهم قلة في أسوء حال

1- ينظر : التفسير البياني للقرآن الكريم ، عائشة عبد الرحمان ص:75.

2- المرجع نفسه، 3954/6.

3- ينظر مشاهد القيامة في القرآن ،لسيد قطب،ص:67.

4- ذكر ابن هشام من القبائل قريش و غطفان و أحلافها إلى جانب يهود المدينة : ينظر سيرة ابن هشام .

وأخطر مصير هذه الحال التي صنعها عدو مخوف، وحصار مطبق دام أسابيع أصيب فيها المسلمون بفزع شديد جعل بعض ضعاف النفوس ممن أسلموا حديثا إلى الظن في نصر الله ؛وبعضهم راح يختلق الذرائع لترك معسكر الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿...**وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**..﴾[1]

يقول تعالى في وصف حال المسلمين يومها : ﴿**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**...﴾[2]، وكيف لا يزلزلوا وقد جاءتهم حشود القبائل من أعلى الوادي جهة المشرق ومن أسفل الوادي جهة المغرب ، ومالت الأبصار ، وزاغت في محاجرها فلم يعد أحدهم يأمن على نفسه حتى أن بعضهم امتنع عن قضاء حاجته وطلب الخلاء؛كما ورد في سيرة ابن هشام مفصلا.

هذا الزلزال العظيم الذي رآه بعضهم وعدا غررا، وانزلاقا مع محمد صلى الله عليه وسلم ما هو في حقيقته إلا ابتلاء يمحص به الله قلوب المؤمنين مثلما محص قوما قبلهم قال تعالى في سورة البقرة: ﴿...**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**...﴾[3]

1- الأحزاب : 13.

2- الأحزاب:11 .

3- البقرة : 214.

وقد استعمل القرآن في تصوير حال المسلمين لفظة (زلزلوا) على غير موضعها الحقيقي،أي وظفت من جهة المجاز ؛بنقل دلالتها الحسية إلى دلالتها المعنوية؛ جاء في أساس البلاغة "للزمخشري": « ومن المجاز زل في قوله ،ورأيه زله وزللا ،وأزله الشيطان عن الحق واستزله.»[1] وجمهور المفسرين يحملونه على جهة المجاز منصرفا إلى الخوف والتحذير قال ابن الأنباري في قولهم: «أصابت القوم زلزلة ، أي: خوفوا وحذروا .»[2]

وإلى المدلول نفسه ذهب "ابن عاشور" في تفسيره وقال إنما :« أزعجوا أو اضطربوا إنما الذي اضطرب نظام معيشتهم»[3]، ومن ثم لا تخرج دلالة (زلزلوا) عن مدلول الفزع وفقدان الأمن،وترويع النفس؛ جاء في تاج العروس:« تزلزلت نفسه رجعت عند الموت في صدره وفي ذلك يقول أبو ذئيب[4]: وقالوا تركناه تزلزل نفسه وقد أسندوني أو كذا غير ساند.»

واللافت أن القرآن الكريم حين يعبر عن زلزلة المؤمنين، في خضم أحداث حصار الأحزاب لهم؛ لم يفصل في أحداث المواجهة في آية البقرة؛ بل أشار إليها إشارة عابرة لبيان وقعها على النفوس، في المقابل جاء التفصيل في آيات سورة الأحزاب؛ ومن ثم كان مقام التفصيل والبيان مقاربة معنوية للفظة (زلزلوا) في سياقها الآخر، وصلت بفضلها الكلمة إلى أعلى مراتب الدلالة وأوفاها .

3- الرباعي المضاعف (حصحص) كدلالة على انكشاف حق مستور:

1- أساس البلاغة للزمخشري ص: 979 ، دار صادر ، بيروت .

2- ينظر لسان العرب لابن منظور في مادة (زلل) ،308/11.

3- ينظر تاج العروس مادة (زمل) ،29 /135.

4- تراجع البداية و النهاية لابن كثير ،222/7 ، مكتبة المعارف .

ورد الفعل (حصحص) في موضع واحد، ومتفرد في القرآن الكريم؛ وفي سياق قصة نبي الله يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، حيث نقل الله تعالى على لسانها في الآية (51) من سورة يوسف قولها: ﴿...**الْآَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**...﴾؛ هذه المقولة اعتراف صريح، وإقرار من امرأة العزيز بذنبها بافترائها على يوسف، وبرهان ساطع على براءة نبي الله يوسف عليه السلام من تهمة مراودته للمرأة.

وأصل حصحص: ظهر وبان، وبرز والحصحصة تدل على المبالغة في وضوح الشيء وتمكنه وبيانه، وذهب الخليل إلى أن(حصحص): « مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة يقال: تحاص القوم تحاصا يعني الاقتسام من الحصة وهي النصيب.» [1] أي: حصة الحق بانت من حصة الباطل، وقد وصف الخليل الحصحصة بالتمكين وقال عنها: «الحركة في الشيء حتى يستقر فيه ويتمكن منه»[2]؛ وكأني به يشير إلى نزول الحق على الباطل نزولا صاعقا، فيستقر عليه ويتمكن منه، ومنه قيل: « حصحص البعير في بروكه إذا تمكن وأثر في الأرض وأثبت ركبتيه.»[3]

وعلى هذا يحمل الفعل معنى النزول إلى الأرض والانكباب عليها، وأيد المعنى «الزمخشري» بقوله: « ثبت واستقر» [4]، وبين أنها:«للبعير إذ ألقى للإناخة» [5]، وقد صرف

1- ينظر : العين:14/3.

2- العين :13/1.

3- لسان العرب لابن منظور : 15/7، دار صادر ، بيروت ط1.

4- ينظر : الكشاف، أبو القاسم الزمخشري ،326/2 .

5- المصدر نفسه: 451/2.

جمهور المفسرين أقوالهم في تفسير معنى الآية ،ودلالة الفعل الرباعي على ضوئها إلى معنى إحقاق الحق وإقراره على كذب طال حبله، وقد جاء تخير لفظ (حصحص) من لدن الحق سبحانه منسجما مع الإبانة، والانكشاف بعد كتمان، وإخفاء يقول الإمام الرازي: «حصحص القول: أي ظهر الحق ووضح، وتمكن من القلوب والنفوس» [1]؛ ومن ثم جاء واضحا صادحا لدفع البهتان وكشف المستور.

والحق أن التهمة الملقاة ظلما وعدوانا على يوسف كانت مدوية يومها؛ بحكم مركز يوسف عليه السلام ،وانتسابه إلى العائلة المالكة، فكان لزاما أن يكون ظهور الحق بنفس الصدى ونفس الدوي؛ وفي نفس المكان، وعلى لسان نفس المفترية، وبحضور الأشخاص أنفسهم، وتلك منة من الله على عبده الصالح يوسف عليه السلام قال تعالى:﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُو زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ...**﴾[2]

4- الرباعي المضاعف (زحزح) كدلالة على التنحية والإبعاد :

ورد الفعل الرباعي (زحزح) في موضع واحد من القرآن الكريم، في الآية (185) من سورة آل عمران، في سياق التعريف بالفائزين يوم الحساب؛ وهم فئة الذين أبعدهم الله عن نار جهنم، وزحزحوا عن موضعها قال تعالى : ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾؛ فالآية جاءت لتصوير وبيان موقف من مواقف القيامة، وهو مصير الإنسان

1- التفسير الكبير للرازي ص: 5782، .

2- سورة الأنبياء : 18.

الذي يكون قريبا من الهلاك أو على شفا حفرة من النار، إذ هي أقرب ما تكون إليه من النعيم.

فحين يشير ربنا إلى الجنة يقول " **تلكم الجنة**" وحين يشير إلى النار يقول " **هذه جهنم**" وكفى بهما استدلالين على القرب والبعد ، والإنسان في موقف كهذا أحوج ما يكون إلى النجاة والابتعاد عن النار؛ من ثم كان تخير لفظ (زحزح) لبيان هذا الموقف الخطير تخيرا ينسجم مع وضع الإنسان يومئذ.

وزحزح أصله :« زاح يزيح إذا تأخر، ومنه قولهم زاحت علته، وقيل هو مأخوذ من الزوح وهو السوق الشديد.»[1]؛ وكأن النار تتخطف الناس وتجرهم إليها جرا، وهو ما فصل فيه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل الذي رواه البخاري عن الصراط على جهنم قال(عليه الصلاة والسلام):«مدحضة [2] مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان.»[3]

وعلى هذا التوصيف النبوي ،جاء اللفظ متناسقا مع حركة مجاوزة النار، فإذا ما أبعد عنها فيكون قد فاز ؛لذلك حض النبي صلى الله عليه وسلم أتباعه على العبادة والإكثار من فعل الخيرات، فقد روى أحمد والنسائي عن أبي هريرة بإسناد صحيح على شرط مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: «من صام يوما في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار بذلك

1- ينظر: تهذيب اللغة للأزهري: 415/3،ت عبد السلام هارون، ومراجعة محمد علي النجار، دار العومة العربية، القاهرة 1954.

2- مدحضة من دحضت رجله إذا زلقت و مالت : ينظر لسان العرب مادة (دحض) ج7/ 148.

3- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ج6 /2706 .

سبعين خريفا.»[1]؛ هذا التصوير القرآني للفظة زحزح في داخل السياق،يتعقبه سيد قطب بقوله: «يرسم صورة لقوة العذاب لا يرسمها مباشرة ولا يبرزها مواجهة، إنما يدع الألفاظ تلقى ظلالا معينة فيرتسم في الضمير مشهد مخيف.» [2] هذه الألفاظ يقول عنها قطب صورة مطابقة لمعناها فـ: «.. كل فرد إذن على وشك أن يسقط في النار، وإنه يحتاج لمجاوزتها قليلا إلى جهد عنيف،جهد الزحزحة،وهي الحركة البطيئة العنيفة (زحزح) نفسها ترسم صوره لمعناها.»[3]

غير أن الفخر الرازي يصرف معنى اللفظ إلى حيز يسبق الآخرة، وجعله متعلقا بالدنيا التي اعتبرها نارا فيقول :« هذا تنبيه على أن الإنسان حينما كان في الدنيا، كأنه كان في النار،وما ذاك إلا لكثرة آفاتها وشد بليتها.»[4]؛ ولعل الإمام الرازي حمل معنى (زحزح) على سياق قوله تعالى:﴿...**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَو يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُو بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**..﴾[5] وهي إشارة إلى كراهة الموت، وحب الحياة على شررها وشرورها.

وإذا كان الإمام الرازي قد أوقف الزحزحة على جحيم معينة هي الدنيا بعينها فإن العلامة السعدي اعتبر البرزخ محلا لحصول الزحزحة، جاء عنه في التيسير قوله :«..فمن

1- ينظر: مسند الإمام أحمد:300/2، الحديث تحت رقم:7977.
2- مشاهد يوم القيامة في القرآن سيد قطب ص238.
3- مشاهد يوم القيامة في القرآن سيد قطب ، ص:238.
4- ينظر:التفسير الكبير للرازي، 130/9.
5- البقرة: 96.

زحزح أي: أخرج عن النار وأدخل الجنة، فقد فاز أي: حصل له الفوز العظيم من العذاب العظيم. ومفهوم الآية من لم يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فإنه لم يفز بل قد شقي الشقاء الأبدي، وابتلي بالعذاب السرمدي، وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه.» [1] لعل السعدي استنتج تلك اللطيفة من قرينة عبارة «زحزح عن النار بدلا من زحزح من النار» ولعل الأنفع في مثله موقف هو تمثل قول الشاعر راجيا ربه وهو يحتضر:

يا قابض الروح من نفس إذا احتضرت وغافر الذنب زحزحني عن النار[2]

5- (عسعس) كدلالة على ظاهرة فلكية :

ورد ذكر الفعل (عسعس) متفردا في سورة التكوير الآية (17)، مقسما به من لدن الخالق عز وجل بقوله: ﴿...**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ**... ﴾ وهو قسم صريح من لدن الرب جل ثناؤه بظاهرتي الليل والنهار المتعاقبتين فلكيا؛ وفي حالات الظهور والاختفاء والجريان التي أتلفت عليها الخليقة من مبتدأ الوجود؛ فظاهرة الليل في إقباله وإدباره من ضرورات الحياة لكل الموجودات، وعلى رأسها الإنسان، وقد وضح الحق سبحانه هذه الضرورة الحياتية؛ التي لا غنى فيها للكائن البشري عن الليل والنهار بقوله : ﴿... **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ**

1- ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:159/1.

2- قائله ذو الرمة الشاعر نقلا عن تاج العروس: 439/6.

يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ..﴾[1]

وقد كان تخير الفعل (عسعس) لبيان قدرة الله وإشعارا للإنسان بعظمة ما من شأنه أن يقسم الحق تبارك وتعالى لأجله، فالفعل (عسعس) في معناه كما خرجه أهل اللغة: «أقبل وأدبر أو أضاء وأظلم، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه، فالعسعسة والعسعاس رقه الظلام وذلك في طرفي الليل.» [2]، وذكر الخليل أن أصله من العس والعسس، فقولهم عسعس الليل أي: أقبل بظلامه أو أدبر به [3] وزاد عليه الراغب الأصفهاني معنى: « رقه الظلام ، وذلك في طرفي الليل.»[4]

والفعل من الأضداد يحمل المعنيين معا، نقل القرطبي عن المبرد قوله:«هو من الأضداد، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، قال علقمة بن قرط:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا[4]

ويقال العسعسة للسحابة إذا دانت من الأرض ليلا في ظلمة وبرق، وقيل العسس بالسحر، فالعساس للذئب إذا استناح الذئاب، أي عوى متواصلا معها وطلب الصيد

1- القصص الآيتان: 72/71.

2- ينظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، 444/7، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 1995، تحقيق مكتب البحوث والدراسات.

3- يراجع العين: 47/1.

4- المفردات: 1/ 337.

4- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي :238/19 .

وتقال للسلطان إذا طاف بالليل لتفقد الرعية كما كان يفعل الخليفة عمر بن الخطاب في رعيته، إلا أن دلالته في القرآن الكريم جاءت بمعنى الدنو والاقتراب [5]؛ فالرازي يقول في مفاتيح الغيب[6]: «المراد ههنا أقبل الليل لأن هذا التقدير يؤكد أن القسم واقعا بإقبال الليل وبإدباره أيضا، ومنهم من أوقف مراده على الإدبار، أي امتد ضوؤه وتكامل إشارة على طلوع الصبح فلا يكون فيه تكرار.»، لكن الحافظ ابن كثير يرى عسعس للإقبال أنسب «كأنه تعالى أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضيائه إذا أشرق.»[1]

ونقل الحافظ القرطبي قولا للماوردي يفهم منه مجيء «عسعس» بمعنى الامتلاء: «أصل العس الامتلاء ،ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه ،فأطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه،وأطلق على إدباره لانتهاء امتلائه على ظلامه لاستكماله به.»[2]

والمستفاد أن عسعسة الليل إنما هي في حقيقتها صورة لتحول الإنسان من حال إلى حال أخرى، وفي ذلك إشارة إلى تقلبه الأخير من ضيق الدنيا وظلمتها إلى سعة الآخرة،ونور ربها.

واعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية اللفظ من التنازع الحامل للأمرين وضرب مثلا بلفظة (قسورة) في القرآن الذي يراد به الرامي كما يراد به الأسد، واهتدى رحمه الله إلى أن اللفظ

5- ينظر: تهذيب اللغة 78/1.

6- ينظر مفاتيح الغيب للرازي 66/31-67.

1- ينظر تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء الدمشقي :480/4، دار الفكر بيروت 1980م.

2- الجامع لأحكام القرآن: 239/19.

في سياق الآية «...يراد به كل المعاني التي قيلت كون الآية نزلت مرتين، فأريد بها هذا تارة وهذا تارة، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنيان.»[3]

وهو ما يوحى بجميل النظم القرآني القائم على التوازن الفريد في التقابل والتجانس والاشتراك اللفظي حتى رسم في السامع صورة عظمة الليل والنهار اللذين أقسم بها الخالق جل جلاله، فعسعس في فهم صاحب الظلال: «يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى وهو إيحاء عجيب للتعبير الرائع.»[1]

والمستفاد أن انتشار الظلام وإقباله ثم انسلاخ ضوء الصبح بنفس الحياة المتجددة انسيابه ومدى الانشراح الذي يصنعه في النفوس لحري أن يستعظم في النفس الإنسانية وما القسم الرباني إلا نفحة من تعظيم الخالق لخلقه ودعوتهم إلى الاعتبار والإيمان والتصديق .

6- الرباعي (دمدم) كدلالة على الرجف والخسف:

وردت الصيغة الفعلية الرباعية (دمدم) مرة واحدة في القرآن، في سورة الشمس الآية (14) في قوله تعالى: ﴿.. **فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا**... ﴾ وذلك في سياق بيان ما حل بثمود قوم صالح من العذاب المدمر جراء تجرئهم على الله والإقدام على عقر ناقة الله، التي أوصاهم بها خيرا، وكانت علامة طاعة بينهم وبين خالقهم وأن مدى

3- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس: 340/13، ط2، مكتبة ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

1- في ظلال القرآن: 3841/6-3842.

الطاعة ألا يمسوها بسوء كما قص القرآن، غير أنهم لم يرقبوا قول الله لهم وأقدم أشقاهم [2] على عقر الناقة،فكان أن غضب عليهم ربهم فسوى بهم الأرض وجعل مساكنهم قبورا لهم .

والدمدمة هلاك مطبق: "يدل على غشيان الشيء"[1] يقال دمدمت الشيء إذا ألزقته بالأرض وطحنته وفي اللسان: "دمهم يدمهم دما: طحنهم فأهلكهم" [2]؛ واللفظ يصور عذابا شديدا فيه إلصاق بالأرض وهو معنى الطحن ، و هو ما يلفت إلى أن العذاب وقع على قوم صالح من الأعلى فأحاط بهم فلم يفلت منه أحد، ونجد هذه الإحاطة في لسان العرب ما مفاده أن الدمدمة تعنى الناقة المدمومة إذا ألبسها الشحم.[3]

وعلى هذا جاء تخير (دمدم) لدلالة على أن الله أرجف بهم الأرض فسواها عليهم وظاهر اللفظ يدل على أن أمرا جاء من السماء، فقضى عليهم بأن طحطحهم وألصقهم بها وعلى دلك ذهب مقاتل بن سليمان البلخي صاحب التفسير إلى أنه دوي، أو صرخة فيها شدة مصحوبة بغضب؛ فكان البطش موسوما بالجبروت قال مقاتل :« وجبريل عليه السلام الذي كان دمدم لأنه صرخ صرخة فأوقع بيوتهم عليهم فسواها.... فسوى البيوت

2- أشقى ثمود هو واحد منهم أقدم على عقر الناقة.تراجع البداية والنهاية لابن كثير .

1- مقاييس اللغة لابن فارس ص: 330.

2- ينظر لسان العرب مادة (دمم) ،209/12.

3- المصدر نفسه: 208/12-209.

على قبورهم لأنهم لما استيقنوا بالهلكة عمدوا فحفروا قبورا في منازلهم.»[4] ونقول ظاهر أمر الله في العصاة أنه مباغت، ولا يستيقن إلا بعد فوات والله أعلم .

وقد أيد القرطبي معنى الاطباق فقال:"دممت الشيء أطبقته، ودمم عليه القبر أطبقه فإذا كررت الاطباق: قلت: دمدمت" [1] **والقرطبي** ها هنا يرى توالي العذاب الواقع في أصوات ودمار ورأى ابن الأنباري أن لـ: (دمدم) معنيان :أولهما الغضب فإذا تكلم وهو غضب فهي الدمدمة، والمعنى الثاني : إذا تكلم بكلام أزعجه وحرك قلبه.[2]

وجمهور المفسرين وأهل اللغة يوقفونها على معنى إرجاف الأرض وتحريكها إلى حد الإطباق، فالمشهد مروع مخيف « وقد سوى الله أرضهم عاليها سافلها وهو المشهد الذي يرسم بعد الدمار العنيف الشديد.»[3]، فيكون جراء ذلك الدمار عذاب مضاعف محيط لا يبقي ولا يذر يقول الشوكاني في فتح القدير في تفسير لفظة دمدم في سورة الشمس: «..أي: أهلكهم ،وأطبق عليهم العذاب، وحقيقة الدمدمة: تضعيف العذاب والدمدمة: إهلاك باستئصال، وقال ابن الأعرابي: دمدم إذا عذب عذابا تاما.»[4]

4- تفسير مقاتل بن سليمان بن بشير أبو الحسن الأزدي: 471/3 ، ط1 ،1424هـ - 2003م ، دار الكتب العلمية لبنان/بيروت تحقيق: أحمد فريد.

1- الجامع لأحكام القرآن القرطبي: 79/20، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب القاهرة ط 2،1952م.

2- الزاهر في معاني كلمات الناس ص: 142 ابن الأنباري ، تعليق د. يحي مراد، الكتب العلمية ط1، بيروت 2004.

3- في ظلال القرآن، سيد قطب، 3919/6، دار الشروق الطبعة الشرعية، مصر ، ط2004/24.

4- فتح القدير، للشوكاني.ص 598/5.

ولنا أن نقول: هل كانت صيحة السماء المدمرة من جنس الناقة على الأرض لاسيما وأن الناقة ناقة الله؟

7-الصيغة الرباعية (كبكب) كدلالة على الرمي على الرؤوس في الهوة :

لم يرد الفعل الرباعي (كبكب) إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، مبنيا للمجهول ومتصلا بضمير مسند إليه ، وذلك في قوله تعالى في الآية: (94-95) من سورة الشعراء ﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ** ﴾، وجاءت الآية في سياق الحديث عن حال المشركين يوم القيامة ومصيرهم المحتوم إلى النار جزاء إشراكهم بالله وإعراضهم عن دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام والمشهد في الآية خاتمة لمشاهد أخرى سابقة تقص حال هؤلاء الأشقياء، إذ تصف ندمهم على ضلالهم وإعراضهم عن الحق،ويسجل الله عليهم تلك الأمنية التي يتمنونها في أن يعيدهم كرة أخرى إلى الدنيا فيحسنون صنعا .

وقد جاء تخير لفظ (كبكبوا) دقيقا في تصوير النهاية التي آل إليها هؤلاء الجهنميون وهي أنهم: "ألقوا على رؤوسهم في جهنم ورمى ببعضهم في الجحيم على بعض منكبين على وجوههم وذلك في قولك : كببت الإناء إذا قلبته .[1]

1- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، أبو جعفر ،88/19، دار الفكر بيروت، 1983م.

وأصل (الكبكبة) في اللغة.»: الرمي في الهو ة[1]، « وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب، كأنه إذا ألقى" ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها يستجير بالله منها.»[2]

واللفظ حمل معنى السقوط الذي يترك أثرا في السامع من شدة الانكباب في قعر جهنم «إذ يحدث جرسها صوت الحركة التي تتم بها ويصورها للسامع أدق تصوير» [3] وقد قال أهل اللغة في كبكب معان عدة كالتحور عن الموقع والتدهور وحملوه على المجاز فقال: "أكب الرجل على عمله إذا لازمه ولم يفارقه " [4]، ومثلوه للفارس: « يكب الوحش إذا طعنها فألقاها على وجهها، والكباب ما تجمع من الرمال وتليد.»[5]

وقد أجاد البغوي في تفسيره الماتع معالم التنزيل حين جمع أقوال السلف من أعلام الأمة في مفهوم الكبكبة مما قرب الصورة في الأذهان بكيفية واضحة حيث قال في معنى كبكبوا:« قال ابن عباس: جمعوا، وقال مجاهد: دُهورُوا، وقال مقاتل: قذفوا، وقال القتيبي: ألقوا على رؤوسهم.»[6]

1- لسان العرب مادة (كبب) ،697/1.

2- ينظر: إعراب القرآن ومعانيه للزجاج ،94/4.

3- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي عند العرب ص:169.

4- أساس البلاغة ص: 532.

5- المصدر نفسه ص: 532.

6- ينظر معالم التنزيل:119/6.

وهو ما يفيد تكدس أهل النار فوق بعضهم البعض وهو ما عبر عنه المولى تبارك وتعالى بقوله: ﴿...**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**...﴾[1]

وقد صرف المفسرون ما حواه الفعل من معان لتفسير الآية وقالوا (كبكبوا) يعود الضمير فيها للأصنام ؛ والغاوون هم المشركون الذين اتخذوهم آلهة وشفعاء وقيل: "الضمير للمشركين والغاوون للشياطين."[2]، وقال الحافظ ابن كثير[ت: 774هـ] في الذين كبكبوا:«.. الكفار وقادتهم الذين دعوهم للشرك».[3]

والظاهر أنهم جماعات غفيرة تهوى إلى قعر جهنم محدثة جلبة كما ، صورها سيد قطب في المشاهد: "ينهار الجرف فتبعه الجروف"[4]، من الدبدبة الناشئة عن الكبكبة.

والفائدة المستحصلة أن اللفظ بيان لطريقة زج الله لأهل النار في جهنم ، التي تكون رميا في درك أسفل وعلى الوجوه جزاء نكالا من رب الجنة والنار.

8- الصيغة الرباعية :(وسوس) كدلالة على حديث النفس:

تكررت الصيغة المضاعفة (وسوس) خمس مرات في القرآن الكريم ، فجاءت بصيغة الاسم (وسواس) في قوله تعالى في سورة الناس الآية(04)،﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ،مَلِكِ**

1- ق :الآية :30.

2- تفسير القرآن العظيم،150/6،أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ،تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط2،1420هت،1999،العربية السعودية.

3- التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن محمد الغرناطي الكلبي، 87/3 ،ط4، 1983، دار الكتاب العربي – لبنان.

4- مشاهد القيامة في القرآن ص: 133،134.

النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ .﴾ وجاءت الصيغ الأربعة الأخرى أفعالا اثنتين منهما وردتا بصيغة الماضي، وذلك في قوله تعالى في سورة طه الآية (120): **﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى....﴾**

وفي قوله في سورة الأعراف الآية (21) : **﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَو تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ.﴾**

أما الصيغتان الأخريان الواردتان بصيغة المضارع ، فهما قوله تعالى في سورة ق الآية (16): **﴿... وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾** وقوله في سورة الناس الآية (5-6) : **﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ،مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.﴾**

وبالوقوف عند صيغة (الوسواس) في الآيتين نجد الله عالم الغيب والشهادة، يؤكد أن النفس تطبعت على حديث النفس؛ الذي يلقيه إليها الشيطان، ويمليه لصرفها إلى الآثام والشرور؛ويؤكد المولى عز وجل أن تلك النفس مجبولة على هذا الحديث الخفي على الناس ولأنه حديث مستبطن فهو عند الله معلوم؛ لأن الله يؤكد أنه أقرب إلى النفس الموسوسة من حبل الوريد، فيعلم خلجاتها وأماراتها؛ ومن البيان أن قرب الله من النفس جاء في مقام العلم بما يدور في النفس لا قربا مكانيا تجسيميا.

وهو ما ينسجم مع صحة العقيدة في ذات الله والوسوسة والوسواس كما قال أهل اللغة كل كلام خفي يخطر في النفس وعلى خلط فيه جاء في مقاييس اللغة:« كل ما كان من كلام غير مسموع، مختلط فهو الخطرة الرديئة في النفس»[1]، هذه الخطرة الرديئة عبر عنها القرآن في مواضع عدة منها انتقاء قوله في واحد من ابني آدم: ﴿..**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ.**﴾[2]، أو في مسألة إغراء آدم بالشجرة : ﴿..**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَو تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ..**﴾[3]

هذه المطاوعة وذلكم الإغراء ما هما إلا من حبائل الشيطان يرمي بهما النفس الإنسانية الضعيفة، فالوسوسة: «ما يلقيه الشيطان في القلب.»[4]، وقال أهل اللغة إن أصل الوسوسة صوت الريح إذا هزت قصبا ومنه أطلق على الحلي في جيد المرأة أو أطرافها وفي ذلك قال أعشى همذان في صوت الحلي حال انصراف المرأة :[5]

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل غير أن طبيعة الصوت الشبيه بالهيمنة التي يعسر على السامع تمييزها صرفت إلى النفس لتستحيل خاطرا تعتلجه النفس.

1- ينظر: مقاييس اللغة ص: 1040.
2- سورة المائدة، الآية:30.
3- سورة الأعراف ، الآية:21.
4- ينظر البحر المحيط :278/4.
5- ديوان الأعشى: 48/1.

وألصقت بإبليس ولازمته نمطيا في الوعي الديني والمعرفي، «الوسواس اسم للشيطان.»[1]، إذ مرتعه النفس ينسل إليها في خفاء للإيقاع ببني آدم وإغوائهم وصدهم عن سبيل الله القويم وقد أكد إبليس هذه ذاته الحقيقية بقوله : ﴿..**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**...﴾[2]، ومن مأثورات التفاسير ما أورده القرطبي في كيفية اتصال إبليس بآدم بغرض الإغراء والوسوسة،والذي يفهم منه أن الإغواء حصل مشافهة أو أن إبليس أوتي هيمنة أو سلطة على آدم يقول القرطبي:«قوله تعالى: فوسوس لهما الشيطان، أي: إليهما،قيل: داخل الجنة، بإدخال الحية إياه، وقيل: من خارج: بالسلطة التي جعلت له..»[3]

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الشيطان: « يجري من ابن آدم مجرى الدم»[4]، ومن ثم كان تنبيه الله تعالى للإنسان في قوله "﴿.. **ونعلم ما توَسوس به نفسه**...﴾ بأنه : «ما يختلج في سرى قلبه وضميره، وفي هذا زجر عن المعاصي التي يستخفى بها.»[5]

1- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، مادة (وسوس) ، ج335/7.

2- سورة «ص»، الآية:82.

3- يراجع: الجامع لأحكام القرآن:177/7

4- صحيح البخاري ، 717/2.

5- الجامع لأحكام القرآن ،8/17

واستعمال الصيغة الرباعية (توسوس) في المضارع دليل على الاستمرار والملازمة وأن: «علم الله بالوسوسة متجدد، غير منتقض ولا محدد لإثبات عموم علم الله تعالى.» [1]، وقد اعتبر السجستاني[2]، أن ما يلقى في النفس من شر وسواسا، وما يلقى من خير إلهاما ومن الخوف إيجاسا،ومن الخير أملا ومن تقدير الأمر خاطرا .

والخلاصة أن لتخير لفظة (وسوس) أثر بديع وتدليل دقيق في بيان ذلك الصوت الخفي المختلط والملقى في النفس البشرية الأمارة بالسوء حتى تحيد عن الحادة التي رسمها لها خالقها وضبطها عليها لتكون في منعة من الزيغ والضلال.

9- الصيغة الرباعية غير المضعفة (بعثر) كدلالة على البعث :

يعتبر الفعل (بعثر) الصيغة الرباعية غير المضعفة الوحيدة الواردة في القرآن الكريم وذلك في سياق الآية:(09) من سورة العاديات بقوله تعالى: ﴿..**أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُور**...﴾، والموضع الثاني بقوله تعالى في سورة الانفطار الآية (04):﴿..**وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ**...﴾، ولم تتكرر الصيغة في غير هذين الموضعين من القرآن الكريم والآيتان وردتا في سياق تنبيه الغافل والضال بالآخرة التي إليها مآل الخلائق ، وهو يوم يُصدَّر بذلك الانقلاب الكوني وذلك الخروج من باطن الأرض ليوم الوقوف أمام الله، وقد ذهب أهل

1- أنوار التنزيل للبيضاوي، 226/5 .

2- ينظر: غريب القرآن ، أبوبكر محمد بن عزيز السجستاني ،483/1 .

اللغة في بيان معنى لفظة (بعثر) مذهبا واحدا اتفقوا فيه على أن بعثر تعنى فرق مجتمعا وفي اللسان في مادة (ب ع ث ر) جاء:« بعثروه يبعثرونه بعثرة : أي فرقوه..»[1]

والملفت في الفعلين المذكورين في الآيتين أن الفعل في سورة الانفطار تأخر عن النائب الذي صدرت به الآية تحت مسوغ الشرط (**إذا القبور بعثرت**) في باب التقديم والتأخير ليدل على قلب الأرض وجعل عاليها سافلها، قال الرازي في مفاتيح الغيب[2] «هي إشارة إلى قلب الأرض ظهرا لبطن وبطنا لظهر.»

أما (بعثر) في سورة العاديات فتصدر الآية، وجاء نائب الفاعل فيه اسما موصولا للعاقل وغير العاقل (بعثر ما في القبور)، وهو ما فهم من الرازي أن القبور تبعثر لتخرج ما فيها من أموات أحياء للوقفة العظمى[3]؛ وعلى ذلك حمل المعنى اسم (ما) على غير للعاقل فرأى أن القبور تلفظ قبل خروج الموتى أحياء أفلاذها من ذهب وفضة، كشرط من أشراط الساعة، وهو ما يفهم من كلامه أن بعثرة القبور جزء من الانهيار العام للكون الذي يبدأ بالسماء وكواكبها ثم ينتهي بالأرض وبواطنها، وإنما اللفظ سيق لمقام التخويف،ولو أن جملة (ما في القبور) إعجازية في نقلها إذا علمنا أن ما تحت الأرض أموات جميعهم إنما أرواحهم وعقولهم ترجع إليهم مع البعث.

1- ينظر: اللسان/ مادة (بعثر)،72/4.

2- يراجع مفاتيح الغيب ،71/31.

3- يراجع مفاتيح الغيب ،ص: 71.

إذا كان صاحبا تفسير الجلالين متفقين مع جمهور المفسرين في أن المعنى العام للآية ودلالة لفظ «بُعثر» ينصرفان لحدث أخروي :«إذا القبور بعثرت، قلب ترابها وبعث موتاها وجواب إذا وما جواب عليها»[1]

فإن الشوكاني ينصرف بالسورة نفسها إلى حدث دنيوي ممهد للآخرة على قول الفراء: «..قال الفراء(بعثرت) أخرج ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك من أشراط الساعة، أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها.» [2]، وقد قرئ اللفظ مبدلا عن (بعثر) بلفظ (بحثر)،وقال أهل اللغة كالزجاج بعثر الشيء كالزجاج بعثر الشيء،وبحثره إذا استخرجه فكشفه وبعثره آثار ما فيه.[3]

والمعنى ينسجم مع قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ.** ﴾[4] وكأن بعثرة التراب جعل الخروج سلسا أشبه بخروج رقاق النبتات؛ ولم نجد في خاتمة الحديث عن معنى بعثرة القبور خيرا من وصف المصطفى صلى الله عليه وسلم لهذا المشهد الأخروي الذي نعته بالمسر كونه يحقق وعدا ربانيا وحجة على الخلق في وجوب إقام الدين على ركائزه الثلاث [التوحيد والنبوة والمعاد]

1- يراجع تفسير الجلالين لسورة الانفطار .

2- يراجع: فتح القدير في تفسير سورة الانفطار ،ص 5/ 525 .

3- ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ،231/3.

4- يس: 51.

قال عليه السلام:« من سره أن ينظر إلى يوم قيامة كأنه رأي عين،فليقرأ:« إذا الشمس كورت»، و« إذا السماء انفطرت»، و« إذا السماء انشقت.»[1]

خلاصة وفوائد :

ومما سبق نصل إلى جملة فوائد مستخلصة من معاني الأفعال الرباعية ودلالتها في سياق القرآن نجملها على النحو التالي :

أ- إن الأفعال الرباعية الثمانية الواردة في السياق القرآني طرحت قضايا وجودية محضة،تتعلق بمصائر العباد في مسألتي الموت والحياة .

ب- هذه الأفعال الرباعية في علاقتها بالسياق العام للآيات الواردة فيها تخيرت ككلمات مفتاحية، بها تعرف المعاني وتخبر الدلالات وتقبض المقاصد .

ج- أن بعضها يشير إلى علاقة بالعوالم العلوية وعوالم أرضية، وأخرى سفليةكما هو الحال مع الألفاظ (دمدم، زلزل، زحزح، بعثر، كبكب)، وجاءت في مواقف التخويف من مصائر مهلكة وحتوف متربصة.

د- أن (حصحص وعسعس) دلت على بواطن النفس وخفاياها، وأنها تكشف عن طبيعة النفس البشرية ، وما فيها من نوازع وآثام .

1- يراجع التفسير الكبير،ص:235/11.

هـ- وأن الفعل الرباعي عسعس دل على عظمة التصميم الإلهي للكون الذي وجب على الإنسان الوقوف على ظاهرة التعاقب بين الليل والنهار بالتدبر، لاستشعار عظمة الله والانقياد له في حركته وسكونه وتقلبه .

خاتمة

وفي خاتمة البحث توصلت إلى النتائج التالية :

1. إن ثمة خلافا في مسألة تأصيل الفعل الرباعي، بشقيه المجرد والمضاعف، لاسيما بين لغويي البصرة ونظرائهم من علماء الكوفة، فالبصريون يرون بأن الرباعي صيغة مستقلة قائمة بذاتها وليس مأخوذا من الأفعال الثلاثية؛ وأن تشابه الحروف بينها وبين الثلاثي،لا يقدم دليلا على أن الثلاثي أصل اشتقت منه الأفعال الرباعية.

2. يرى الكوفيون أن كل ما زاد عن ثلاثة أحرف فهو ثلاثي مزيد فيه بحرف، بفعل التطور الطبيعي للغة، والحاجة إلى استجلاب المعاني الجديدة، متأثرين بالنواحي اللفظية والاشتراك في الحروف، دون اعتبار الفروق الدلالية بين الصيغتين.

3. قالت المدرسة الكوفية ، بالأصل الثلاثي للرباعي، غير أن أقطابها اختلفوا في تحديد موضع الحرف الزائد في الصيغة الرباعية.

4. اتفق علماء الصرف على أن للرباعي . بصيغتيه . المجردة والمضاعفة، بناء واحد هو«فَعلَلَ»، وأن صيغها هي الأكثر تعددا بسبب تجاوزها في عدد الصوامت وتميزها بمتتالية حركية خاصة، رغم كونها الأقل حجما والأقل أصواتا، مقارنة بصيغ الثلاثي الأغنى أوزانا.

5. إن لصيغة الرباعي المجرد تحديدا صيغا ملحقة، عددها ستة هي:[فعنل،فعلى،فعيل،فيعل فعول،فوعل] ، لا تلزم وزنا واحدا ،ويتعدد فيها الحرف الزائد موقعيا، وتخضع للمغايرة في بنائها للمعلوم وفي بنائها للمجهول.

6. يتشكل الفعل الرباعي المضاعف من صامتين مكررين وأن أصله ثلاثي يلزم وزنا واحدا،وأن جذور اشتقاقه تعود إلى أصل ثنائي، أو ثلاثي، أو اسمي، أو تكون من مزية النحت التي يترخص فيها الصرف العربي، فيكون بذلك نتاجا منحوتا من جملة أومن كلمتين.

7. إنَّ كثرة المعاني استوجبت المباني، فعمدت اللغة إلى اجتلاب أحرف الزيادة فكان الرباعي أحد السمات المعبرة عن المعاني المتجددة والجديدة.

8. إن العدول من صيغة رباعية إلى صيغة ثلاثية يستوجب ترجيعا صوتيا في الفعل على مرتين لتدليل على قوة معنى اللفظ[زلزل، وسوس، عسعس، دمدم، كبكب حصحص،زحزح]، من ثم اتخذت اللغة القرآنية من رنين الرباعي وصوته المكرر وسيلة بلاغية لتبيين المشهد وتصوير الموقف وتجسيمهما.

9. إن صيغة [بعثر]حظيت بالإبدال في صامتها الثاني بمقتضى المخرج الواحد والاحتكاك والمجاورة والحروف البديلة هي:[العين ،الحاء ،والغين]،فكان نتاج ذلك الاحتكاك أن جاءت الصيغة بقراءة مختلفة هي:[بعثر ، بحثر، بغثر]

10. خضعت صيغة:[بعثر]في القراءات المتواترة والشاذة للإبدال في صوامتها وحركاتها واعتراها الحذف في بعض صوامتها كما هو الشأن في قراءة ابن مسعود:[بعثر ، بعث]

11. بينت المرصوفة الصوتية للصيغة الرباعية تلشجا وانسجاما، تم بفضله تصويت الفعل بما يوافق صفات الحروف في شدتها ورخاوتها وجهورها وهمسها واستعلائها واستفالها ... هذا الانسجام والتخير سمح للصيغة الرباعية داخل سياقاتها القرآنية من أداء المعنى على الوجه الأكمل ،بما يوافق دلالاتها الحقيقية في ما يسمى بالمرسلة.

12. أما المستوى النحوي للرباعي بصيغتيه، فكان وظيفيا صرفا في داخل السياق الواردة فيه من خلال دلالة كل من الفعل الرباعي المبني للمجهول، وسر حذف الفاعل واحتجابه في البنى العميقة للسياق، إضافة إلى ذلك حركة أزمنة الأفعال الرباعية في كل من الماضي والمضارع، وانصرافها إلى غير معانيها الحقيقية، ثم اثر كل ذلك على أسلوب الآيات في تصوير المشاهد؛ لاسيما الغيبية والإخفائية منها.

13. و عرفنا أيضا أن البناء للمجهول يشكل ظاهرة، يتفرد بها الأسلوب القرآني حيث جاء بناء الأفعال للمجهول لحجب الفاعل، وفق ما يروم إليه السياق، وعرفنا إفادة العموم تعني فاعلا هو الله، أو أحد مخلوقاته كالملائكة الموكلين بتنفيذ أمره، أو بشرا من خلقه كانوا بمثابة الأداة لنفاذ مشيئته مثلما تقتضي حكمته سبحانه، ولذلك كان البناء للمجهول وحذف الفاعل بعده لغرض الإيثار أو التجهيل أو التحقير أو التهويل والتعدد..

14. وتبين لنا أن الأسلوب النحوي الذي وردت فيه هذه الصيغ الرباعية دل على الحدث الغيبي،إذا ما صدر بشرط أو ظرف... ودل في الحالة نفسها على مشاهد خفية إذا ما ورد في أسلوب قسم أو وصل.وبان بكيفية إعجازية أن ماضي الرباعي إما منقطع في وضعه

الزمني الحقيقي بانقطاع الحدث المروي في السياق؛ أو أنه متحول عن وضعه لإفادة الحاضر والمستقبل والدلالة عليه. وبان لنا أن الصيغ الرباعية الواردة في زمن المضارع عبرت عن الزمن الدائم، وهي حركتها النحوية في الماضي والحاضر والمستقبل.

15. توصلنا إلى أن مقاربة ألفاظ الصيغ الرباعية بالمعنى بينت أن لها دلالات لصيقة بالحدث المعبر عنه في الآيات القرآنية،وأن الأفعال الثمانية كانت مفتاحية في صرف السياق العام للآيات إلى مقاصدها الخاصة كمرسلة خطابية، فالفعلان الرباعيان:[زلزل وزلزلوا]،دل الأول على انقلاب كوني في حين أن صيغة:[زلزلوا] جاءت في سياق الفزع والترويع،أما الرباعي:[بعثر] فتُخُيِّر لمعنى البعث والإخراج من الأجداث أما:[زحزح]،فسيق لبيان الإبعاد عن النار والنجاة منها،و[دمدم] لدلالة جعل أسفل الأرض عاليها من غضبة إلهية،و[حصحص]لإظهار الحق بعد صولة الباطل وجاء:[عسعس] آية فلكية من آيات الله، وبيان قدرته؛ أما:[وسوس] فدلل على صفة متجذرة في النفس البشرية.
وكانت:[كبكبوا] في مقام تجسيم مشهد إلقاء الكفار في هوة النار.

16. ووجدنا أن هذه الأفعال الرباعية بهذه التركيبة المتفردة في الواقع اللغوي الراهن توظف للتعبير عن معان ودلالات كثيرة،معظمها مرتبط بمجالات العلوم والاكتشافات مثل التعبير عن المخترعات الحديثة: برمج وتلفن ،أو التعبير عن تفاعلات كيماوية مثل أكسد إذا فاعلها مع الأكسجين، أو التعبير عن تفاعل ثقافي أو أيديولوجي،كقولهم : تفرنس أو تصهين إذا اعتنق التوجه الإسرائيلي.

17. إنّ الأفعال الرباعية ذخيرة لغوية معتبرة ،تستفيد منها المجامع اللغوية العربية، في وضع المصطلحات المستحدثة للتعبير عن الكشوفات الحديثة؛ والإنجازات العلمية المعاصرة اليوم وغدا.

فهرس الآيــات

فهرس الآيات

السورة	رقمها	نص الآية
البقرة	108	﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ... ﴾
	48	﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾
	166	﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾
	71	﴿قَالُوا الْآَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾
	185	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
	259	﴿ أَوكَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...﴾
	259	﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ...﴾
	114	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

	96	﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْيُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوبِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾
آل عمران	185	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾
	155	﴿اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾
المائدة	30	﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
الأعراف	22-12	﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوتَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾.
		﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوتَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. ﴾
		﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾

	04	﴿...فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوهُم قَائِلُونَ ﴾
التوبة	86	﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ... ﴾
يونس	90	﴿ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُوإِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
الإسراء	08	﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾
	51	﴿ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
طه	117	﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾
	120	﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ...﴾
الأنبياء	87	﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾
	195	﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾
	92-93-94	« وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَويَنْتَصِرُونَ (93) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ .»

يوسف		﴿...قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾
الحج	01	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾
	11-10-9	«فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا»
الشعراء	94	﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ، وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾
النمل	88	﴿...صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْ
	30	﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ عَلُونَ﴾
الأحزاب	37	﴿ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾
		﴿...فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾

يس	51	﴿ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾
ص	82	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. ﴾
غافر	09	﴿...فَقَدْ رَحِمْتَهُ ...﴾
فصلت	35	﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُوحَظٍّ عَظِيمٍ ﴾
الصف	06	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾
المنافقون	01	«إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ»
التكوير	19	« رَسُولٍ كَرِيمٍ »
الحجرات	18-12	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ...﴾
ق	35-16	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

القصص	71-77	﴿ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ
غافر	60	« وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...»
التكوير	19	« رَسُولٍ كَرِيمٍ » ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾
الانفطار	04	﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾
الشمس	14	﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴾
الليل	17-18	« وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

الزلزلة	01	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾
العاديات	09	﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾
التكاثر	01	﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾
الناس	04	﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾
	05	﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

– **القرآن الكريم برواية حفص** .

–أ–

1– **ابن الأثير(ضياء الدين)**،**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق : د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مكتبة النهضة، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 1959م.

2– **أحمد بن حنبل، المسند** : تحقيق :حمزة أحمد الزين،ط 1، دار الحديث،القاهرة،1995م.

3– **أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2004م.

4– **الأخفش ، معاني القرآن** ، تحقيق محمد أمين الورد عالم الكتب،الطبعة الأولى،بيروت،1985م.

5– **الأعشى الكبير، الديوان** تحقيق الدكتور محمد حسين، القاهرة، مصر، دون تاريخ.

6– **الأنباري** (**أبو البركات** عبد الرحمن بن عبيد الله الأنصاري) ، **أسرار العربية**:تحقيق محمد بهجت البيطار ،مطبعة الترقي، دمشق، سوريا.

7– **الأنباري**،(**أبو البركات** عبد الرحمن بن عبيد الله الأنصاري)،**الانصاف في مسائل الخلاف**،دار الفكر ،تحقيق محي الدين عبد الحميد،الطبعة الأولى،دمشق،سوريا،1961م.

8– **ابن الأنباري**،(أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد)،**البيان في غريب القرآن**،تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ،الطبعة الرابعة ،دمشق، سوريا.

9- **ابن الأنباري**،(أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن أبي سعيد)، **الزاهر في معاني كلمات الناس** ، تعليق د. يحي مراد، الكتب العلمية الطبعة الأولى،بيروت،لبنان،2004م.

10- **أنيس** (إبراهيم)، **أسرار العربية** ، الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، 1958م.

11-**أنيس** (ابراهيم)،**الأصوات اللغوية** ، دار الطباعة الحديثة،الطبعة الخامسة،القاهرة،مصر،1979م.

12- **أنيس** (إبراهيم)، **دلالة الألفاظ** ، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة السادسة،القاهرة،مصر،1986م.

13- **الأزدي** (مقاتل بن سليمان بن بشير أبو الحسن بالولاء البلخي)،صاحب **التفسير**،تحقيق: أحمد فريد ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ،الطبعة الأولى،1424هـ -2003م.

14- **الأزهري** (**خالد أبي منصور محمد بن أحمد**): **تهذيب اللغة** ،تحقيق عبد السلام هارون،ومراجعة محمد علي النجار، دار العومة العربية، القاهرة 1954م.

15- **الأزهري** (**خالد أبي منصور محمد بن أحمد**) : **تهذيب اللغة** ،تحقيق عبد الله درويش،مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة(د.ت).

16- **الأزهري** (خالد)، **شرح التصريح على التوضيح**،دار إحياء الكتب العربية،عيسى الباجي وشركاه .

17- **الألوسي** (محمود أبو الفضل)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

-ب-

18- **باشا ابن كمال** (شمس الدين أحمد بن سليمان)، **أسرار النحو** ،تحقيق أحمد حسن حامد،دار الفكر، الطبعة الثانية، 2002م.

19- **البخاري** (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي)، **صحيح البخاري** تحقيق مصطفى ديب،الطبعة الثالثة، دار ابن كثير اليمامة بيروت، لبنان،1987م.

20- **أبو البركات** (كمال الدين عبد الرحمان بن محمد)، الإنصاف في مسائل الخلاف،تحقيق : محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة الأولى،دمشق،مصر،1961م.

21- **البغوي** (أبو محمد الحسين بن مسعود)،**معالم التنزيل**، دار طيبة، دار السلام للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى، الرياض، السعودية، 1416هـ.

22- **البقاعي** (**برهان الدين** أبو الحسن إبراهيم)، **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت.

23- **بكري** (عبد الكريم)، **الزمن في القرآن: دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه**،الطبعة الثانية،دار الفجر للنشر التوزيع، مصر،1997 م.

24 - **بوخلخال** (عبد الله) ، **التعبير الزمني عند النحاة العرب منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها،الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1987م .

25-**بودومة** (عبد القادر)، **معاني الماضي المضارع في القرآن الكريم** ، مطبعة الأمانة،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1978 م.

26- **البيضاوي، أنوار التنزيل** ، تحقيق عبد القادر حسونة، دار الفكر،بيروت،1996م.

-ت-

27- **ابن تيمية** (أحمد عبد الحليم الحراني أبو العباس)، **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام بن تيمية**، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية.

-ج-

28- **الجاربردي** (أحمد بن الحسن الشيخ فخر الدين) و **ابن جماعة** ،**شرح الشافية**،دار الطباعة العامرة ، 1310هـ .

29- **ابن جنى** (ابو الفتح عثمان)، **الخصائص** ، تحقيق عبد الحكيم بن محمد،المكتبة التوفيقية،القاهرة، مصر.

30- **ابن جني** (ابو الفتح عثمان)، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية،الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، 1974م.

31- **ابن جني** (ابو الفتح عثمان) ، **سر صناعة الأعراب** ،دراسة وتحقيق حسن هنداوي،الطبعة الثانية، دار القلم ،دمشق، سوريا،1993م.

32- **ابن جني** (أبي الفتح عثمان)، **المحتسب: تبين وجوه شواذ القراءات**، تحقيق علي النجدي ناصيف وآخرين ،القاهرة، مصر،1386هـ.

33- **ابن جني** (ابو الفتح عثمان)، **المنصف** ،تحقيق: محمد علي النجار ،دار الكتب المصرية،الطبعة الثانية، القاهرة، مصر، 1974م.

34- **ابن الجوزي** (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد)،**التبصرة** ،دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان،1986م.

35- **الجوهري**، **الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، الطبعة الثانية ، 1982م.

-ح-

36- **حسان** (تمام)، **الأصول – دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب–** الهيئة المصرية للكتاب ،1982م.

37- **حسان** (تمام) ،**البيان في روائع القرآن** ،القاهرة، مصر، 1993م.

38- **حسان** (تمام) ،**اللغة معناها ومبناها**، لهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية،الجزء الرابع،1979م.

39- **حسان** (تمام)، **مناهج البحث في اللغة**، دار الثقافة ،الطبعة الأولى،بغداد،العراق،1979م.

40- **حسن** (عباس)، **النحو الوافي**، دار المعارف، القاهرة، مصر .

41- **الحلواني** (محمد خير)، **المفصل في تاريخ النحو العربي**، مؤسسة الرسالة ،الطبعة الأولى،بيروت، لبنان،1997 م.

42-**أبو حيان الأندلسي** (محمد بن يوسف)، **تفسير المحيط** ، دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،بيروت، لبنان،2001م.

43- **أبو حيان الأندلسي** (أثير الدين ابي عبد الله بن علي)، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق مصطفى أحمد النماس، الطبعة، المؤسسة السعودية ،مصر ، القاهرة 1989م.

-خ-

44-**ابن خالويه** (أبو عبد الله) ،**إعراب ثلاثين سورة** ،دار الكتب العلمية،الطبعة الثانية،بيروت،لبنان، 1979م.

45- **الخطابي**،**بيان الإعجاز**،تحقيق محمد خلف أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف،الطبعة الثانية، بيروت، لبنان،1967م.

46- **الخطيب** (عبد الكريم)، **إعجاز القرآن** ، الجزء الثاني، دار الفكر، الطبعة الأولى،القاهرة،مصر،1964م.

-د-

47- **الدرويش** (محي الدين) ، إعراب القرآن الكريم وبيانه . دارا اليمامة وابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة السابعة ، بيروت 1420هـ 1999م.

48 - **ابن درير** (محمد بن الحسن أبو بكر)، **جمهرة**، تحقيق رمزي منير بعليكي، الطبعة الاولى،دار العلم للملابس، بيروت، لبنان،1987م.

49- **الدومينيكي** (الأب مرمرج) ، **هل العربية منطقية؟** دار الحداثة،بيروت،لبنان،الطبعة الأول، 1947م.

- ر-

50- **الراغب الاصفهاني** ، (ابو القاسم الحسين ابن محمد)، **المفردات في غريب القرآن**،تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، دار نشر المعرفة، بيروت، لبنان، 502هـ.

51- **الرافعي** (مصطفى صادق) ،**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** ،دار الكتاب العربي،الطبعة الثالثة،بيروت،لبنان،2003م.

52- **رضي الدين الإستراباذي** (محمد بن الحسن) ، **شرح شافية ابن الحاجب** ،دار الطباعة العامرة، مطبعة حجازي، الطبعة الأولى، القاهرة ،مصر ،1358هـ/ 1939م.

53- **رضي الدين الإستراباذي** (محمد بن الحسن)، **شرح كافية ابن الحاجب** ، دار الكتب العلمية، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : إيميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى،بيروت،لبنان،1998م.

54- **رضي الدين الأستراباذي** (محمد بن الحسن)، **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: نور الحسن ومحمد الزفزاف، دار الفكر العربي،بيروت، لبنان، 1975م

55- **الرفاعي** (أحمد) ، **حاشية على شرح بحرق اليمني على لامية الأفعال** ، المطبعة الخيرية بمصر 1304هـ .

-ز-

56- **الزجاج** (أبي إسحاق إبراهيم بن السري)، **إعراب القرآن و معانيه**، تحقيق : عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1988م .

57- **الزركشي** (بدر الدين محمد بن عبد الله) ،**البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار التراث، القاهرة، مصر، 1997م.

58- **الزرقاني** (**محمد عبد العظيم**)،**مناهل العرفان**، تحقيق مكتب البحوث والدراسات،دار الفكر، بيروت (لبنان) ط1،1996.

59- **الزمخشري** (جار الله)، **أساس البلاغة** ، دار صادر، للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،1965م.

60- **الزمخشري** (أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي)، **الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، الطبعة الثالثة، دار الريان للتراث،القاهرة،مصر،1987م.

61- **الزمخشري** (أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي)، **الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ .

62- **أبو زهرة** (محمد)، **أصول الفقه الاسلامي**، دار الفكر العربي.

-س-

63- **السجستاني** (أبوبكر محمد بن عزيز)، **غريب القرآن** ، تحقيق محمد أديب جمران،دار قتيبة،1416هـ، 1995م.

64- **السرقسطي** (أبو عثمان سعيد بن محمد)، **كتاب الأفعال** ، تحقيق حسين محمد شرف،القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع العامرية ، مصر .

65- **السعدي** (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله) ،**تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان**،تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق،الطبعة الأولى،مؤسسة الرسالة،السعودية،1420هـ، 2000م.

66- **السعران** (محمود) ، **علم اللغة**، مقدمة للقارئ العربي، ،الطبعة الأولى ،دار الفكر العرب القاهرة، مصر،1997م.

67- **أبو السعود** ،**إرشاد العقل السليم** ، دار إحياء التراث ، الطبعة الرابعة،بيروت،لبنان،1994م.

68- **ابن السكيت** (أبي يوسف يعقوب بن اسحاق)، **إصلاح المنطق** ،دار المعارف ،تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون، الطبعة الثانية،مصر، 1375هـ . 1956م.

69- **ابن السكيت** (أبو يوسف لعقوب بن اسحاق)،**الأضداد**، تحقيق الدكتور محمد عودة سلامة،مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى،1998م.

70- **السيوطي**(جلال الدين)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة الثانية، دار التراث، القاهرة، مصر،1997.

71- **السيوطي** (جلال الدين) و **المحلي** (جلال الدين) ، **تفسير الجلالين** دار المعرفة للطباعة والتوزيع ، بيروت، لبنان .

72- **السيوطي** (عبد الرحمن بن أبي بكر)،**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق : مركز هجر للبحوث،دار هجر ، عدد الأجزاء 15، القاهرة ، مصر، 1424هـ . 2003م.

73- **السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمن)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988م.

74- **السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمن)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ، علق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم و آخرون ، دار التراث القاهرة ،الطبعة الثالثة ،بدون تاريخ.

75- **السيوطي** (جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر)،**همع الهوامع في جمع الجوامع**،تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية، القاهرة ،مصر.

76- **سيبويه** (أبي بشر عمر ابن عثمان بن قنبر) ، **الكتاب** ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ،الطبعة الثانية ،القاهرة،مصر،1977م.

77- **سيبويه** (عمرو بن بشر بن قمبر) ، **الكتاب** ، تحقيق ،عبد السلام هارون ،دار الجيل،الطبعة الاولى، بيروت ،لبنان ،1988 م .

78- **ابن سيدة** ،**المحكم**،دار الكتب بالعلمية ،تحقيق مصطفى السقاوة، حسين نصار،مطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الأولى ،1958م.

-ش-

79- **شاهين** (عبد الصبور)، **التطور اللغوي** ، مكتبة دار العلوم ،الطبعة الأولى،القاهرة،مصر،1985م.

80- **الشثري** (سعد بن ناصر) ،**شرح المختصر في أصول الفقه** ،لابن اللحام الجنكي،دار كنزر اشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،السعودية،1428هـ.

81- **الشنقيطي**(محمد الأمين)،**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ،تحقيق مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 1995م.

82- **الشنقيطي** (حسن بن زيد) ، **شرح لامية الأفعال لابن مالك** ، تحرير و تنسيق عبد الرؤوف علي ،دار إقرأ، الطبعة الثانية، ، 2002 م.

83- **الشوكاني** (محمد بن علي بن محمد) ، **فتح القدير**، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، حققه: د.عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء .

84- **شيخون** (محمود السيد)، **أسرار التكرار في لغة القرآن**، الطبعة الأولى، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، 1403هـ-1983م.

-ص-

85- **الصالح** (صبحي)، **دراسات في فقه اللغة** ، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية،بيروت،لبنان،1980م.

86- **الصالح** (صبحي)،**مباحث في علوم القرآن**، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين،الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1980م.

-ط-

87- **الطبري** (أبو جعفر محمد بن جرير)، **تفسير الطبري** :جامع البيان عن تأويل آيات القرآن،دار الفكر بيروت، لبنان، 1983م.

88- **الطبري** (أبو جعفر محمد بن جرير)، **تهذيب الآثار**، قرأه وخرج أحاديثه أبو فهر محمود شاكر، مطبعة المدني . بمصر .

-ع-

89- **ابن عاشور**(محمد الطاهر بن محمد التونسي)، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي،الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1420هـ - 2000م.

90- **عائشة** (عبد الرحمن)،**التعبير البياني للقرآن الكريم** ،دار المعارف ،الطبعة الثانية،القاهرة،مصر،1966 م.

91- **عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن** ، دار الفكر، الطبعة الأولى،القاهرة،مصر،1964م.

92- **ابن العجاج (رؤبة) مجموع أشعار العرب و هو مشتمل على ديوان رؤبة،وعلى أبيات منسوبة إليه**، اعتنى بتصحيحه و ترتيبه وليم بن الورد البرونسي، دار ابن قتيبة للنشر والتوزيع،الكويت 1996 .

93- **عكاوي** (إنعام) ، **معجم المفصل في علوم البلاغة** ،جمع وترتيب الدكتور إنعام عكاوي ضمن سلسلة الخزانة اللغوية ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ضمن سلسلة الخزانة اللغوية .

94- **العلايلي** (عبدالله)،**تهذيب المقدمة اللغوية**، بعناية الدكتور أحمد علي في منشورات دار النعمان في بيروت، طبعة 1968م .

95- **العلايلي**(عبدالله)، **مقدمة لدرس لغة العرب**، المطبعة العصرية، القاهرة، مصر،دون طبعة.

96- **علي حلمي موسى ،دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح**، جامعة الكويت 1973م.

-غ-

97- **الغرناطي** (محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي)، **التسهيل لعلوم التنزيل**،الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربي لبنان، 1983م.

98- **الغلاييني** (مصطفى)، **جامع الدروس العربية** ، المكتبة العصرية ،1999 م.

-ف-

99- **ابن فارس بن زكريا** (ابو الحسن أحمد)، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**،تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه، القاهرة،مصر،م.1977

100- **ابن فارس بن زكريا** (ابو الحسن أحمد)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر،القاهرة،مصر،1979م.

101- **الفخر الرازي** ، **التفسير الكبير** ،الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي،بيروت،لبنان،1997م.

102- **الفراهي** (حميد الدين عبد الحميد الأنصاري)، **دلائل النظام**، الدائرة الحميدية ومكتبتها،الهند، 1388هـ.

103- **فليش** (هنري)، **العربية الفصحى–نحو بناء لغوي جديد –**، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت، لبنان ،1983م.

104- **الفراهيدي** (الخليل بن أحمد)،**كتاب العين** ،تحقيق ابراهيم السمراني ومهدي المخرومي،دار مكتبة الهلال.

105- **الفيروز آبادي** ،**القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي،مؤسسة الرسالة للنشر والطبع والتوزيع، الطبعة السادسة، بيروت ، لبنان، 1998م.

–ق–

106– **قدوري** (غانم أحمد)، **الدراسة الصوتية عند علماء التجويد** الطبعة الأولى،مطبعة الخلود،بغداد، العراق، 1986م.

107- **القرطبي** (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين)،**تفسير القرطبي** ،**الجامع لأحكام القرآن** ،تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني ،دار الشعب،الطبعة الثانية، القاهرة ،مصر،سنة:1373هـ –1952م.

108- **القرطبي** ، **تفسير القرطبي** ،الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : سمير البخاري الناشر ،دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 423 هـ- 2003م.

109- **ابن القطاع** (أبو القاسم علي بن جعفر)، **كتاب الأفعال** ، الطبعة الأولى القاهرة،مصر،1983م.

110- **قطب** (سيد) ،**التصوير الفني في القرآن وفي ظلال القرآن**، دار الشروق،الطبعة الرابعة،القاهرة، مصر، 2004م.

111- **قطب** (سيد)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق ،المطبعة الشرعية، الطبعة الرابعة والعشرون، القاهرة، مصر،2004 م.

-ك-

112- **ابن كثير**(أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)، **البداية والنهاية**،مكتبة المعارف، دار الفكر ، بيروت، لبنان ،1980م.

113- **ابن كثير**(أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)، **تفسير القرآن العظيم**،تحقيق سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، العربية السعودية، 1420هـ 1999م.

114- **ابن كثير**(أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)، **تفسير القرآن العظيم**،دار الفكر بيروت 1980م.

115- **الكرماني** (أبي عبد الله، محمد بن أبي نصر)، **شواذ القراءات**، تحقيق: الدكتور شمران العجيلي، مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان .

-م-

116- **ابن مالك الأندلسي** (جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الحياني)، **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد** ،تحقيق محمد كامل بركات،دار الكتاب العربي،القاهرة،مصر،1967م.

117- **ابن مالك الأندلسي** (جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الحياني) **شرح التسهيل**،تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى،الجيزة، القاهرة، 1990م.

118- **المبرد** (أبو العباس، محمد بن يزيد)، **المقتضب** ، تحقيق محمد عبد الحق عضيمة،دارالتحرير،الجمهورية العربية المتحدة، عالم الكتب، بيروت لبنان،1386هـ.

119- **ابن مجاهد** ، **السبعة في القراءات** ،تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف،القاهرة،مصر،1972م.

120- **مكي** (بن أبي طالب)، **الرعاية** ،تحقيق: الدكتور فرحات أحمد حسن ،دار الكتب العربية.

121- **ابن منظور، لسان العرب**، دار صادر ، بيروت، الطبعة الأولى ، دون تاريخ.

122- **ابن منظور، لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1988م .

123- **منقي الهندي البرهان نوري** (علاء الدين علي بن حسام الدين)،**كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال**، تحقيق بكري الحياني وصفوة السفا، مؤسسة الرسالة، للنشر والتوزيع،الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان،1401هـ-1981م.

124- **الميداني** عبد الرحمن حبنكة ، **البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها** ، دار القلم دمشق، ط1، 1996م.

125 - **مهدي** (ماهر هلال) ،**جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1980م.

-ن-

126- **النحاس** (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل)، **إعراب القرآن**، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهيد، الطبعة الثانية، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1405هـ-1975م.

127- **نحلة** (محمد أحمد)، **دراسات قرآنية في جزء عم**، دار العلوم العربية الطبعة الأولى،بيروت،لبنان، 1989م.

128- **النيسابوري** (أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر)، **تفسير ابن المنذ** ، الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحقيق سعد بن محمد السع، دار النشر، دار المآثر، الطبعة الأولى،المدينة النبوية، السعودية، 1423 هـ - 2002 م.

-هـ-

129- **ابن هشام الانصاري** (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله): **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، الطبعة الحادية عشرة، 1963م.

130- **ابن هشام الانصاري** (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله) : **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق مازن المبارك وزميله، دار الفكر، الطبعة السادسة،بيروت، لبنان، 1985م.

131- **ابن هشام** (**أبو محمد بن عبد الملك بن أيوب**)، **السيرة النبوية**، علق عليها عمر عبد السلام تدمري، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990م.

-و-

132- **الوزير** (محمد رجب محمد)، **الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية مجلة علوم اللغة**،دار غريب، القاهرة، مصر، 1998م.

-ي-

133- **ابن يعيش** (موفق الدين يعيش بن علي)، **شرح المفصل**، عالم الكتب بيروت،لبنان.

المجلات و الدوريات :

134- **جعفر يايوش، الدرس الصوتي عند الخليل بين المعيارية والوصفية**، مجلة الآداب،جامعة، العدد:02، 19، قسنطينة، الجزائر، 1995م.

135- **مصطفى جواد، أثر التضعيف في تطور اللغة العربية والإبدال الذي غفل عنه علماء اللغة**، المجلة مجمع اللغة العربية، العدد:19، القاهرة، مصر، 1959 م.

رسائل جامعية:

136- **الدراسات الأكاديمية للغة العربية في الجزائر من 1962-2000م**،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة في اللغة العربية ، من إعداد الطالب **عبد القادر شاكر** ،سنة 2004،جامعة وهران.

فهرس الموضوعات

فهرس

مقدمة ... .

أ،ب، ج،د،هـ،و،ز

مدخل: **طبيعة الصيغة الافرادية العربية و خصوصياتها التركيبية و الصوتية والدلالية**.....2-22

الفصل الأول: أصل الفعل الرباعي المجرد والمضاعف و تركيبتهما الصوتية

أصل الفعل الرباعي المجرد وتركيبته الصوتية.....24

تأصيل الفعل الرباعي المجرد:.....26

أولا: الرباعي أصل قائم بذاته: 26

ثانيا: رباعي مطور عن أصل ثنائي أو ثلاثي أو اسمي:.....28

أ. مطور عن فعل ثلاثي:.....30

ب. مطور من مادة الاسم:.....32

ج. مطور عن مكرر ثنائي:.....33

د. منحوت من جملة:.....34

هـ. منحوت من كلمتين:.....34

التركيبة الصوتية للفعل الرباعي المجرد:.....35

أ- صوامت الرباعي المجرد:.....35

ب – أوزان ومعاني الصيغ الملحقة بالرباعي المجرد:.....38

ج . المستوى الوظيفي وصيغ المغايرة في الرباعي المجرد:.....41

1. صيغ المغايرة في الرباعي المجرد:.....41

2- وظائف الرباعي المجرد :.....43

د – أثر التحول الصوتي للصيغة الرباعية المزيدة بحرف واحد:.....47

أثر التحول الداخلي المحض للصيغة الرباعية المزيدة بحرفين:.....57

دلالة الصيغة الرباعية المزيدة ووظيفيتها:.....58

أصل الفعل الرباعي المضاعف وتركيبته الصوتية:.....61

تأصيل الفعل الرباعي المضاعف:.....62

1- رأي من قال : بـ : فعل رباعي أصيل ومستقل :.....62

2- رأي من قال بـ : صيغة ثلاثية مزيدة: 67

3- رأي من قال بـ : صيغة ثنائية ملحقة مكررة:.....69

الفصل الثاني:التعليل الصوتي للفعل الرباعي وعلاقته بالمعنى في السياق القرآني

التعليل الصوتي للفعل الرباعي و علاقته بالمعنى في السياق القرآني :.....76

1 – صيغة كُبْكِبَ:.....79

2 – صيغة دَمْدَمَ:.....82

3 – صيغة حَصْحَصَ:.....84

4 – صيغة:زَحْزَحَ.....86

5- صيغة :زَلْزَلَ.....89

6- صيغة : وَسْوَسَ:.....93

7- صيغة : عَسْعَسَ:.....95

8- صيغة (بُعثِر) غير المضعفة :.....96

الفصل الثالث: التحليل النحوي للفعل الرباعي ومستواه الإعرابي في القرآن

التحليل النحوي للفعل الرباعي :.....106

1 – القيم التعبيرية للرباعي المبني للمجهول في القرآن الكريم: 110

أ. ماهية الفعل المبني للمجهول في السياق القرآني:.....112

ب . نائب الفاعل في القرآن:مفعول بمنزلة الفاعل:.....114

ج . أغراض حذف الفاعل في الجملة القرآنية المبنية للمجهول:.....118

1 - حذف الفاعل للعلم به: 118

2 - حذف الفاعل للتعدد:.....119

3 - حذف الفاعل بغرض التحقير والإهمال:.....121

4 - حذف الفاعل للإيثار والتعدد:.....123

5 - حذف لغرض التهويل :.....126

1 – دلالة الأسلوب النحوي على المشاهد الغيبية.....128

أ. أسلوب الشرط الظرفي 128

ب. أسلوب الاستفهام: 130

ج– أسلوب النفي.....131

2. دلالة الأسلوب النحوي على المشاهد الخفية: 132

أ. الجملة الظرفية: 132

ب. جملة القسم: 133

ج. الجملة الموصولة: 134

الدلالة الزمنية المحولة عن الزمن الأصلي للفعل الرباعي في القرآن الكريم:.....136

أولا: اقتران الفعل بظرف يدلل على الحال:.....140

ثانيا: التصدير بأداة الشرط:.....141

ثالثا: إسناد الفعل إلى الله تعالى:.....143

رابعا: الدلالة على صفة متجذرة في النفس:.....145

أ. دلالة الماضي [وَسْوَسَ] على الاستقبال:.....146

ب . دلالة المضارع [يُوَسْوِسُ] على الماضي:.....148

الفصل الرابع: الدلالة السياقية للفعل الرباعي في النص القرآني

الدلالة السياقية للفعل الرباعي في النص القرآني 157

1– مقاربة اللفظ بالمعنى في النص القرآني :.....157

2- الرباعي المضاعف (زلزل):.....161

أ- (زلزل): دلالة على خارقة كونية عظمى:.....162

ب- (زلزلوا) دلالة على شدة الفزع :.....165

3- الرباعي المضاعف (حصحص) كدلالة على انكشاف حق مستور:.....167

4- الرباعي المضاعف (زحزح) كدلالة على التنحية والإبعاد :.....169

5- (عسعس) كدلالة على ظاهرة فلكية :.....172

6- الرباعي (دمدم) كدلالة على الرجف والخسف:.....175

7-الصيغة الرباعية (كبكب) كدلالة على الرمي على الرؤوس في الهوة :.....178

8- الصيغة الرباعية :(وسوس) كدلالة على حديث النفس:.....180

9- الصيغة الرباعية غير المضعفة (بعثر) كدلالة على البعث : 184

خلاصة وفوائد : 186

خاتمة.....189-193

فهرس الآيات:.....195-201

قائمة المصادر و المراجع:.....203-222

فهرس الموضوعات:.....224-229